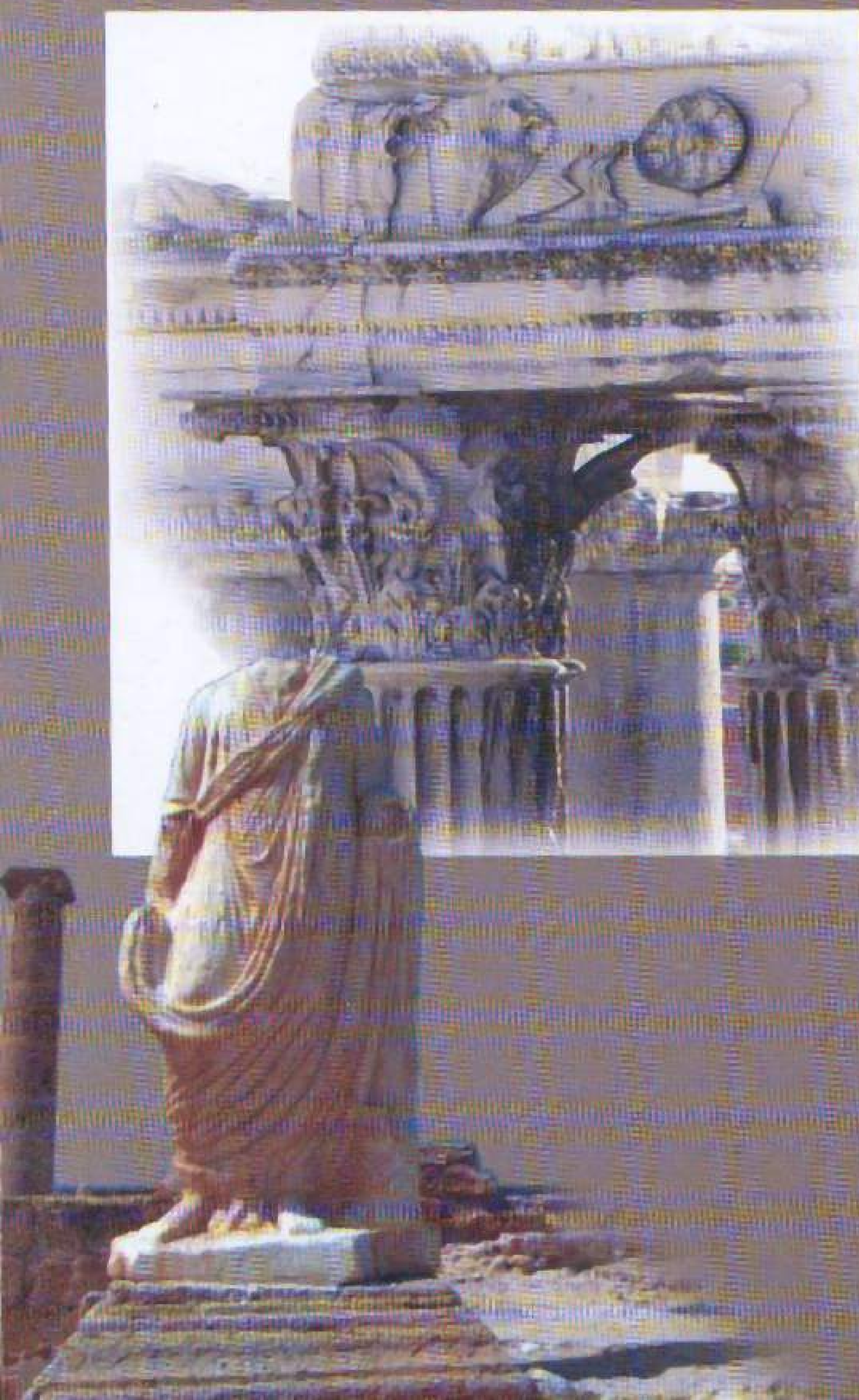
مظاهر
الحضارة البطلمية الرومانية



دكتور
لحسين إبراهيم أبو العطا

مظاهر الحضارة

في

العصر البطلمي الروماني

د/ الحسين أبو العطا

مكتبة نانسي دمياط

هاتف: ٢٤٠٨٥٥٣ -٢ ٢٤٠٨٥٥٤ -٢ ٣٢٣٣٦٩

فاكس: ٠٥٧/٤٠٢٧٥٥

محمول: ٠١٠١١٠٨٧١٩ - ٠١٠١٠٦ - ٠١٢٧٥١

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

أبو العطا، الحسين

مظاهر الحضارة في العصر البطلمي

الروماني/ الحسين أبو العطا

دمياط: مكتبة نانسي، ٢٠٠٧.

٣٠٠ص، ٢٤سم.

تدمك: ٢-٢٦-٦١٨٦-٩٧٧

١- الحضارة الرومانية

أ- العنوان ٩٣٨,٠٩

رقم الإيداع: ٢٠٨٩/٢٠٠٧

مونتاج: مني صبري

طباعة: عماد عزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

"سبحانك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم "

" البقرة : ٣٢ "

صدق الله العظيم

الموضوع	الصفحة

مكتبات معابد الإله اسكليبيوس

مكتبات معابد الإله اسكليبيوس

أبقراط مؤسس المكتبة الطبية :

ولد أبقراط الطبيب حوالي عام ٤٦٠ ق. م في جزيرة كوس "Cos" ، باتفاق معظم المؤرخين [١] درس وتعلم العلوم الطبيعية من والده هيراكليدس Heraclides ومن هيروديكوس السليمبري Herodicos of Selymbria وعرف معظم فلاسفة عصره ، من أمثال الفيلسوف ديمقراطيس صاحب النظرية الذرية التي أرجع فيها الوجود إلى ذرات السوفسطائي جورجياس المعروف بأبي البلاغة وذاع أمر أبقراط كطبيب ماهر في حياته فكان من اعظم أطباء اليونان سمي أحيانا " أبو الطب " وقد جمع بين الطب والفلسفة وقام على علاج المرضى بأجر وبدون أجر ، وكان يرى أن المهارة الطبية هي إلهام من الآلهه . وقد بلغت شهرته الآفاق حتى كاتبه الملوك طلبا لمشورته الطبية وتنافسوا على جذبه إلى بلادهم ومن هؤلاء الملوك ، برديكاس الثاني II Perdicas ملك مقدونيا وأرتاكسركيس الثاني منيمون Artaxerxes Mnemon II ملك فارس .

وأسس أبقراط مدرسة طبية ، وخلف عدداً كبيرا من المؤلفات الطبية ـ عرفت فيما بعد باسم المجموعة الأبقراطية Corpus Hippocraticum [٢] وتختلف هذه الكتب بعضها عن بعض في الشكل والمحتوى فبينما يشكل بعضها وثائق حقيقية تعالج موضوعا محدداً وفق منهج منطقي ، مما يجعلنا نميل إلى ان أبقراط قد كتبها بنفسه ، يتخذ بعضها الأخر شكل ملاحظات إكلينيكية غير مرتبة ومقتضبة وهي قريبة الشبه إلى مايدونه الطبيب الآن خلال زيارته واستشاراته ، وقد كتب أغلبها باللهجة العامية الأيونية لأهل كوس " cos" وهي كلها تظهر ميلاً تعليمياً متناسقا وتتسم طريقة التعبير في هذه النصوص بالأصالة : وتوجز في كلمات قليلة أفكارا تتطابق مع ظروف مرضية كثيرة ،

وقد بلغ عدد هذه المؤلفات الاثنين والسبعين مؤلفا تتناول ثلاثة وخمسين موضوعا ، وهذه المؤلفات تمثل مكتبة مدرسة أبقراط الطبية الخاصة فى الاسكليبيون .

ويبدو ان المكتبة فى تلك الفترة كانت فى حاجة إلى من يشرف على تصنيف مقتنياتها العلمية وتربيتها وتحقيقها بل وتصويبها إذا لزم الأمر ، لذا شغل أبقراط منصب (.(βιβλιοφύλαξ)) آمين المكتبة كرجل من رجالات العلم ومن أعظمهم فى العالم القديم ، كما تولى مسئولية إدارة الحفظ لهذه المكتبة الطبية βιβλιοφυλάκιον على حد قول جيوفانى انزنزيس [٣] .

ويتحدث أدلشتين Edelstein [٤] عن أبقراط بوصفه المسئول عن إدارة المكتبة من خلال إشارة كتبها الطبيب سورانوس Soranus[٥] (النصف الأول من القرن الثانى الميلادى) عن حياة أبقراط فى الجزء الرابع حيث يقول :

μετέστη τῆς [ἰδίας] πατρίδος, ὡς μὲν κακοήθως Ἀνδρέας φησὶν ἐν τῷ περὶ τῆς ἰατρικῆς γενεαλογίας, διὰ τὸ ἐμπρῆσαι τὸ ἐν Κνίδῳ γραμματοφυλακεῖον.

"فلنترك مايخص الأبوة هكذا تحدث أندرياس عن الأسباب من الناحية الطبية وذلك بسبب حريق صندوق حفظ السجلات فى كنيدوس ".

أما بلينيوس [٦] فيذكر أن :

huc eam [sc. medicinam] revocatam in lucem Hippocrates genitus in insula Coo, in primis clara ac valida et Aesculapio dicata is, cum fuisset mos liberatos morbis scribere in templo eius dei quid auxiliatum esset, ut postea similitudo proficeret, exscripsisse ea traditur atque. ut Varro apud nos credit, templo cremato iis instituisse medicinam hanc quae clinice vocatur.

"أبقراط المولود فى جزيزة كوس ألقى الضوء على هذا الطب الذى كان مشهورا وصالحا ومكرسا لايسكولابيوس فى الأزمنة الأولى ، الذى صنع تقدما مشابها عندما كان

سمة حره للكتابه بين الأساليب الموجودة فى معبد الإله كأى شئ مساعد ، وهكذا تم تدريسه بعد ان كتب ، حتى أن فارو عهد إلينا ، بالمعبد المحترق الذى قيل انه جاء مرتكزاعلى هذا الطب الذى أصبح تعليمياً "

ويبدو منذ الوهلة الأولى أنه لاعلاقة بين الطب والمعبد كمكان للعبادة حيث لم تكن الخدمة الدينية فى حاجة لاستخدام الطب على الإطلاق ، لكن الأمرعن ذلك ، حيث أكد بلينيوس فى النص السابق على الصلة بينهما ويتضح ذلك من خلال مايلى :

١) دراسة الطب فى المعابد :

كان الطب فى بلاد اليونان يدرس فى معابد الإله اسكليبيوس , على اعتبار أنها مؤسسات تعليمية وسميت الاسكليبياد Askelpios ففى ظل مايسود المعبد مناخ دينى نما علم الطب ، ومن هنا تأثر بالدين وطقوسه والعكس ذلك التأثر على الطب من خلال ما يشوبه من الغموض .

ويبدو أن بعض المعابد كانت تقوم بدور المستشفى التعليمى الذى يتلقى فيه الطلاب الجانب العملى ، ويدل على ذلك أن معابد الإله اسكليبيوس كانت عبارة عن مستشفيات صحية وكانت تجرى بداخلها الفحوصات الطبية على حد قول بلينيوس فى النص سالف الذكر .

٢) المعبد كمكان اللاستشفاء :

كان المرضى يلجأون إلى معبد الإله اسكليبيوس "Askelpios" راعى الصحة والشفاء " ويتوسلون ان يتجلى عليهم الإله فى منامهم ليصف لهم الدواء بنفسه ويهبهم الشفاء من أمراضهم الجسمانية والروحية فكان اسكليبيوس إله الشفاء والدواء وصانعه فهو الإله المعالج Deus- Clinicus وهو إله الطب وأبوالأطباء [٧] وكان ذلك يحدث فى المعابد الكبيرة مثل معبد أبيداوروس لإله الشفاء اليونانى وزوج هيجيا الإلهه الشافية

Hygieia فيتجلي للمرضـى بصورته كاملـة فـي منـامهم بالمعبد ، ويصف لهم الدواء وكانت أحلامهم هذه عبارة عن تشخيص للمرض ، ثم يتولى الكهنة الرسميون فى المعبد تفـسير هـذه الأحـلام للمرضـى ، واكـن هنـاك مفـسرون للأحـلام مـن غيـر سـلك الكهنوت ــ اطباء لهم خبرة وتجارب كبيرة من كثرة ماشاهدوا من مرضـى يشكون أمرضاً كثيرة متباينة ـ ثم يقدمون للمرضى العلاج والدواء ، ويشفى حتى من استعصى شفاؤهم على يد الاطباء .

ان الاسكليبياد Asklepiadi كـان مهتماً بتشخيص سبب المرض ولهذا المعابد أهميـة خاصـة بالنسبة إلـى النشاة الأولـى لطب اليونـانى وكـان فـى استطاعة الكهنـة أو الأطبـاء ان يجمعـوا بيانـات تاريخيـة عـن الحـالات المرضـية ولايستبعد أنهـم دونوهـا وحفظوها ، بل لعلهم أخذوا فى تصنيفها وتبويبها حتـى تـم لهم تدريجيا تـأليف كتـاب فـى الاختبارات الطبية وتوحى المعلومات الطبية التى أشار إليها بلينيوس (فـى النص سالف الذكر) أنها لأبقراط الذى توصل إلـى مرض الأغماء quid auxiliatum esset من خلال اللوحات النذرية وهى من أقدم النقوش التى دونت فى الاسكليبياد ، وتمكن أبقراط من أن يميز اعراضها الواضحة وتدوين حالاتها الإكلينيكية وجمعها [٨] .

ودرس أبقراط العلوم الطبيـة فـى المؤسسات التعليميـة التـى سميت الاسـكليبياد Asklepiadi(هياكل اسكليبيوس إله الطب وراعية) وعمل فـى معابدها الاستشفائية ، وكان سهلا عليه جمع كل التجارب العلميـة بدون صـعوبة ويزيد انـه كـان عالمـا دقيق الملاحظة شديد الحرص على ان ينفع غيره بخبرته فقام بتدوين معلوماته بدقة لينتفع بها إخوانه فى المهنة وليخفف بها آلام المرضى ، فأنشأ بذلك الأدب الطبى العلمـى ووضع أولي الوثائق الإكلينيكية وجمعها التى لم تستأنف من بعده ، من أهم افضل الأمثلة على استخدام المدخل التجريبى فى العلم الأغريقى[٩] .

٣) اللوحات النذرية (القرابين الرمزية) والمعبد :

ومما يؤكد الصلة بين الطب والمعبد هو العثور على كثير من اللوحات النذرية (القرابين الرمزية) التى تركها المرضى فى معبد ابيداوروس وفى معبد كوس ـ وهى تمثل الجزء المراد شفائه من الجسم على وجه التحديد ـ تشمل كل جزء من أجزاء الجسم ومن بين النذر الطبية القديمة ما يمثل امرأة حبلى ، واطفالا ، وعيونا ، ورحما ومثانة , وسرطانا ثدييا وجسما جانبا ، وفتقا معويا ، ومن أجمل النذائر الطبية نذيرة تمثل رجلاً مسنا يمسك بزراعيه ساقاً غليظة منتفخة العروق .فهذه اللوحات النذرية (سبق التعريف) تشير إلى الشفاء بواسطة المعالجة العلمية وتدل على وجود مدرسة للأطباء دعيت الاسكليبياد Asklepiadi (أى بناء إله الشفاء اسكليبيوس Asklepios) عاملاً معتزأ به فى المعبد [١٠] حيث قدم طلب الشفاء من الإله إسكليبيوس هذه اللوحات النذرية كحامى لهم من الأمراض وامكن الاستدلال منها على انواع الأمراض التى كانت متفشية فى ذلك الوقت .

ويجب ان نضع فى الاعتبار ماذكره بلينيوس ، وتزتزيس وأيضا سورانوس " من ان أبقراط أنشأ مكتبة طبية علاجية " معتمداً على ملاحظاته الدقيقة فكان حريصا على تدوين أهم الوقائع التطبيقية الوجيزة الواضحة ، فقد دون معلوماته الطبية فى سجلات ساهمت فى ظهور الكتاب الطبى ، وهذه الكتابات اشتملت على نتائج المشاهدات السابقة إلى جانب نتائج مأخوذة من مدارس كوس الطبية وماجاورها. من تلك الكتابات تكونت مكتبة طبية خاصة ، وهى لاتزال إلى اليوم محفوظة ضمن المجموعة الأبقراطية Hippocraticum Corpus [١١] .

٤) الطب الروحانى (الدينى) والطب العلمى :

يخبرنا بلينيوس أن أبقراط كان مرتبطا بالعلاج العلمى إلى جانب اهتمامه بالعلاج الروحانى فى المعابد الاسكليبياديه . ويلاحظ أن أبقراط كان من أتباع الإله اسكليبيوس

واعتقد فى البداية أن الأحلام عبارة عن رؤى وتكهنات صادقة ، وكان يعزو للأحلام وظيفة معينة مفادها أنها تشخص المرض : إذ ان بعض الرموز المحددة قد تستخدم لتشخيص مرض معين أو لتوقع حصول بعض الأعراض الجسدية المحددة ، لذلك اهتم أبقراط بالعلاج الروحانى وهو امر طبيعى مقبول على افتراض أنه راقب ـ ظاهرة النوم فى المعابد الاسكليبيادية فالحلم ينبئ الأحياء أثناء الليل بما يريدون معرفته ، والحلم عندهم هو الحقيقة : أنه الطبيب الذى يشفيهم من عللهم بل انه إله الطب اسكليبيوس : فهم يستسلمون له ، ويطيعون أوامره بغاية الدقة ولاسيما أحلام المرض والأحلام التى تنذر بالمرض على وجه العموم ، ويعتقدون انهم إذا كانوا طاهرى النفوس ـ ويتوفر لهم ذلك إذا تم إعدادهم إعداداً نفسياً جيداً ويتم ذلك عن طريق سماعهم إلى تراتيل تحوى اعمال اسكليبيوس ثم تتلى عليهم بعض العبارات الدينية وتقدم القرابين ويعطى المريض حماماً بالمياة المعدنية ، فاحمام يطهرهم وينقل المرء من العالم الدنيوى إلى العالم المقدس ، وأن ذلك حسب اعتقادهم يجعل أرواحهم ان تتصل بروح الإله اسكليبيوس ، وتصير فى حالة طمانينة ، وحينئذ تعرف كل ماهو ضرورى لها عن طريق الحلم التى ترسله إليها الإله علامة على الرضا ، ويكشف للحالم عن دواء علته الذى يبتغيه ، ومنها تم الشفاء بإيقاظ الغريزة الشفائية فى النائم نفسه ، باعتبارها إحدى طرق الاتصال بالقوى الروحانية العليا عن طريق روحى بالنوم فى المعبد وعند النوم يقع المريض تحت تأثير مايراه من أحلام ، ويظهر الإله للمريض ويصف له الدواء ، ويمكن اعتبار هذا العلاج نوعاً من العلاج النفسى ويظن أن معظم حالات الشفاء من الأمراض قد تمت عن طريق المعجزات بعد يأس المرضى من العلاج الطبى .

والعديد من الدراسات تناولت العلاقة بين الطب الروحانى (الدينى) والطب الشفائى العلمى ـ علماً بأن كل واحد كان له طريقته فى العلاج ـ وتتفق الطريقتان فى أن العلاج كان تحت رعاية الإله اسكليبيوس ، فالأطباء اعتبروا أن الإله اسكليبوس سيد الطب وراعية [١٢] . وأبقراط كان من اتباع الاسكليبياديون Asclepiadia (وتشير

الآثار الباقية إلى أن أبقراط كان ينتمى إلى سلالة الطبقة الراقية في كوس وكان ذا شخصية فريدة وسمعة حسنة بين الناس وساعده ذلك فى عمله الطبى الشفائى للعائلات) (١٣) . كما أنه كان فى نظر الاسكليبياديون (كوس) (أوليجاركيا) ينتمى إلى الطبقة الثرية للمجتمع الريفى لذلك العصر وكان يعيش فى منتصف القرن الرابع ق.م وهى فترة ازدهار عبادة الإله اسكليبيوس كما انها ذات الفترة التى حملت فيها قطع نقود معدنية نقش عليها كلمة اسم (سلطان ونفوذ) الإله الشافي ؟ (١٤) وصور عليها الإله اسكليبيوس وهيجيا ، وكان رأس اسكليبيوس متوجاً بأوراق الغار . ويجب أن نضع فى الاعتبار ان الطب العلمى تطور من تجارب الطب الروحانى فالطب اعتمد فى مراحله الأولى على تجارب كهنة اسكليبيوس (الآلهه الأخرى التى لها علاقة بالشفاء مثل أبوللون) فكهنة الإله اسكليبيوس نظراً لارتباطهم بالعلاج الدينى ، قاموا بتدوين حالات الإغماء الهيستيرى ، كما لاحظوا ودونوا علامات الجنون فى الطبقات الفقيرة من المجتمع ، فالاسكليبياد كانت عبارة عن مراكز طبية تبحث عن وسائل الشفاء فكانت عبارة عن مدارس طبية رئيسية فى العالم القديم .

وفى القرن الخامس قبل الميلاد ، وتحت قيادة أبقراط Hippocrates انفصل الطب اليونانى عن الماضى وعن الاعتقاد بلعنة الآلهة وطور نظاماً كاملا قائماً على وسائل علمية وبدأ بثورة بعيدة المدى بإحلالة التمريض ونظام الغذاء المنضبط محل وسائل السحر .وانحصرت مهمته فى دراسة أسباب الاضطراب فى الجسم الإنسانى ومحاولة إعادته إلى حالته الطبيعية ، وتكشف كتابات أبقراط وأتباعه عن عناية دقيقة فى مجال فحص الأعراض المرضية ، " ولابد من فحص كل جزء من أجزاء الجسم وملاحظة اية تغيير فى درجة الحرارة واللون ، ولاغرابة لطبيب ان يعرف حاسة التذوق والشم للمريض ونومه وأحلامه وشهيته من عدمها ، وحكة للجلد ، وأن يحلل البول والبراز ، وبعد تجميع شواهد الحالة ومقارنة الأعراض بحالات مرضية أخرى ، هناك

بوسع الطبيب ان يمضى إلى التشخيص والعلاج ، واثقا أنه قد عرف كل ما استطاع أن يعرفه عن الحالة ، وأنه يستطيع ان يتنبأ بما سيحدث " ومن الضرورى أن نتعلم تكوين فصول السنة وتكوين المرض أيضا وما هو العنصر الشائع فى البيئة أو فى المرض ـ الذى يكون نافعا أو ضارا ـ وما هو المرض المزمن والمهلك ، وماهو المرض الطويل الأمد المحتمل أن ينتهى بالشفاء ، وما هو المرض الحاد المميت ، وما هو المرض الحاد المحتمل أن ينتهى بالشفاء ، ومن يلم بهذه المعلومات يستطيع أن يعرف ماينبغى معالجته كما يستطيع ان يعرف فترة وطريقة العلاج " .

وهنا نجد روح البحث العلمى تعتمد على الملاحظة الدقيقة الواعية وتستطيع ان تعطى تنبؤا عما يحتمل حدوثه ، ولايدعى الطبيب انه يستطيع القضاء على المرض ، حتى عندما يعرف حقيقته ، ويكتفى بتشخيصه وتحاشى الأخطاء فى علاجه لهذا المرض ، وقد حقق ابقراط هذا الانقلاب العلمى من خلال عنايته بالجسم الإنسانى .

وليس غريبا أن يدفع هذا ثوكيديديس (١٥) إلى القول :

τὰ δὲ νῦν διαιτήματα εἰρημένα καὶ τετεχνημένα ἐν πολλῷ χρόνῳ γεγενῆσθαί μοι δοκεῖ. ὡς γὰρ ἔπασχον πολλά τε καὶ δεινὰ ὑπὸ ἰσχυρῆς τε καὶ θηριώδεος διαίτης ὠμά τε καὶ ἄκρητα καὶ μεγάλας δυνάμιας ἔχοντα ἐσφερόμενοι, οἷά περ ἂν καὶ νῦν ὑπ᾽ αὐτῶν πάσχοιεν πόνοισί τε ἰσχυροῖσι καὶ νούσοισι περιπίπτοντες καὶ διὰ τάχεος θανάτοισι.

لكن طرق الحياة المكتشفة الآن سلكت بمهارة فإنها على مايبدو لى قد استغرقت زمنا طويلا ، لأن الناس قد عانوا من أشياء كثيرة ومخيفة من قوة وقسوة الحياة ، وذلك عندما تناذلوا الأطعمة النيئة ، وعندما وقعوا فى مواجهة قوى عظمى ، وهذا قد يكون نفس

مايعانيه رجال اليوم حيث سقطوا نهباً للمكاره الشديدة والأمراض التي يليها الموت على وجه السرعة (١٦).

ثم يقول :

τῷ δὲ εὑρήματι τούτῳ καὶ ζητήματι τί ἂν τις ὄνομα δικαιότερον ἢ προσῆκον μᾶλλον θείη ἢ ἰητρικήν; ὅτι γε εὕρηται ἐπὶ τῇ τοῦ ἀνθρώπου ὑγιείῃ τε καὶ σωτηρίῃ καὶ τροφῇ, ἄλλαγμα ἐκείνης τῆς διαίτης, ἐξ ἧς οἱ πόνοι καὶ νοῦσοι καὶ θάνατοι ἐγίνοντο.

"فيما يتعلق بهذا الاكتشاف وهذا البحث هو الاسم الأكثر دقة أو أكثر ملائمة الذى كان يمكن ان يعطى له غير الطب ؟ فقد اكتشف أنه فيما يتعلق بصحة الإنسان وسلامته وغذائه ، وقد حل محل أساليب الحياة التى جاءت منها الشرور والأمراض والموت (١٧)

ثم يقول :

II. Ἰητρικῇ δὲ πάλαι πάντα ὑπάρχει, καὶ ἀρχὴ καὶ ὁδὸς εὑρημένη, καθ' ἣν τὰ εὑρημένα πολλά τε καὶ καλῶς ἔχοντα εὕρηται ἐν πολλῷ χρόνῳ, καὶ τὰ λοιπὰ εὑρεθήσεται, ἤν τις ἱκανός τε ἐὼν καὶ τὰ εὑρημένα εἰδὼς ἐκ τούτων ὁρμώμενος ζητῇ.

" إن كل شئ منذ زمن طويل يبدأ بالطب فهو المكتشف للبداية والمنهج ، وذلك من خلال الاكتشافات التى كانت كثيرة وطيبة والتى اكتشفت فى زمن طويل مثلما ستكتشف

الأشياء الأخرى , كما أن باحث كان مؤهلاً لها من خلال معرفة الاكتشافات التى ظهرت بواسطة البحث فى هذه الاكتشافات " (١٨) .

إن نتائج هذه الدراسات كانت فى البداية بحاجة إلى صقل وتهذيب فالدراسات الإكلينيكية تمكن الطبيب من تقرير الخطورة المحتملة ، فوظيفتها ليست منع المرض ، بل المساعدة على المقاومة مثلما تفعل قدرة المريض ، وهكذا فإن الفكر العلمى هو الوحيد الذى يحكم على نتائجه من خلال المادة العلمية التى تقوم على الملاحظة ، وربما قاد هذا الفكر العلمى إلى الاقتراب من مفهوم الصحة ، وبالرغم من هذا يمكن القول بأن خلف شروح الأبقراطيين الأوائل الطبية كان يوجد بها منهجاً جديداً متحرراً من خرافات اليونانيين الأوائل من رجال الطب (كالمفسرين والكهنة) الذين اهتموا بتطوير أفكارهم فى التسجيل والتحليل العقلانى الدقيق من اجل مستقبل طبى متطور ، وبهذا نجد أنفسنا أمام اتجاه جديد يقوده اناس قدروا أن يكونوا جادين .

ويذكر لأبقراط الآثار الآتية :

١) كان يتعامل مع الطب كعلم وليس مجرد ممارسة : إذ لم يكن اهتمام أبقراط بممارسة العلاج بقدر اهتمامه بالمنهج العلمى فى العلاج فأنشأ الأدب الطبى العلمى ووضع بذلك أول وثائق إكلينيكية لأمراض السل وداء الصرع وغيرها ، وسجل الملامح التى تعلو سحنة المحتضر أو وجه من أهزله المرض ولاتزال تعرف هذه المظاهر بالمظاهر الأبقراطية ، ولم يهتم أحد من الأطباء مدة طويلة من بعده بمتابعة هذه الدراسات الإكلينيكية ، فلم يكن أبقراط يقنعه أن يكون مشاهداً فحسب بل كان يستخرج علامات المرض بطرق فعلية .

٢) رفض أبقراط تسمية داء الصرع بالمرض المقدس , إذ ليس ثمة مايدعو فى نظره من اعتبار أن هناك أمراض إلهية أو مقدسة واخرى بشرية أو طبيعية ، بل أن جميع الأمراض طبيعية وليس هذا المرض أعرق فى القداسة أو الألوهية من سائر الأمراض وإنما سببه طبيعى خلع العامة عليه هذا الأصل المزعوم بجهلهم ولاستغراقهم أعراضه الفرعية ، وأن السحرة هم الذين خلعوا عليه طابعاً مقدساً . كان أبقراط ينكر أن يكون للأرواح دور فى إحداث المرض العقلى ، وقد أشار إلى أن المرض العقلى له أسباب طبيعية ، وأنه يتطلب علاجاً مثل بقية الأمراض ، وقد اكد أبقراط على أن الدماغ هو مركز النشاط العقلى وأن الاضطرابات العقلية إنما ترجع إلى مرض فى الدماغ ، وأشار أن إصابات الرأس من الممكن ان تؤدى إلى عطل فى الأجهزة الحسية الحركية للمصاب .

٣) صنف أبقراط الأمراض العقلية إلى ثلاث أصناف رئيسية ، هى الهوس Maniaوالسوداوية أو الميلانكوليا Melaneholia والبطاح او الهزيان Phrenitisواعطى وصفاً دقيقاً لأعراض كل منهما ، وذلك من الملاحظات التى كان يبديها " أبقراط " على مرضاه ، وهذه الملاحظات كانت بالغة الدقة ، كما أشار إلى أهمية دراسة الأحلام فى تفهم حالة المريض .

٤) حدد بعض الأساليب العلاجية ومنها : أن مريض " الميلانكوليا " يعالج عن طريق ممارسة أسلوب وحياتى هادئ ومنظم ، وان يبتعد عن الإفراطات فى المناشط أو الغذاء ، وأن يركز فى غذائه على الخضروات ، وهذا إلى جانب "فصد الدم " وكذلك أوصى فى حالات الهستيريا ــ الذى اعتقد بأنه مرض نسائى ــ بأن الزواج هو العلاج الأمثل وكذلك اعتقد " أبقراط " بأهمية البيئة التى يعالج فيها المريض ، وكان قليلا مايعزل المريض عن أسرته، وقد أشار إلى عناصر أربعة ؛ إذا كانت هذه العناصر متوازنة كانت

الصحة ، وإذا اختلت هذه العناصر كان المرض ، هذه العناصر هى :الدموية والصفراوية والسوداوية والبلغمية.

٥) قسم أبقراط الطبى : وهو قسم الأطباء حين يشرعون فى ممارسة المهنة والذى لا يزال قائما إلى اليوم ، إذ قسم أبقراط واجبات الطبيب فى عدة كتب من أهمها كتاب القسم الطبى The Oath يشتمل على حلف أو يمين أو قسم أو ميثاق يلتزم به الأطباء ويلزم به الأساتذه طلابهم ، كما أنه يشبه دستور للمهنة يحدد الشروط اللازمة للمهنة وتقاليدها وحماية نقابة الأطباء من الدخلاء غير الأكفاء .

يمكن القول بأن ثمار فكر أبقراط الطبى وتجاربه تتفاعل فيها وجهتان : الوجهة الاستقرائية التفسيرية والوجهة التجريبية الحسية فإذا كانت النظريات تبنى على الملاحظات فإن الذهن تلقائياً يختار من تلك الملاحظات مايناسب اتجاهاته الخفية .

مكتبات الاسكليبياد :

كانت المراكز الرئيسة الثلاثة لعبادة الإله اسكليبيوس فى كوس ، ابيداوروس وبرجامون ، وقد شد الناس الرجال إلى هذه المعابد الاستشفائية من أنحاء العالم اليونانى طلباً للاستشفاء الذى كان يمنحه لهم الإله اسكليبيوس (١٩) وبالطبع ومع مرور الوقت تزايدت معابد الإله اسكليبيوس فى اماكن كثيرة نظراً لاحتياج العائلات والمرضى حتى أن ارستيد Aristide رصدها فى قائمة (٢٠) فمساحة هذه المبانى ونوعها تحتاج إلى المزيد من الدراسة وإن كانت الاسكليبياد تشبه المستشفى فى عالمنا الحديث .

ولم يكن محل إقامة المعابد ليختار جزافاً ، وإنما كانت هناك اعتبارات تراعى فى هذا الاختيار ، فكانت تبنى فى أماكن تتميز بجمال الطبيعة ، واعتدال المناخ ، وكان يراعى قرب وجود مياه معدنية ذات فوائد علاجية وكثيرا ماكانت تبنى على شاطئ

البحر مثل ابيداوروس ، إلا ان معظم هذه المعابد كانت آيات رائعة فى الفن المعمارى ، وكانت تزين بأجمل التحف الأشهر الفنانين ، مثل تمثال الإله اسكليبيوس المصنوع من العاج والذهب الذى كان فى معبد ابيداوروس ، وكانت تنشأ حول هذه المعابد أروقة ومداخل معمدة ، ومسارح وحمامات وفى بعض الأماكن مكتبات ، وأماكن الترفيه الرياضية ، لتكمل علاج المرضى بالترفيه عنهم (٢١) .

وهناك العديد من العناصر المعمارية تؤكد أن هذه المجموعة المعمارية للاسكليبيون فى كوس ، وأبيداوروس ، وبرجامون كانت تضم فى مجموعاتها المعمارية مكتبة (٢٢) فالدراسات الحديثة عن الاسكليبيون فى كوس اكدت عن وجود ثلاث مستويات لأماكن العبادة ، ويدعم ذلك اكتشاف أعضاء المعهد الأثرى الألمانى فى سنة ١٨٩٨ م والسنوات التى تليها خارج اسوار مدينة كوس معبد دورى الطراز يرجع إلى أوائل القرن الثالث ونهاية القرن الرابع قبل الميلاد ، وكذلك الكشف الذى قام به بعض الأثريين الإيطاليين بعد الحرب العالمية الأولى وهو عبارة عن معابد صغيرة لعبادة الإله اسكليبيوس وفى المستوى الثالث يحيط به رواق معمد وفيه بئر مقدسة بقربها معبد صغير للأمبراطور نيرون (٥٤ـ ٦٨ م) وقام ببناء هذا المعبد رئيس أطباء الإمبراطور كلاوديوس وأجربينا ـ وينتمى إلى أسرة اسكليبيادية قديمة ـ الطبيب ك سترتينيوس كسينوفون ، وفى هذا المعبد ـ الاسكليبيون ـ نقش يشير إلى وجود مكتبة طبية مهداه من C.Stertinio Senofonte إلى الإمبراطور كلاوديوس :

Γάιος Στερτίνιος
Ἡρακλείτου υἱὸς
Ξενοφῶν φιλόκαι-
σαρ ἱερεὺς Ἀσκλα-
πιοῦ Ὑγείας Ἀπίο-
νας καὶ τῶν Σε-
βαστῶν τοῖ(ς) Σε-
βαστοῖς καὶ τῷ
δάμωι ἐκ τῶν ἰ[δί]-
ων τὰν (βυ[βλιοθήκαν) ...

"جايوس ستيرتينيوس بن هيراقليتس
وكسينوفون الكاهن المحب كقيصر ابن
ويجياس أبيوناس وبعض من آل سيباستوس
بين السيباستين وفى بلدة مميزة بالأشخاص
المميزين فى المكتبات "

والنص يشير إلى كاهن اسكليبيوس ومما يدفعنا إلى القول ان المكتبة كانت ملاصقة إلى معبد الإله ، ولهذا Hezog اقترح أن المبنى D ، ربما كان يحوى مكتبه بداخله ، أو على الأقل فى المبنى (D١) والذى يرجع إلى الفترة الهلينستية (القرن الثالث قبل الميلاد) [٢٣] . والذى كان بجانبه مبنى العبادة (D٢) . وقام Wendel بدراسة هذا الاقتراح واتفق مع Herzog فى الرأى [٢٤] .

أما M.Guarducci [٢٥] قالت أن وجود المكتبة فى المعبد يعطى ارتياحا للمرضى وهذا الاقتراح قد اعتمد عليه للفصل بين الطب الروحانى ومدرسة الطب العلمى ، ومما لاشك فيه ظهرت فيها معجزات الطب الاسكليبيادى ، وعليه فهذه المكتبة تشير إلى أن المكتبات التى أقيمت بداخل معابد الإله كانت مكتبات طبية وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتدريس الطبى والاسكليبيون فى أبيداوروس يمكن التعرف عليه من وصف بوزانياس [٢٦] إلى جانب الاكتشافات الأثرية والتى اكتشفت لنا مجموعة المبانى مثل المسرح ، وأوديون وستاديوم ، ومدرسة إلى جانب حمام ، كذلك تم العثور على نقش يعود إلى القرن الثانى قبل الميلاد [٢٧] .

A [- - - - - 'Ρ]οῦφος γ' Ε - -
B τίνου [υἱὸς?] Ἀπόλλω] -
ν Μαλεάτᾳ κα[ὶ Ἀσκληπιῷ Σωτῆρι τὴ]ν
βιβλιοθήκην [καὶ πάντα τὰ ἐν αὐτῇ βιβλ]-
α ἀνέθηκεν ἐ[περωτήσας τὸ ... ἔτος]
καὶ ἀφω[σιώσας].

أ ـ روفوس .
ب ـ ابن من ابوللو الملياطى واسكليبيادیس سوتير الذى اشار إلى المكتبة وكل شئ فى هذه الأوراقوهو الذى قرر العام (السنة).

هذا الإهداء وجد فى المبنى K من مبانى الاسكليبيون فى ابيداوروس (وهذا المبنى عبارة عن حمامات تعود إلى العصر الرومانى وربما بنيت فى العصر الأنطونينى حسب ما ذكره باوسانياس [٢٨]. والمكتبة حسب تصميم Kavvadias كانت فى جناح هذا المبنى(K)والنقش مهدى إلى أبوللون الملياطى واسكليبيوس والمكان الذى وجد فيه يشير إلى وجود مكتبه فى الاسكليبيون من الناحية الأخرى فالنقش يوحى إلى معهد الألعاب والاحتفال بافتتاح المكتبة ، وهذا التشابه ذكره Durazzo فمن الملاحظ أن النقش الذى وجد فى الاسكليبيون أشار إلى وجود المكتبة ، والتى لم يذكرها باوسانياس Pausanias فهل بنيت المكتبة بعد زيارة باوسانياس للمعبد ؟ [٢٩].

أما فى برجامون (تسمى الأن برجاموس وتقع شمال مدينة أزمير بخمسين ميلاً) فلدينا وثائق كافية وكان بها معبد للإله اسكليبيوس للعلاج وتجئ شهرته فى المرتبة الثانية بعد اسكليبيون ابيداوروس ، وأشار Deubner إلى مكان المكتبة بالمعبد وأثنى على المكتبة ومجموعاتها من المؤلفات الكلاسكية ، وهذه المكتبة ترجع إلى القرن الثانى قبل الميلاد [٣٠] وللأسف ليست هناك قائمة بما اشتملت عليه هذه المكتبة من امهات الكتب ومبنى المكتبة زخرف بنماذج زخرفية غنية ، وتم اكتشاف قاعدة تمثال الامبراطور هادريان المؤلة والذى أهدى من Flavia Melitine [٣١] والتى قامت (Flavia Melitine) ببناء مكتبة الاسكليبيوس فى برجامون [٣٢] وكتبت نقشاً إهدائيا بهذه المناسبة يذكر [٣٣] :

Ἡ βουλὴ καὶ ὁ δῆμος
τῆς μητροπόλεως τῆς
Ἀσίας καὶ δὶς νεωκόρου
πρώτης Περγαμηνῶν
πόλεως vac. ἐτίμησεν
Φλ. Μελιτίνην, γυναῖκα

Φλ. Μητροδώρου πρυτά-
νεως καὶ μητέρα vac. Φλ.
Μητροδώρου πρυτάνεως,
κατασκευάσασαν τὴν ἐν
τῶι ἱερῶι τοῦ Σωτῆρος
Ἀσκληπιοῦ βιβλιοθήκην

إن الشورى وشعب آسيا الوطن الأم واحد حراس المعبد الاول .. فى مدينـة برجامنون كرموا سميليتنى زوجة ميترودوروس فى الغناء (قاعة المحكمة) وام ميترودوروى فى الغناء (قاعة المحكمة) التى بنيت المكتبة فى محراب سوتير اسكليبيوس .

ويعتقد أن مكتبة الاسكليبيون ببرجامون كانت تخص المدرسة الطبية الشفائية على حد قول جالينوس [٢٤] وترجع للعصر الأناضولى وقد استمرت فى اداء مهمتها العلمية حتى العصر الرومانى ، النص السابق يشير إلى وجود مكتبة فى الاسكليبيون ببرجامون [٢٥] . فهل استطاع جالينوس أن يقوم بالإطلاع على كتب هذه المكتبة ؟ (ألف أربعمائة مؤلف وحصل إلينا منها ٨٣ ، عدا ١٩ من المؤلفات المشكوك فى نسبتها إليه ، وكتب ١٥ تعليقا على أبقراط) وفى المقام الثانى لم يعرف كم اشتملت من الكتب ؟ ففى عصر الأناضوليين وهى فترة نشطة فى برجامون فمن المحتمل أن المدرسة الطبية قد اشتملت على مجموعة من الكتب الطبية المتخصصة ، بمعنى انهم كانوا يحتفظون فى مكتبة الاسكليبيون ببعض الكتب العلمية للعلاج الروحانى ، المتبعة فى مدارس الطب

الروحانى ولم يخرج جالينوس عن مألوف زمنه فلقد وصى حقيقة بتفسير الأحلام بواسطة الاطباء وبالتخمين الطبى [٣٦] لكن من دراسة تاريخ الطب الحديث تبين انفصال الطب العلمى عن الطب الروحانى فى الاسكليبيون .

ويتضح من خلال الدراسات الأدبية والأثرية أن مكتبات فى الاسكليبيون (الاسكليبياد) شيدت وترجع إلى القرن الأول والقرن الثانى الميلاديين ويبدو ان مبانى المكتبات قد ازدهرت كل على حدة (فالمدن اليونانية فى آسيا الصغرى ساعدت فى انتشارها) ففى القرنين الأول والثانى ومع الزيادة السكانية ازدادت الأماكن الترفيهية الرياضية وأنشئت معها مكتبات عامة [٣٧] ومن الطبيعى أن يحتوى الاسكليبيون على مكتبة تساعد على القراءة والدراسة (كما الحال عند Elio Aristide) .الاسكليبيون احتوى حمامات فى الشفاءات وفى القرن الثالث الميلادى توقف بناء المكتبات العامة والمكتبات الخاصة وحتى فى الاسكليبيون (الاسكليبياد) [٣٨] . فالمسيحية وقفت لهذه النهضة الوثنية بالمرصاد فالكنيسة كانت تحتقر الفكر الوثنى فكانت تدمره وتحرقه وتحولت الكتب والمكتبات بعد ذلك فى العصور الوسطى إلى أديرة ولم تنشأ مكتبات جديدة .

ولقد دخل العالم كله فى متاهات العصور الوسطى المظلمة وكان عليه ان يبدأ من جديد من حيث بدأت العصور القديمة لا من حيث انتهت وانتقلت شعله الكتب والمكتبات إلى المسلمين اعتبارا من القرن الثامن الميلادى بعد فترة انهيار دامت لمدة ثلاثة قرون على الاقل ؟

الحواشى

(١) فى جزيرة كوس " Cos " نشأت أشهر طب فى العالم القديم ، والتى أنجبت سلسلة من العلماء على رأسهم ـ أبقراط ـ وهى جزيرة صغيرة مساحتها مائة ميل مربع ، تقع فى بحر إيجة بالقرب من الركن الجنوبى الغربى لآسيا الصغرى و وقد عمر هذه الجزيرة شعب دورى نزح إليها من إبيداوروس فى البلوبونيسوس حيث كان يعبد الإله اسكليبيوس ، وقد انشأ هذا الشعب وسط المياة المعدنية التى تزخر بها ضواحى عاصمتها معبداً لهذا الإله أصبح مقصداً للمرضى ويقال إن أبقراط كان يعالج مرضاه فى معبد الإله وقد كشفت الحفائر الأثرية فى ضواحى العاصمة عن معابد وأروقة ومداخل معمدة ، يرجع اقدمها إلى القرن السادس ق.م واحدثها إلى القرن الثانى قبل الميلاد ، وقد هدمها زلازال فى سنة ٥٥٤ ميلادية ، أما المدرسة الطبية فأسست فى ٤٣٠ ق.م

(٢) "مجموعة المؤلفات التى تسمى (بالمجموعة الأبقراطية Corpus Hippocraticum) واقدم ترجمة لها وهى باللاتينية , إلى القرن التاسع الميلادى ، وتوجد من تلك الأصول نسخ فى فينا ، وباريس ، وفلورنسا ، والفاتيكان ، والبندقية ، وليس من بينها واحدة كاملة وبخصوص تاريخ تلك المجموعة فقد ظهرت بعض اجزائها ، أول الأمر فى مدينة الإسكندرية عندما نشأت بها مكتبتها الشهيرة فى أول القرن الثالث قبل الميلاد ـ أى بعد مايزيد عن قرن ونصف على وفاة ابقراط عندما أمر الملك البطلمى بضمها إلى مكتبة الاسكندرية ، وعلى مر الزمن اضيفت إليها مؤلفات عدة مختلفة القيمة ، واستمرت عملية الإضافة فى روما حتى بعد الميلاد بقرنين والف جالينوس كتاباً فى مؤلفات ابقراط الصحيحة وغير الصحيحة ، وقال عن كتاب الأمراض الوافدة " إنى وغيرى من المفسرين نعلم أن المقالة الرابعة والخامسة والسابعة مدسوسة وليست من كلام ابقراط " وقد وافق العلماء على هذا وبنوا رأيهم على اعتبارات لغوية وموضوعية فقد أوضحت دراساتهم

فى نقد النصوص أن المعلومات التاريخية الموثوق بها تقلل عدد ما نسب إلى أبقراط الطبيب من مؤلفات .

(٣) Giovanni Tzerzes ,VII.,٩٦٣_٩٦٥

(٤) L.,Edelstin.,Hippokrates ,RE,Suppl_Bd., VI ,١٩٣٥, Coll.١٢٩٠- 1343 =1292 ff .

(٥) Soranus , Vita Hippocratis , Ed . J. Illberg CMG ٤,. ١٩٢٤ .

(٦) Plinius . , xxix 1.4 .

❖ إن الاسكليبياد هذه تمثل مجموعات من الكهنة ترتبط بمعابد الإله اسكلبييوس (إله الطب وراعيه) وكانوا يمارسون نوعاً من الطب يوصف بالدينى التماساً لعطف الإله اسكلبييوس .

(٩) E.J. and L Edelstein ,Asclepius , Baltimore , johns Hopkins , ١٩٤٥ , I , pp.٢٢١_٢٣٧ .

**

❖ كانت نشأة الطب فى المعابد وكان يدرس فى مصر القديمة فى أقسام خاصة منها تسمى " بيوت الحياة " وكان الكهنة أطباء متخصصين , كما ذكر الكتاب الأقدمون من اليونانيين كان المرضى فى مصر يلجأون إلى معبد الإلهة إيزيس , ويتوسلون ان تتجلى عليهم فى منامهم , لتصف لهم الدواء بنفسها وتهبهم الشفاء من امراضهم الجسمانية والروحية , وكانت بإيزيس إلهه الشفاء والدواء وصانعته على حد قول ديودوروس (كتاب I فقرة٢٥) وكانت تسمى بإزيس الشافية Hygieia حيث أنها كانت تتجلى على المرضى بصورتها كاملة فى منامهم بالمعبد , وتشفى حتى من استعصى شفاؤها على يد الأطباء , وكان ذلك يحدث فى معابد الإله سرابيس إله الشفاء المصرى (الشبيه بالإله اليونانى اسكليبيوس) زوج الإلهة إيزيس هيجيا وكان من

أشـهر معابـد العلاج المصرية معبـد الإلـه سرابيس فـى كـانوبوس Canobos فـى الاسكندرية (ابى قير الحالية) على حد قول سترابون (كتاب ١٧ فقرة ١\١٧) . .

(٨) يقول استرابون Strabon . , xiv ٢ , ١٩

** ونظراً لمكانة الطب المصرى القديم فقد اخذ الإغريق الكثير من النظريات الطبية لقدماء المصريين منها نظريتهم فى تفسير امراض النساء وأسباب حدوثها كما وردت فى بردية كاهون , إذ نسبوها إلى تحركات الرحم , وقد جاء هذا التعبير فى طب ابقراط فى كتابة الثانى

Ebbell , B, The Papyrus Ebers , Copenhagen 1937 , P , 25 .

وقد اخذ اليونـان عن المصريين كذلك منهجهم فى وصف الجروح وإصـابات الجمجـة التـى وردت فى بردية أدوين سميث ومـاتميز به ذلك الوصف من الدقة والترتيب , فقد ظهر مايشبه ذلك عند أبقراط بعنوان : De Capiti Vulneribus (Ebbell , B . , op.cit ., p .٢٥) وقد أوصى ابقـراط نقـلاً عن المـصريين القدماء باستخدام لبن امرأة انجبت طفلاً ذكراً كوسيلة للعلاج أو لاستخدامه فـى إذابـة عقـاقير أخرى , وقد أوصـى ابقراط باستعماله كدواء (بول غليـونجى , قطوف من تـاريخ الطب , ص ٩٩ ـ ١٠٠) وقد اخذ أبقراط بنظريـة الأخلاط الأربعـة المسببة للمرض ، من المصريين القدماء لأن كلمة " ست " المصرية القدماء قد وردت فى عدة عبـارات بنفس المعنى الذى تدل عليه كلمة البلغم الإغريقية Ebbell , B. , op.cit. , P, ٢٥ وبالمثل فقد تشابهت أسماء الأعضاء فى الطب اليونـانى مع الطب المصرى إذ سمى الإغريق حدقة العين باسم " كورى " اى الشابة وقد سماها المصريون القدماء " شـابة العين " (بول غليونجى) المرجع السابق(ص ١٠٤)

(٩) E.J. and L Edelstein , Asclepius ,op ,cit ,, ١١ ,, pp, ١٤٢-١٤٥
H.E.Sigerist , AHistory of Medicine ,, ١١ , Oxford University Press ١٩٦١ ,, P,٧٢ ,CF.S.M.Sherwin _ White , Ancient Cos , Gottingen , Vandenhoeck & Ruprecht ١٩٧٨ ,,pp . ٢٧٥ _ ٢٧٨

(١٠) E.J. and L.Edelstein , Asclepius , op, cit ., p. 158

حيث يقول :

" There is no evidence whatever that physicians participated in the temple healings , Besides , the treatment given by the god , the true physician (T٤١٨) , in many cases was contrary to all medical theory".

سيطرت فكرة التناسب او حفظ التوازن لأجسام البشر على فكر أبقراط , فلا تكون العافية إلا بالتوازن المستقر , والمرض اختلال فى التوازن وأهم أعراضه ارتفاع درجة الحرارة ، وحيث لايكون الاختلال عميقاً يمكن استعادة التوازن ، لابالعقاقير فحسب وإنما براحة الجسم وهدوء النفس ، إذ الوسائل المساعدة للطبيعة كى تقوم بعملها إنما هى وسائل مادية ونفسية ، مادية كان يلتزم المريض الفراش ويقتصر على اغذية خفيفة ، ونفسية إذ تلتزم النفس بالهدوء والبعد عن الهموم ، وقد لزم عن فكرة التوازن تصورات طبية لها أهميتها فى مدرسة أبقراط على الخصوص وأهم هذه التصورات هى :

١. إذ قدم أبقراط للأهوية _ هواء _ والاهواء _ أصناف المياه _ والأماكن التى قصد منها بيان أثر البيئة والمناخ : على كل من صحة الإنسان وأخلاقه وتعد مقر الدراسات الرائدة فى علم الأيكولوجيا .

٢. الطب النفسى الجسمى _ السيكوسوماتى _ إذا لم يكن العلاج كما أصبح الحال فترة طويلة فى العصر الحديث مجرد علاج لأمراض الجسم أو النظر إلى كل عضو نظرة جزئية مستقلة عن سائر الأعضاء ، وإنما ادرك أبقراط أن بين الجسم والنفس علاقة

وثيقة ، كذلك بين أعضاء الجسم , فلا يمكن أن تكون احدهما سليماً إذا كان الآخر سقيماً ، ويتعذر شفاء أحدهما إذا أهمل الآخر .

فعرف الأمراض الأساسية لاختلال التوازن فى أجسام البشر , وهى ارتفاع حرارتها , مع أنه لم يتمكن من قياس درجة الحرارة كما نفعل نحن اليوم .

(١١) H.E.Sigerist ,op,cit ., II , pp , 45 and 58 , Phillips , E D. Greek Medicine , London , Thames & Hudson 1973 ,, pp,, 13 ff and 197

(١٢) E..J .and L,Edelstein , Asclepius , op , cit ,, 11 ,,p , 139 ff

(١٣) E,L and L, Edelstein , Asclepius , op , cit ., 11 , p, 54 ff and

H. E. Sigerist

Op., cit ., II, p, 300 and Sherwin _ white ., op., cit ,. P. 256 ff .

(١٤) S.M.Sherwin White , op., cit ., p. 40

(١٥) ثوكيديدس Thukydides (النصف الثانى من القرن الخامس وأوائل القرن الرابع ق.م) من بين المؤرخين اليونان الذى تميزت كتاباته بالتركيز حول موضوع واحد هو موضوع الحروب البلوبونيسية (التى قامت بين أثينا واسبرطة بصفة أساسية فى الثلث الأخير من القرن الخامس ق.م وبذلك جاءت كتاباته محيطة بكل تفاصيل الموضوع , وامتاز ثوكيديدس بأنه حلل الحوادث والمواقف والتشخيصات تحليلاً اجتماعياً ونفسياً عميقاً , فكان بذلك أول مؤرخ يتبع المنهج العلمى التحليلى فى كتابة التاريخ .

(١٦) Hipp., On Ancient Medicine , III. 20 _26

(١٧) Hipp,, op, cit , III. 49 _51

(١٨) Hipp.,op.,cit,. II. 1_5

(١٩) H.E.Sigerist . ., op., cit., II , p, 60

(٢٠) Elio Aristide in the Introduction of S.Nicosia , Discorilsacri
Milano , Delphi 1948 .

(٢١) Phillips , E. D., op., cit , p , 200 " the large colonnaded buildings
Equipped with baths and sometimes with libraries , recall modern
hospitals The discipline to which patients submitted , however eccentric ,
has again Something of the hospital , as well as religious order about it "

(٢٢) J.plathy , sources On the Earliest Greek libraries , Amsterdam ,
Hakkert 1968, p,147 no , 133, Cf , R ,Herzog Nikias und Xenophon
Von Kos , Zwei Charakterkopfe aus der Griechisch Romischen
Geschichte , " Historische Zeitschrift " , CXXV ,1922 , PP , 189 _ 247
: 216 _ 247 .

(٢٣) R.Herzog , Kos I, Asclepieion , Berlin , Keller 1932 , pp , 49 _51
And , Tavola 28 .

(٢٤) C.Wendel _ W.Gober , Das Griechisch _ Romische , Altertum , in
Handbuch der Bibliothekswissenschaft ; I _III , Wiesbaden, Harrassowitz
1955 , p , 100 .

(٢٥) M. Guarducci , Epigrafia Greca , IV, Rome , Libreria dello stato 1978, p . 211.

(٢٦) Pausanias , II27 , 1_ 7 .

(٢٧) C.Wendel _ W. Gober , op , cit ., p , 99

(٢٨) Pausanias 11.27,6 .

(٢٩) P.K avvadias , Fouelles d ' Epidaure , I Atene , Vlastos , 1891 , p.57

(٣٠) O.Deubner , Das Asklepieion Von Pergamon , Berlin , Verlag fur Kunstwissenschaft 1938 , pp . 40 _ 43 Cf . De Gruyter , Berlin ,Altertumer Von Pergamon , vol I , 1968 ., vol . II1975 ., vol , III1981 ., and vol , V1984

(٣١) J. Plathy , op . cit , 139 no . 96 . cf , Habicht , Die inschriften des Asklepieions ,Berlin , De Gruyter 1969 (Altertumer von Pergamon , VIII3) , pp , 8 _ 11 .

(٣٢) Altertumer von Pergamon , VIII 3 , n. 6 .

(٣٣) Altertumer von Pergamon , VIII 3 , n . 38 .

(٣٤) Galen , Comm, in Hipp , de med . off . I18 , 2 .

(٣٥) C.Wendel _ W. Gober , op . cit ., p . 100 .

(٣٦) G.F.R. Lloyd , Magic , Reason and Experience , London , New _ York _ Melbourne , Cambridge University Press , 1979 , pp . 35_42

(٣٧) C.Wendel _W.Gober , op, cit ., p . 124 .

(٣٨) **S.Nicosia , op . cit , p . ٢١**

المستوطنات الرومانية فى شمال أفريقيا

المستوطنات الرومانية [١] فى شمال أفريقيا

أولا : ولاية أفريقيا

انتهت الحرب البونية الثالثة (١٤٦ ق. م) بالقضاء على مملكة قرطاجة وتخريب تلك العاصمة وحلول الرومان محل القرطاجيين [٢] ، فاستولوا استيلاء فعليا على قرطاجة ، وأطلقوا عليها اسم " ولاية الرومان بإفريقيا provinica Africa Romana وجعلوا على هذه المملكة او الولاية واليا مقره مدينة أوتيكا Utica[٣] التى أصبحت المركز الادارى والسياسى لإفريقيا الرومانية .

فى البداية لم تكن تطمع الجمهورية الرومانية اذ ذاك فى توسيع هذه الولاية وبسط نفوذها الفعلى على الشمال الأفريقى ، ولكن بعد قليل من الوقت ضاقت ايطاليا بأهلها بسبب استحواذ طبقة الأغنياء على أرضيها وجلب العبيد لخدمة تلك الأراضى [٤] ، واصبح عدد كبير من الرومان لا أراضى لهم يستغلونها ولاعمل يشتغلون به .

ترجع فكرة إنشاء المستوطنات الرومانية فى شمال أفريقيا إلى القائد الرومانى سكيبيو الأفريقى [٥] Scipio Africanus الذى انتصر على القرطاجيين فى موقعة زاما عام ٢٠٢ ق.م [٦] فقد وعد جنوده بأن يمنحهم أراضى فى المدن القرطاجية إذا تحقق له النصر فى تلك الموقعة [٧] . أما أول مشروع جاد لتأسيس مستوطنات رومانية فى شمال أفريقيا مشروع جايوس جراكوس Gaius Grachus(نقيب العامة عام ١٢٢ ق.م) لإنشاء مستوطنة رومانية فى ولاية أفريقيا مكان مدينة قرطاج القديمة [٨] .

ودفعه إلى ذلك :

١) أن إيطاليا ضاقت بسبب استحواذ طبقة الأغنياء على أرضيها وجلب العبيد لخدمه تلك الأراضي حيث أصبح عدد كبير من الرومان لا أراضي لهم يستغلونها ولاعمل لهم يشتغلونه به [٩] .

٢) قيام الثورات في مدينة روما في فترة تربيبونية جايوس بسبب الفقر [١٠] ومن ثم تقدم بمشروع إصلاحي ، يهدف إلى مصلحة الشعب وهو القيام بإنشاء مستوطنات رومانية Coloniae جديدة في أفريقيا لامتصاص عدد السكان الذي يتكاثر باستمرار ـ ومـاأكثر التناسل بين الفقراء في مدينة روما ولحل مشكلة البطالمة وإيجاد فرص عمل للفقراء [١١] .

وأقنع جايوس جراكوس مجلس الشيوخ الروماني Senatus بعد جهد بأنشاء مستوطنة قرطاج ، لما تمتعت به من مميزات في موقعها الجغرافي وطبيعة أرضها التي تتمثل في :

ا- حيث كانت منفذاً طبيعياً إلى البحر .

ب- الأرض شديدة الخصوبة وهي مصدر للمنتجات الزراعية خاصة القمح الغذاء الرئيسي للشعب الروماني [١٢] .

وذلك ضمن خطة الإصلاح التي تزعمها جايوس لتوطين الفلاحين الرومان واللاتين ومنحهم جزء من الأرض Colonus لزراعتها واستغلالها لصالح روما [١٣]. واقتنع مجلس الشيوخ الروماني Senatus بمشروع جايوس جراكوس نظراً لتخوفه من خطر الفقراء والعاطلين في روما وتهديدهم للأمن العام ، ووجد مجلس الشيوخ الروماني في هذا المشروع الفرصة لإبعاد الفقراء والزعماء الشعبيين الذين يهددون بحركاتهم الإصلاحية الشعبية مصالح الطبقة الارستقراطية الرومانية [١٤] .وتقرر إرسال ستة آلاف روماني وإيطالي لتعمير مستوطنة جونونيا Junonia التي أقيمت مكان قرطاج

القديمة [١٥] ، تبركا باسم الإله جونوا ، وبذلك وضعت المستعمرة تحت حماية الإله جونوا Juno الروماني الذى حل محل الإلهة القرطاجية تانيت بنيبعل Tanit Bene Baal, [١٦] وتزعم جايوس جراكوس زعيم الحزب الشعبى توطين وتسكين فقراء روما والمدن الإيطالية فى أفريقيا ، وذلك لكسب عطف وتأييد العامة [١٧] .

وفى أثناء فترة تريبيونية جايوس جراكوس الثانية أرسلت لجنة ثلاثية إلى أفريقيا عام ١٢٢ ق.م . ورأس هذه اللجنة جايوس جراكوس وكل من فولفيوس فلاكوس Flaccus Flulvius عضوا) , وبابيريوس كاربو C.Papirius Carpo (عضوا) وكان عمل هذه اللجنة يتم بالتناوب بين أعضائها [١٨] .

وبدأ تنفيذ المشروع فولفيوس فلاكوس ، فذهب بالفلاحين الرومان الجدد إلى مدينة قرطاج ووزع عليهم الأراضى لزراعتها واستغلالها لصالح روما ، والمستوطنة انشئت لهذا الغرض [١٩] ولما كان الهدف من هذا المشروع تشجيع الهجرة خارج إيطاليا للأسباب السالفة الذكر [٢٠] فقد كان نصيب الفرد خمسين هكتار (حوالى مائتى فدان رومانى) ملك خاص معفى من الضرائب وهو ضعف ماكان يحصل عليه الفرد من الأراض الزراعية فى إيطاليا [٢١] ولم يكتف فلاكوس بالأرض التى تم تحديدها لإنشاء المتسوطنة لكنه توسع فيما وراء تلك الحدود ووزع مايقرب من ١٥٠,٠٠٠ هكتار على المستوطنين الجدد [٢٢] .

وأثناء تواجد جايوس جراكوس فى إفريقيا والذى ظل بالمستوطنة سبعين يوماً لتنظيم شئون المستوطنين [٢٣] لم يتردد مجلس الشيوخ الرومانى Senatus فى توجيه ضربة قوية له كزعيم للحركة الشعبية الاصلاحية فى روما فعاد على الفور إلى روما للتصدى لأعداء حركته الإصلاحية ليجد نفسه وقد هبطت شعبيته إلى حد كبير بين العامة ، كما فشل فى الانتخابات لما قام به خصومة من دعاية مضادة له ولمشروعة فى إقامة مستوطنة جونونيا ، واعتمد أعداءه على الناحية الدينية لتحويل أنصاره وإعراضهم

عنه فاتهم بانه تحدى الآلهة واستخف بما قاله سكيبيو الأفريقى عندما دمر مدينة قرطاج من " أن اللعنة قد حلت على أرضها " (٢٤) .

ويذكر ابيانوس " انه عند بدء تخطيط الارض لتأسيس المستوطنة تهدمت العلامات التى وضعها جايوس وفلاكوس لحدود المدينة بفعل الذئاب (٢٥) لذلك قرر كل من جايوس وفلاكوس أن يكون مكان المستوطنة الجديدة خارج المنطقة الملعونة التى ، وضعت تحت حماية الإله جونوا Juno الرومانى واعتبر الكهنة ان هذا من سوء الطالع وأنها أرض ملعونة وستحل لعنتها على كل من يسكنها لذلك دعى السناتوس الجمعية الشعبية فى روما وقرر إلغاء قانون المستوطنة فى عام ١٢١ ق.م وألغى قانون روبريوس الخاص بإنشائها بمقتضى قانون آخر هو قانون مينوسيوس Minusius (٢٦) .

وعندما رأى جايوس وفلاكوس فشلهما غضبا وأعلنا أن مجلس الشيوخ الرومانى Senatus اخترع أكذوبة الذئاب وأيدهما فى ذلك بعض العامة . ولم يجد جايوس ورفاقه بدا من الثورة لكنهم فشلوا نظرا لقوة الافتراءات والأكاذيب التى احاطت به وبمشروعه الذى لم يقدر له النجاح , وانتهت حياة جايوس بالانتحار (٢٧) .

وفى عام ١١١ ق.م صدر قانون توريوس Lex Thoira لتحديد مصير المستوطنة وبموجبه ترك للمستوطنين حق الاختيار بين البقاء فى الأراضى التى وزعت عليهم او الرجوع إلى إيطاليا لكن معظمهم رفض الرجوع إلى إيطاليا ، وبيعت باقى الأراضى للطبقة الارستقراطية الرأسمالية فى مزاد علنى (٢٨) وتم تعويض المستوطنين اللذين وافقوا على الرجوع إلى إيطاليا واحتفظ مجلس الشيوخ الرومانى Senatus بجزء من الأراضى تم توزيعها على جنود ماريوس Marius المسرحيين من الخدمة العسكرية بمقتضى قانون ابوليوس Lex Apullia عام ١٠٣ ق.م (٢٩) وأمام استمرار معارضة مجلس الشيوخ الرومانى Senatus لإنشاء مستوطنات خارج إيطاليا فشل هذا

المشروع . كما فشل أيضاً مشروع قانون روللوس Lex Rullia الذى صدر فى عام ٦٣ ق.م . لإقامة مستوطنات فى ممتلكات روما فى صقلية وافريقيا وكورنثا وبرجامون . علماً بأن هذا القانون نص على تشكيل لجنة من عشرة بريتوريين لإنجاز مهمتهم فى عشر سنوات ، ولكن هذا المشروع فشل أيضاً (٣٠) . أقام ماريوس مستوطنات لجنوده المسرحيين على حدود ولاية أفريقيا شرق مملكة نوميديا , واندمج مستوطنو ماريوس مع السكان الأصليين للبلاد وقاموا بنشر العديد من أوجه الثقافة الرومانية هناك وقد شجع هذا قيصر على توطين جنوده المسرحيين فى أفريقيا , فأرسل فى عام ٤٦ ق.م حوالى ٨٠٠٠٠ , رومانى إلى الولايات ومنها أفريقيا التى حصلت هى وبلاد اليونان على العدد الأكبر من المستوطنين نظراً لخصوبة أراضيها الزراعية (٣١) وكان هدف قيصر من سياسته الاستيطانية امتصاص فائض السكان فى مدينة روما ، أما الهدف الأبعد من ذلك كان هو توفير أراضى خصبة لجنوده حيث انه قام بتسريح عدد كبير منهم وأرسلهم إلى شمال أفريقيا ليضمن بذلك عدم قيام ثورات وحركات تمرد بينهم ، وكانت قرطاج Carthagoأهم المستوطنات التى أسسها قيصر فى ولاية أفريقيا التى حلت محل الدولة القرطاجية (٣٢) .

ويذكر ابيانوس " أن قيصر أثناء حملته على أفريقيا عام ٤٦ ق.م أقام معسكراً له ولجنوده بالقرب من مدينة قرطاج وهناك أزعجه حلم راى فيه أن جنوده كلهم يبكون ، فقرر فى الحال إنشاء مستوطنة فى نفس المكان ، وبعد أن عاد قيصر لروما بعد انتهاء الحرب وضع الترتيبات ليرسل غالبية جنوده بعد تسريحهم إلى قرطاج والبعض الأخر إلى كورنثا ، لكن أعداءه فى مجلس الشيوخ الرومانى Senatus قاموا باغتياله عام ٤٤ ق.م قبل أن يتم مشروع المستوطنة " قرر أوكتافيانوس ــ ابن قيصر بالتبنى ــ بناء مستوطنة قرطاج وإتمام مشروع قيصر ، وبالفعل قام أوكتافيانوس ببناء مستوطنة قرطاج الجديدة COLONIA JULIA , CARTHAGO فى نفس المكان

الذى اعتزم قيصر تأسيسها فيه ، ويضيف ابيانوس فيقول " أن أوكتافيانوس أرسل ثلاثة آلاف مستوطن معظمهم من روما والبعض الآخر من المدن المجاورة وأرسلهم لتعمير قرطاج وبذلك استعاد الرومان قرطاج مرة آخرى بعد مائة عام واثنين من تدميرها (٣٣)

ومما ذكره أبيانوس يتضح الآتى : _

١) أن هذا التاريخ بمقارنته بتاريخ سقوط قرطاج سيوافق تأسيس المستوطنة عام ٤٤ ق.م وبذلك يكون قيصر هو مؤسسها .

٢) ووجود اسم عائلة قيصر " Julia " ضمن اسم المستوطنة Colonia Julia Carthago يثبت نسبها الى أكتافيانوس ، لم تكن مستوطنة قرطاج هى الوحيدة التى أمر ببنائها قيصر لكنه أقام العديد من المستوطنات فى الولاية الأفريقية وحول قرطاج ابتداء من عام ٤٦ ق.م بعد انتصاره فى أفريقيا وكلها كانت تحمل اسم عائلته Julia فقد أمر ببناء ست مستوطنات فى إقليم قرطاج وعلى حدود مملكة نوميديا ، وكان هدفه من هذا الإجراء حماية مستوطنة قرطاج من مملكة نوميديا ومن تلك المستوطنات مستوطنة (كوروبيس قوبه Colonia Julia Curubis وكلوبيا Clupea قليبة ونيابوليس Colonia Julia Neapolis وكاربيس Carpis (هنشير مرابسه (٣٤) ومستوطنة ماكسولا Colonia Julia Maxula (٣٥) وأوثينا Colonia Julia Uthiha (وزنه) وثوبوربو Colonia Julia Thuburbo (٣٦) وهيبوديارينوس Colonia Julia Hippo Diarrhytus (بنزرت) ومستوطنة كاربيتانا Colonia Julia Carpitana وإلى الجنوب من قرطاج أسس مستوطنات هادروميتوم Colonia Julia Hadrumetum وثيسدروس Colonia Julia Thysdrus (**انظر الخريطة**) (٣٧). وهكذا وضع قيصر أساس نظام الاستيطان فى ولاية

أفريقيا التى حلت محل الدولة القرطاجية وأصبحت هذه المستوطنات مدناً رومانية ومراكز للثقافة والحضارة الرومانية فى أفريقيا فيما بعد (٣٨) .

وتابع أوكتافيانوس سياسة قيصر الاستطانية بعد اغتيال قيصر ، وأرسل فى عام ٣٥ ق .م ستاتيليوس توروس Statilius Tourus ليتفقد أحوال المستوطنات فى ولاية أفريقيا (٣٩) وبعد انتصار أوكتافيانوس على أعدائه فى روما ، وانتصاراته فى الشرق من اجل توسيع رقعة الإمبراطورية فى عام ٢٩ ق.م فوجد ان جيشه يبلغ تعداده حوالى مليون جندى فوضع فى اعتباره مايمكن ان تسببه تلك الأعداد من الجنود فى روما بدون عمل , فأبقى لنفسه جيشاً تعداده حوالى ثلاثمائه الف جندى وكافأهم بأن وزع عليهم أراضى جديدة , وارسل حوالى ثلاثمائه ألف جندى إلى أفريقيا لتعمير المستوطنات الرومانية وكانت اهمها قرطاج (٤٠) .

استمر اهتمام أوكتافيانوس بتأسيس المستوطنات فى أفريقيا بعد أن صار المواطن الأول فى الإمبراطورية ومنح لقب أوغسطس فى عام ٢٧ ق.م فأسس عدداً من المستوطنات فى شمال أفريقيا كان الغرض منها توطين جنوده المسرحيين مثل مستوطنة الكاف Sicca Veneria وأوثينا Uthina هنشيروقصبات Thuburb Maius (٤١) لكن اهتمام أوكتافيانوس (أوغسطس) كان منصبا على قرطاج لاحيائها وتوسيعها .

ثانيا : نوميديا وموريتانيا

بعد مواقعة ثابسوس Thapsus فى السادس من أبريل عام ٤٦ ق.م (٤٢) استطاع قيصر ان يحقق النصر على أتباع بومبيوس(٤٣) فى أفريقيا كذلك حارب يوبا الأول Iuba I ملك نوميديا الشرقية ، والذى كان حليفاً لبومبيوس واستعمر مملكته شرقى نوميديا وأطلق عليها اسم ولاية أفريقيا الجديدة Africa Nova (٤٤) ثم عين ساللوستيوس كريسبوس Sallustius Crispus حاكماً عليها ومنحه سلطات البروقنصل (٤٥) .

أما نوميديا الغربية فقد كان ملكها ماستينسا متحالفاً مع بومبيوس (٤٦) وبعد انتصار قيصر قسم مملكته إلى قسمين : ضم القسم الغربى منها لمملكة موريتانيا كهدية لملكها بوكوس الثانى Bocchus II ومنح القسم الشرقى منها لسيتيوس Sittius أحد مساعديه (٤٧) وضم هذا القسم إلى ولاية أفريقيا الجديدة بعد مقتل سيتيوس على يد الملك عرابيون Arabion فى عام ٤٤ ق.م (٤٨) واستطاعت روما إضافتها إلى مستعمراتها فى ولاية أفريقيا الجديدة بعد اغتياله فى عام ٤٠ ق.م . ، وبضم مملكة عرابيون لولاية أفريقيا الجديدة أصبحت تلك الولاية تشمل كل أراضى نوميديا , والتى ظلت تحت إشراف الإدارة العسكرية حتى عهد سبتيموس سيفيروس (٥٠) .

وأما موريتانيا الشرقية فقد بقيت بيد أمراء بربريين آخرهم بوكوس الثالث Bocchus المتوفى فى عام ٣٣ ق.م وبعد وفاته الحقها الرومان بمستعمراتهم (٥١) وفى ٢٩ ق.م قام أوكتافيانوس بضم جزء من مملكة موريتانيا إلى ولاية أفريقيا الجديدة . هذا الجزء انتهت حدوده الغربية عند سالداى Saldae (بجاية الحالية) وفى ٢٧ ق.م عندما تولى اوكتافيانوس السلطة المطلقة وأصبح اول إمبراطور رومانى بعد أن منحه مجلس الشيوخ Senatus والشعب لقب أوغسطس Augustus قام بضم ولاية أفريقيا الجديدة ومملكة موريتانيا فى ولاية واحدة عرفت باسم ولاية أفريقيا البروقنصلية Provinicia Africa Proconsularis (٥٢) ثم وزع أوغسطس تلك المستعمرات بينه وبين مجلس الشيوخ ، ثم أدرك أوغسطس فيما بعد أن حدود المستعمرات أكبر مما يجب فقام فى عام ٢٥ ق.م (٥٣) بفصل الجزء الغربى عنها وهو الجزء الذى كان قد ضم فى عام ٢٩ ق.م ومنحه لصديقه يوبا الثانى Iuba II الذى اتخذ من Iol (شرشال الحالية) عاصمة له وسماها قيصرية Caesarea وأطلق على المملكة اسم موريتانيا القيصرية Mauretania Caesariensis وظل بحكم حتى وفاته فى ٢٣ م (٥٤) .

واهتم أوكتافيانوس (أوغسطس) بتأسيس مستوطنات لجنوده . وتمتعت كلها بمواقع هامة فكانت منها المستوطنات المطلة على البحر مثل صالداى Saldae (بجاية) [٥٥]، وايجيلجيلى Igilglili (جيجل) لتوطين جزء من جنود الفرقة السابعة وروسازوس (Rusazu) عزفون [٥٦] فى موريتانيا الشرقية وروسغونيا Rusguniae (البرج البحرى Cap Matifou وكونوغو) Gunugu قواريا وفى موريتانيا الشرقية أيضا أنشأ مستوطنة كارتينا Cartenea (تنس Tenes) لإقامة الفرقة الأوغسطية الثانية وأنشأ مستوطنات أخرى فى المناطق الداخلية الخصبة محصنة ضد خطر القبائل فى الجنوب [٥٧] مثل : توبوسوكتو Tubusuctu تيكلات Tiklat فى موريتانيا الشرقية وكان بها باقى جنود الفرقة السابعة وأكواى كاليداى Aquae Calidae (حمام ريغا Hammam Righa وأيضا ذوكشابار Zucchabar (Miliana) (انظر الخريطة) [٥٨] وكان على الملك (يوبا الثانى Iuba II) أن يحمى تلك المستوطنات التى أنشئت ولم يمنح أوغسطس هذا الملك مملكة فحسب بل منحه هى كليوباترا سيلينى بنت كليوباترا السابعة المشهورة وماركوس انطونيوس ، وعندما قرر الإمبراطور كاليجولا (٣٧ - ٤١ م) ضم مملكة موريتانيا لممتلكات الإمبراطورية الرومانية استدعى حاكمها بطليموس عام ٤٠ م [٥٩] لروما والذى تولى حكم موريتانيا بعد وفاة أبيه يوبا الثانى فى ٢٣م وقتله ، وحكم الرومان تحت اسم موريتانيا القيصرية [٦٠] ثم قام الإمبراطور كلاوديوس Claudius من بعده عام ٤٢ م بتقسيمها إلى ولايتين هما ، موريتانيا القيصرية فى الشرق Mauretania Caesariensis وعاصمتها قيصرية Caesarea (ايول ـ شرشال) وموريتانيا الطنجية Mauretania Tungitana فى الغرب وعاصمتها تنجيس Tingis (طنجة) [٦١] وباحتلال موريتانيا بسط الرومان نفوذهم على كل شمال أفريقيا واستمر الأمر هكذا حتى مجئ الوندال فى عام ٤٢٩ م [٦٢] .

ويتضح مما سبق أنه بعد الاحتلال الرومانى لولاية أفريقيا (قرطاج) لم تكن لديهم الرغبة فى أن يمتد نفوذهم اكثر من ذلك ، ولم يفكروا فى غزو الأراضى النوميدية المجاورة لحدود ولاية أفريقيا واكتفوا بفرض نفوذهم وسلطانهم على مملكة نوميديا وموريتانيا (٦٣) فلجأ الرومان إلى سياسة التحالف وعقد الاتفاقيات مع زعمائها حتى تضمن تبعيتها (٦٤) وقد دفع الرومان إلى ذلك اتساع إقليم نوميديا وموريتانيا ، وكانت مهمة السيطرة على تلك المساحة تستلزم وجود قوات كبيرة وتحصينات قوية لحمايتها مما كان سيكلف الرومان الكثير (٦٥) هذا إلى جانب رغبتهم فى أن تظل نوميديا وموريتانيا موزعة بين عدد من الملوك والزعماء النوميد بين الموالين لهم ، واتبعت معهم سياسة فرق تسد حتى يضعف ذلك من قوة المملكة التى تجاور حدود الولاية الرومانية (قرطاج) من الغرب وماقد يشكل ذلك من خطورة (٦٦) .

وحيث أن أوغسطس أقام مجموعة من المستوطنات لتسكين جنوده التى أتى بها لشمال أفريقيا ، مثل مستوطنة توبوسكوتو Colonia Augusta Tupusptus وكانت تراقب البروقنصلية أو مستوطنة Tikht فى موريتانيا الشرقية وكان بها الفرقة السابعة (٦٧) والمستعمرة التى كانت فى Saldae لتسكين باقى جنود الفرقة السابعة (٦٨). ومستعمرة Rusazus روسازوس . فى موريتانيا الشرقية (٦٩) وفى موريتانيا الشرقية أيضاً أنشأ مستوطنة كارتينا Cartena لتسكين الفرقة الأوغسطية الثانية (٧٠) كما أنشأ مستوطنة تنجى Tinge (Tangier) فى عام ٣٨ ق.م ومستوطنة باناسا Colonia Auqusta Valentia Banasa (Sidi Ali Jenoun) فى موريتانيا فى الفترة من ٣٣- ٢٥ ق.م ثم قام الامبراطور قلاوديوس بإعادة بناء مستوطنة ليكسوس Lixus التى كانت مستعمرة فينيقية من قبل (٧١) .

فقد اتبع الأباطرة سنة أوكتافيانوس (أوغسطس) فى تأسيس المستوطنات لقدماء الجنود فى أفريقيا ، وأغروهم بالامتيازات لتشجيعهم بالاقامة والاستقرار فى هذه المستوطنات الجديدة . فأوغسطس أنشأ مثل هذه المستوطنات فى مملكة يوبا الثانى الحليفة . وكلاوديوس Claudius (٤١ــ ٥٤ م) أقام جنوده فى أوبيدوم نوفوم Oppidum Noviem (عين دفلة) ونيرفا فى سطيف Sitifis وتراجان فى تيمجاد Thamugasلكن فى عهد الانطونيين اقام الجنود المسرحين فى كازاى Casae Nigrare وديانا فيتيرانوروم Diana Viteranorum ولاماسيا (Henchir Lamasba (Merouna وفى لامبيريدى Limbiridi [٧٢] وهؤلاء الجنود من قدماء المحاربين كونوا الدعامة البشرية الرئيسية فى حركة الهجرة من ايطاليا وروما الى أفريقيا ، ومن اهم الامتيازات التى منحها الأباطرة الرومان للجنود بعد تسريحهم هى الاعفاء من الضرائب ، وما من شك فى ان الأعفاء من الضرائب كانت الحافز الذى شجعهم على البقاء فى هذه المستوطنات ورفض العودة إلى الوطن [٧٣] .

وجدير بالذكر أن أوغسطس اتبع فى شمال إفريقيا سياسة ترمي إلى إعطاء صفة المدنية اكثر من البدوية , حتى أصبح أفريقيا عبارة عن مجموعة من المراكز الحضارية تدين جميعها بتأسيس المستوطنات وتطوير المراكز الفينيقية القديمة ، لكنه سعى إلى فرض حياة الحضر على النظام القبلى ، فقام أوغسطس بتحويل الوحدات الصغيرة (الأكواخ Canabae) الواقعة بالقرب من المستوطنات التى شيدها الرومان إلى وحدات شبيهة بالمدن ، وساعد على ذلك استقرار الجنود الرومان فى هذه الوحدات مما أدى إلى زيادة عدد سكانها بعد أن منحوا فيها الأراضي وأقاموا عليها مدنا [٧٤] .

وفى منطقة كيرتا [٧٥] Cirta والتى كان أغلب سكانها من الرومان ، ظهرت ونمت حولها بعض المستوطنات هى : سارنيا Sarnia ، ميلفيتانا Milevitana (Nilev) شولو Chullu (القل collo) وروسيكادى Rusicade (Skika , ex

Philippeville) وهذه المستوطنات الأربع كان لها حاكم محلى واحد ، Praefectus الذى كان يديرها من مدينة كيرتا ، وكانت كويكول Cuicul (جميلة) أيضا تابعة لكيرتا ، وقد حولها الإمبراطور نيرفا (٨ ــ ٩٦م) إلى مستوطنة لقدماء المحاربين ، وكانت تصدر لها جميعاً ولمدينة كيرتا Cirta العملات [٧٦] .

وفى عهد لإمبراطور أوغسطس انضمت كل منطقة كيرتا إلى ولاية أفريقيا البروقنصلية ، ثم انفصلت وأصبحت مدناً مستقلة فى عهد الإمبراطور إسكندر سيفيروس (٢٢٢ ـ ٢٣٥ م) [٧٧] وتجدر الإشارة إلى ان ثيبليس Thibilis عنونه Announa كانت قرية زراعية صغيرة تابعة لمنطقة كيرتا ، وقد بقيت تبعيتها لكيرتا حتى أصبحت ثيبليس مدينة مزدهرة.

وسار تراجان Trajan (٩٨ ــ ١١٧ م) على نفس المنهج الذى وضعه أوغسطس فى معاملة القبائل النوميدية ، وأنشأ مستعمرتين حربيتين فى منطقة قبيلة الموسولاميين Musulamii هما امايدارا Ammaedara (حيدرة) داخل الولاية الرومانية ومداورا Madaura (مداوروش) فى نوميديا ، ومنحتا أرضا واسعة للسيطرة على تلك القبائل ، وأخذ الإمبراطور لنفسه مساحات شاسعة من منطقتها ، ودخلت أجزاء من أراضيها فى حوزة أفراد آخرين من الملاك ، وترك ماتبقى من الأرض لأفراد القبيلة [٧٨] والقبائل النوميدية استقرت فى عهده فى ثلاث مناطق رئيسية : -

١) ماسكولولا Masculula (هنشير جرجور)

٢) ثوربورسيكوم Thurbursicum (خمسية)

٣) كيلاى Cellae فى موريتانيا القيصرية [٧٩]

أما عن الوسائل المباشرة التى اتخذها الرومان فى سبيل تحقيق سيادتهم الرومانية على أراضى شمال أفريقيا فكانت تتركز بصفة خاصة فى تدعيم قواتهم العسكرية ، فقد أمر الأباطرة بإنشاء المعسكرات الدائمة المجهزة بكافة الاحتياجات الرئيسية لجنود فرق الاحتلال الرومانى (٨٠) وعلى رأسها فرقة أوغسطس الثالثة التى عهد إليها بالدفاع عن الكيان الرومانى فى شمال إفريقيا والغرض من عمليات بناء هذه المدن العسكرية مراقبة تحركات قبائل البربر ومراكز تجمعاتهم وصد ثوراتهم ضد روما ، ونتج عن ذلك استيلاء الجنود الرومان على الأراضى المجاورة لمدنهم العسكرية واستغلالها لصالحهم (٨١) والتى عرفت باسم " خارج الأسوار" Extra Muros ".

كما تحولت تجمعات الجنود إلى مراكز هامة نمت وتطورت حتى أصبحت مدناً مثلما حدث فى لامبايزيس Lambaesis وفيرى كوندا Verecunda (مرقونه Marcouna) ولاميجيجى (Lamigiggi باستور) وديانا Diana Viteranorum (عين زانه) وأوبيودوم نوفوم Oppidum Novum (عين دقلة) وسيتيفيس Sitifis (سطيف) ، ومداورا (Madaura) وكويكول Cuicul (جميلة) .

وأسندت مهمة الدفاع عن الممتلكات الرومانية فى شمال أفريقيا إلى الفرقة الأوغسطية الثالثة Legio tertia Augusta ويرجع تاريخ تكوين هذه الفرقة إلى أيام قيصر . فكانت تحت قيادة قيصر أثناء الحرب الأهلية فى إفريقيا والتى انتهت فى عام ٤٦ ق.م وبعد انتهاء الحرب استقرت الفرقة بالولاية الجديدة منذ عام ٤٣ ق.م لإقرار النظام بين النوميديين ولمنع عمليات السلب والنهب التى كانت تقوم بها القبائل الجيتوليين Gaetuli النوميدية (٨٢) وكانت تحت قيادة سيكستيوس Sextius حاكم الولاية ثم وضعت قيادة كورنيفيكيوس Cornificius (٨٣) .

ومنذ عهد أوغسطس وحتى نهاية النصف الأول الميلادى استقرت الفرقة الأوغسطية الثالثة فى مستوطنة أمايدارا Ammaedara (حيدرة) وذلك لحماية

نوميديا التى أصبحت ولاية رومانية منذ عام ٤٠ ق.م . ومن خطر قبائل الموسولامى Musulamii على الحدود الغربية ، وقبائل الجيتوليين Gaetuii على الحدود الجنوبية [٨٤] وفى فترة حكم الإمبراطور فسباسيان Vespasian(٦٩ ــ ٧٩ م) انتقلت هذه الفرقة من مستوطنة أمايدارا إلى مستوطنة ثيفيستى Theveste (تبسه Tebessa) فى الجنوب الغربى ، وقام بتحويل أمايدارا من مستوطنة عسكرية إلى مستوطنة رومانية [٨٥] ثم انتقلت الفرقة إلى تاموجاس Thamugas (Timgad ــ تيمجاد) وفى عهد الإمبراطور تراجان Trajan (٩٨ ــ ١١٧) الذى جعل من ثيفيستى Theveste مستوطنة رومانية ونقل الفرقة إلى معسكر لامبايزيس Lambaesis (لمباز أو Lambessa) لحماية الجهة الجنوبية والغربية من سكان الجبال [٨٦] .

ويشهد عصر الإمبراطور هادريان نشاطاً ملموساً فى ابتكار نظام دفاعى محكم وإنشاء سلسلة من الحصون تمتد على طول الحدود الجنوبية للولاية ، لتشديد المراقبة على قبائل الجنوب ، وبذلك توقف إنشاء مستوطنات جديدة من هذا التاريخ ، ومن الاحتياطات الدفاعية التى اتخذت فى هذا الشأن ودلت على حرص الرومان على مواجهة خطر هذه القبائل ، كان نقل معسكر الفرقة الأوغسطية من تبسه إلى لمبايزيس ثم تأسيس قلعة أدماجوريس Admajores (Besseriani) فى عام ١٠٥ م ، مما اعاق مرور القبائل عبر جبال الأوراس [٨٧] .

ومن أعمال التحصين الهامة التى استخدمها الرومان فى شمال أفريقيا هو انشاء مستوطنات حربية أطلق عليها اسم خط الحدود Limes وترجع فكرة إنشائه فى شمال إفريقيا فى فترة حكم الإمبراطور تيبريوس (١٤ــ ٣٧ م) والليمس عبارة عن خط دفاعى محصن على حدود الولايات ويساعد إنشاؤه مع الموانع الطبيعية على صد الهجمات على الحدود ، والليمس نظام دفاعى حقيقى كان يحتوى على ثلاث عناصر أساسية :

أولا : يحتوى على فوساتوم Fossatum بمعنى خندق وكانت محاطة بأسوار لتحل محل الحصون الطبيعية .

ثانيا : كان يحده منحدر من الأرض وسور تحميه أبراج مربعة أو مستطيلة على مسافات غير منتظمة من أجل مراقبة تحركات القبائل ومنع أفرادها من نهب المناطق الزراعية والقوافل التجارية المتجهة ناحية المدن فى الشمال .

ثالثا : شبكة من الطرق تصل من المراكز العسكرية والقلاع الصغيرة إلى مستوطنات قدامى الجنود والأبراج والمعسكرات .

ويرجع الفضل للإمبراطور سبتيموس سيفيروس (١٩٣ ــ ٢١١ م) فى انتزاع الأراضى من سكان البلاد وإعادة توزيعها على تلك المتسوطنات الحربية لزراعتها فى أوقات السلم ، وبمرور الوقت أصبح جنود تلك المستوطنات الحربية نتيجة لممارستها الزراعة تحولوا إلى مواطنين مدنيين ، وامتدت هذه المستوطنات الحربية مع اتساع الحدود ناحية الجنوب ، طبقا للمتطلبات الاستراتيجية ففى عهد الإمبراطور هادريان اتجه تدريجيا لناحية الجنوب الغربى ، وفى فترة حكم الإمبراطور كومودوس (١٨٠ ـ ١٩٢ م) امتد حتى كيرتا الصغرى والكبرى ، ثم استكملت فى عهد سبتيموس سيفيروس فامتدت جنوب وادى جدى Jedi .

وامتد الليمس مع هذا الاتساع ففى موريتانيا لم تعتمد حدود الليمس على أيه قواعد جغرافية ولكن حسب الضرورة العسكرية ، وفى نوميديا كان يصل تيفاست آتيا من كابسا ، ثم يلتف حول جبال الأوراس من الشمال ثم يتجه نحو اوزيا عبر سهول سطيف ومجانه ، ثم بعد ذلك يتجه إلى الغرب ليصل البرواقية ووادى الشلف عبر أوبيدوم نوفوم وكاستيلوم تانجيتانوم ، ويعبر وادى مينا والهجرة فى كاسترانوفا (المحمدية) والسيق

فى تاساكورا (السيق) ويصل أخيرا إلى نهر الملوية فى مطية وبهذا تطابقت حدود اليمس مع الحدود الطبيعية لبلدان شمال أفريقيا (٨٨) .

قسم أغسطس فى عام ٢٧ ق.م ولايات الإمبراطورية بينه وبين مجلس الشيوخ الرومانى Senatus فعهد بولاية إفريقيا الأمنة لمجلس الشيوخ ليحكمها حكماً مدنياً ، وفيما يختص بولاية إفريقيا بعد الاحتلال ، فإن الرومان وضعوا لها منذ البداية إدارة مدنية . فكان يديرها بروقنصل معين لمدة سنة من طرف مجلس الشيوخ ويقيم فى قرطاجه ، على عكس نوميديا وموريتانيا التى ظلتا لوقت طويل تحت إشراف إدارة عسكرية يراسها ظابط عسكرى ـ ليجاتوس Legatus (٨٩) أما الولاية الحديثة الضم للإمبراطورية فقد وضعها تحت سيطرته المباشرة وكان يحكمها قادة عسكريون يعينهم بنفسه وكان يخاطب روما من غير وسيط . وذلك حتى يستطيع بما لديه من نفوذ كقائد أعلى للجيش أن يمارس سلطة الحاكم العسكرى الأعلى عليها (٩٠) وكانت ولاية نوميديا تحت هذا النوع من الحكومه العسكرية وكانت نوميديا ، الملحقة نظرياً بالبروقنصلية ، تحكم من طرف وكيل Procurator يعينه الإمبراطور ، وابتداء من القرن الثالث فى عهد كاليجولا أصبح لنوميديا كيان خاص واقام الوكيل فى ايميدار ثم لاميز ـ وظلت هكذا حتى عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس الذى وضعها تحت الإدارة المدنية والتى اقتصر دورها فى عملية الاستغلال الاقتصادى من تحصيل المنتجات الزراعية وتحصيل الضرائب (٩١) أما موريتانيا القيصرية فكانت تحكم من طرف وكيل معين من الإمبراطور وله صلاحيات مدنية وعسكرية .

وفى سنة ٢٩٧ م قام دقلديانوس (٩٢) بتغيير فى نظام الحكومة الرومانية فى نوميديا وقسمت إلى أربعة أقسام : ـ

- نوميديا القرطية (وهى الشمال النوميدى) عاصمتها قرطة .
- نوميديا العسكرية (وهى الجنوب النوميدي) عاصمتها لمبس .
- نوميديا السطيفية (مابين مسائما وصلداى) عاصمتها سطيف .
- نوميديا القيصرية (مابين صلداى وملوشات) عاصمتها قيصرية .

<u>أنواع المستوطنات فى شمال أفريقيا :</u>

مما سبق ذكره يتضح ان روما لم تكن تنوى استعمار إفريقيا واكتفت بضم أراضيها لممتلكاتها وبما تحصل عليه منها من الغلال والدخل من الضرائب ، لكن استعمار إفريقيا بدأ يشكل جزء من سياسة روما الاستعمارية خارج ايطاليا بعد محاولة جايوس جراكوس نقيب العامة لإنشاء مستوطنة رومانية مكان مدينة قرطاج القديمة ، وكانت أول أنواع المستوطنات التى انشئت فى ولاية أفريقيا ، ذات الطابع الزراعى والتجارى والصناعى والهدف منها (سياسى اقتصادى) فأنشئت للتخلص من السكان العاطلين فى روما ، وتوفير فرص العمل للفلاحين والتجار الحرفيين ، لذلك كان اختيار أماكن هذه المستوطنات فى الأراضى الخصبة أو فى المراكز التجارية او الصناعية ، وكانت مستوطنة جونونيا Junonia ذات طابع زراعى ، واهتم قيصر بتأسيس هذا النوع من المستوطنات لإيجاد فرص عمل للفقراء والعاطليين فى روما إلى جانب العسكريين المسرحيين حيث أنهم كانوا يشكلون عبء على خزانة الدولة كما أنهم غير منتجيين (٩٣) .

هذا المشروع كما ذكرنا سالفاً فإنه كان فاتحة عهد الاستعمار فى أفريقيا والذى بداه قيصر بصوره واضحة ، فى تشجيع الهجرة من روما إلى الأراضى الجديدة فى الولاية الأفريقية وتعميرها بهدف التخلص من الأعداد الكبيرة من الجنود المسرحيين

والذين زاد عددهم نتيجة الحروب ، بالإضافة إلى المدنيين من الفقراء والعاطلين فى روما وكان نصيب المستوطنة التى قرر قيصر تأسيسها لهذا الغرض مكان قرطاج من هؤلاء الجنود المسرحيين كبيراً وأنشأ قيصر عدداً آخر من المستوطنات كان أساسها منح الجنود قطعاً من الأرض لزراعتها [٩٤] كما أنشأ قيصر عدد من المستوطنات تمتعت كلها بمواقع هامة على ساحل البحر وهى : كوروبيس Curubis وقليبيه Clupea وكاربيس Carpis وهيبوديارهيتوس Hippo Diarrhytus وثيسدروس Thysdrus ونيابوليس Neapolis [٩٥] .

واهتم أوكتافيانوس (أوغسطس) أيضاً بتأسيس مستوطنات لجنوده وتمتعت كلها بمواقع هامة فكانت منها المستوطنات المطلة على البحر مثل صالداى Saldae (بجاية)، [٩٦] لتسكين جزء من جنود الفرقة السابعة وروسازوس Rusazu (عزفون) [٩٧] فى موريتانيا الشرقية وروسغونيا Rusguniae (Cap Matifou) وفى موريتانيا الشرقية أيضاً وأنشأ مستوطنة كارتينا Cartenae (تنس Tenes) لتسكين الفرقة الأوغسطية الثانية وآخرى فى المناطق الداخلية الخصبة محصنة ضد خطر القبائل فى الجنوب [٩٨] .

ووافق أوكتافيانوس (أوغسطس) على ان يقوم الأفراد الرومان من التجار والرأسماليين بتأسيس المستوطنات فى شمال أفريقيا ، ومنحهم أوغسطس كافة التسهيلات فى الهجرة إلى إفريقيا لاستثمار أموالهم فى التجارة وإقامة المشاريع الكبرى [٩٩] كما أقام أوغسطس بإنشاء عدد من المستوطنات الشرقية والتى كانت تمارس شئونها بشكل رسمي من خلال القوانين الرومانية [١٠٠] .

وسار الأباطرة على نفس المنهج الذى وضعه أوغسطس فى تأسيس مستوطنات لقدماء الجنود فى شمال إفريقيا وقد منحهم الأباطرة الأوائل بعض الامتيازات لتشجيعهم

على تعمير هذه المستوطنات منها الإعفاء من الضرائب مما شجعهم على الاستقرار في هذه المستوطنات ورفضوا العودة إلى إيطاليا .

وفي عهد هادريان Hadrian (١١٧ - ١٣٨ م) تم التوقف على تأسيس مستوطنات لتسكين قدماء الجنود ، وشجع على إنشاء المستوطنات الحربية أطلق عليها اسم المحميات Limes وكانت ذات طابع دفاعي ، وتقام بجوار المعسكرات ، وقام الإمبراطور سبتيموس سفيروس (١٩٣ - ٢١١م) بانتزاع الأراضي الزراعية من أهل البلاد ووزعها على جنود المحميات لزراعتها .

نظام الحكم في المستوطنات :

كانت المستوطنات الرومانية في شمال أفريقيا نوعين :

الأول : مستوطنات رومانية Romanae Coloniae وسكانها كانوا يتمتعون بكامل الحقوق الجنسية الرومانية .

الثاني : مستوطنات لاتينية Coloniae Latinae وهي أقل شأناً من المستوطنات الرومانية ، ومارس سكانها كل حقوق المواطنيين الرومان العامة والخاصة مع الالتزام بدفع الضرائب مع الأخذ في الاعتبار أن هذه المستوطنات كان أساسها توطين الجنود المسرحين من مراكز رومانية في أراضي الشعوب الخاضعة (١٠١) .

أما عن نظام الإدارة الذي كانت تعمل به المستوطنات الرومانية في شمال إفريقيا ، بمقتضى القانون معتبره كل سكان المستوطنات مواطنين رومان ويتمتعون بكل حقوق الجنسية الرومانية : ينتخبون ومعفون من الضرائب وكانوا يشاركون الرومان في احتفالاتهم ومنحت المستوطنات كل الحرية في تصريف شئونها وسياستها الداخلية ، وكان قيصر ثم الإمبراطور يحتفظ بحقه في أن يعين حكام المستوطنات ، ونص الدستور على ألا يكون حكام المستوطنات من أعضاء مجلس

الشيوخ الروماني ولايكون ابن أحد أعضاءه عضواً في مجلس المستوطنة المحلي التشريعي (١٠٢) ولما كانت المستوطنات أسست لتسكين فقراء روما وكان من بينهم العديد من العتقاء لذلك أتيحت الفرصة للعتقاء بأن يكونوا أعضاء في المجالس التشريعية المحلية بالمستوطنات ، وذلك استناداً إلى قانون مستوطنة جنيتيفا Colonia Genetiva بأسبانيا فقد أعطى دستورها الحق لأى مواطن فيها بعضوية المجلس التشريعى وقام قيصر بتطبيق هذا الدستور في المستوطنات التى قام بتأسيسها في كلوبيا Clupea وكوروبيس Curubis في ولاية إفريقيا (١٠٣) .

ومنح الإمبراطور هادريان Hadrian (١١٧ ـ ١٣٨ م) المستوطنين في شمال إفريقيا حق اللجوء إليه مباشرة في حالة وقوع ظلم عليهم من قبل جباه الضرائب الجشعين أو وكلاء الإمبراطور (١٠٤) .وحدث في فترة حكم الإمبراطور كومودوس Comodus (١٨٠- ١٩٢م) أن شكى مستوطنو مقاطعة Burunitanus في منطقة بوللاريجيا Bulla Regia بولاية إفريقيا ، للإمبراطور من اعمال جامع الضرائب آيليوس ماكسيموس Aleuis Maximus الجشعة والتعسفية . وطبقاً لقانون فإن المستوطنيين كان على كل واحد منهم أن يسدد قيمة أجر ستة أيام كل سنة للذكور كضريبة مستحقة عليهم ، لكن جشع جامع الضرائب دفع المستوطنين لتقديم شكوى للإمبراطور طالبين منه أنصاف في قضيتهم (١٠٥) ومنحت المستوطنات كل الحرية في تصريف شئونها .

ملحق

ترجع أهمية شمال إفريقيا بالنسبة للرومان فى خصوبة ارضها وثرواتها وانتاجها كمصدر من مصادر الدخل ، ومن هنا جاءت فكرة الاستيطان لاستغلال الأرض ، وهذه الأراضى الخصبة فى شمال إفريقيا كانت فرصة مناسبة للفقراء والعاطلين من الرومان للعمل فى الأراضى البعيدة المفتوحة والخاضعة لروما ، وهى تمنع قيام الثورات ضد روما (١٠٦) .

ويذكر لوكانوس (١٠٧) أن كاتو الأصغر Cato حين وصل إلى إفريقيا ونزل بأرض ولاية إفريقيا وصف لجنوده ثرواتها الطبيعة فقال " إن أكثر مناطقها خصباً تقع فى غرب البلاد ، وحتى هذه المنطقة الخصبة لاتوجد بها أنهار ترويها ولكن الأمر يخضع لهبوب الرياح وسقوط المطر لتروى حقولها "

فالمعروف أن المناطق الشمالية لولاية إفريقيا كانت تمارس فيها حرفة الزراعة وكانت أرضها تنتج العديد من المحاصيل ، فجبال أطلس الشاهقة تمتد موازية لساحل البحر الأبيض المتوسط من قرطاج في الشرق وحتى أقصى غرب الولاية . وهى جبال وعرة أدى ارتفاعها إلى حجز الرياح المحملة بالبخار وسقوط الأمطار التى استخدمت فى الزراعة (١٠٨) وفى بعض الجبال تمكن السكان من عمل المدرجات وزراعتها للاستفادة من مياه الأمطار التى تسقط عليها (١٠٩) .

ووسط إقليم ولاية إفريقيا توجد هضبة واسعة أدى ارتفاعها إلى سقوط الأمطار عليها إلى جانب التكوين الطبيعى الخصب للتربة مما ساعد على زراعة أشجار الزيتون ، (١١٠) كما ساعد وجود نهر بجردة Bagradas على وجود السهول الفيضية الخصبة التى شجعت السكان على زراعة الحبوب (١١١) وإلى الجنوب من ثيفستى

Theveste تسقط الأمطار غير الكافية لزراعة الحبوب لذلك زرعت مساحات كبيرة بأشجار الزيتون إلى جانب انتشار حرفه رعى الأغنام (١١٢) .

أما فى شرق ولاية إفريقيا وعند مدينة كابسا Capsa فتنتشر الهضاب الواسعة وقد تغلب السكان على مشكلة نقص المياه بحفر الآبار العميقة وإقامة الخزانات وأحواض المياه ، وقام السكان بزراعة أشجار النخيل التى تقاوم الجفاف ، إلى جانب انتشار حرفة رعى الاغنام والماعز والإبل (١١٣) .

ومملكة نوميديا كانت تجرى فيها عدة انهار ، كنهر مليانه Miliana ونهر بجردة Bagradas الذى ينبع من الجبال المرتفعة عند مدينة كيرتا Cirta ويصب فى خليج تونس ، وقد تسبب جريانه فى وجود تربة خصبة وقد ساعدت روافده العديدة على قيام الزراعة (١١٤) ثم نهر الامبساج Ampsaga الذى ساعدت سهوله الفيضية ـ التى تفصل شرق وغرب نوميديا ـ على قيام الزراعة فى تلك المنطقة (١١٥) ، كما توجد العديد من السهول فى نوميديا ، من أشهرها سهل يمتد من كيب بون Cape Ben حتى وادى الشلف Chelif فى وسط وشرق الولاية ، وهذا السهل كان محاطاً بكثير من الأودية والأنهار وساعد وجود المياه مع التربة الخصبة إلى جانب تساقط مياه المطر على زراعة العديد من المحصولات أهمها كانت الحبوب (١١٦) مما دفع سترابون إلى القول " بإن سكان تلك المنطقة كانوا يحصدون مرتين الأولى فى الربيع والثانية فى الصيف (١١٧) وهذه السهول تمتد فى مدينة كيرتا حتى غرب مدينة قرطاج وزرعت مساحات كبيرة منه ـ فى العصر الرومانى ـ بأشجار الزيتون (١١٨) .

ويذكر بلينيوس الموارد الزراعية التى ينتجها شمال أفريقيا فى العصور القديمة مثل " التين والرمان والكروم والزيتون " (١١٩) ونظراً لأن شمال أفريقيا كان يقع فى المنطقة المعتدلة الذى ساعد طقسها مع وفرة المياه على إنتاج كميات كبيرة من الغلال والحبوب ، وقد كان الرومان يدعون شمال إفريقية مخزن حبوب روما (١٢٠) فوجد

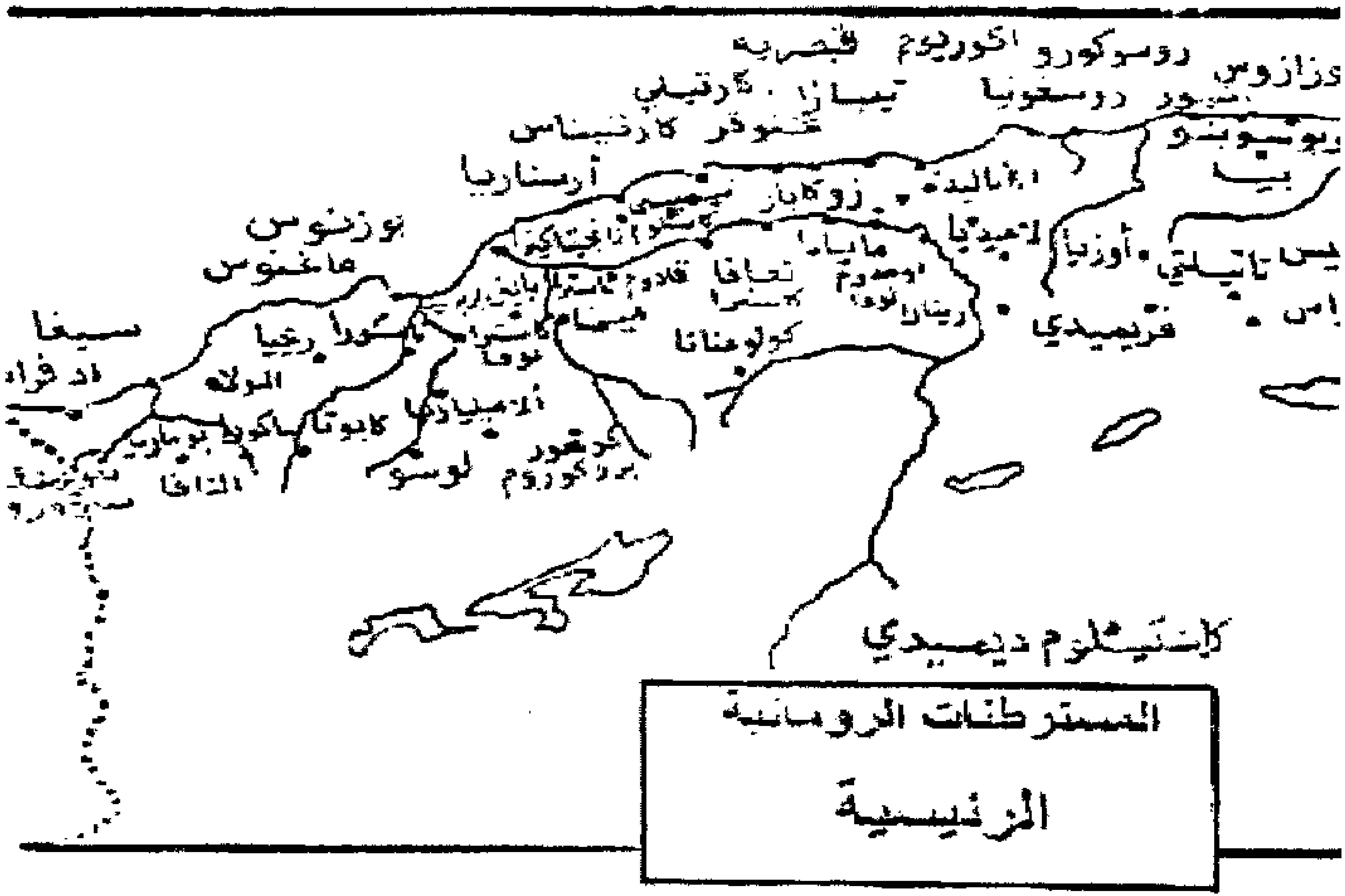
قيصر في المزارع المجاورة لمدينة آجار Ager كميات كبيرة من الشعير والقمح [١٢١] ووجد كميات كبيرة من القمح أيضاً في مدينة أوزيتا Uzitta (وزنة) ، [١٢٢] .

وفي مدينة هادروميتوم ، [١٢٣] وكذلك في مدينة ثيسدروس Thysdrus ومدينة زيتا Zeta [١٢٤] وفي الأجزاء الجنوبية كانت توجد زراعة الزيتون والذي احتل المرتبة الثانية من ناحية الإنتاج ، فقد تمتعت سنة ثوبوربو الكبرى Thuburbo Maius والتي كانت تقع في منطقة وادي نهر مليانة ، بسبب تطور زراعة الشعير , كذلك ازدهرت مدينة (سبتله) Sufetula بسبب تطور زراعة الزيتون [١٢٥] .

وخلال عصر الإمبراطورية كانت السياسة الى اتبعها أوغسطس تهدف إلى كسب مزارعين جدد وبإعداد كبيرة ، وفكر أوغسطس أنه سيضمن بذلك مصدراً دائما لإنتاج القمح ، لذلك تعددت وسائل الإنتاج واستصلاح الأراضي والاهتمام بمشروعات الري ، ففي القرن الأول الميلادي فرضت الحكومة زراعة القمح لإطعام الجيش في إفريقيا وخارجها ثم يوزع الباقي على شبه جزيرة ايطاليا ، وان استنزاف روما المستمر لإنتاج إفريقيا من القمح أثر على خصوبة الأرض التي أدت إلى نقص الإنتاج وتطلب ذلك من الحكومة الرومانية حث المزارعين على تحسين التربة وتكثيف الزراعة ، إلى جانب اتساع مجال الاستيطان مما نتج عنه نقص في كمية الضرائب المحصلة ـ فالقمح لم يكن سلعة مشتراة وإنما كان فرضاً على شمال إفريقيا تقديمه لروما ـ نظراً لأن معظم سكانها أصبحوا من المواطنين الرومان ويتمتعون بحقوق الجنسية الرومانية والتي تمنح صاحبها حق الإعفاء الضريبي [١٢٦] .

أما موريتانيا في غرب شمال إفريقيا فكانت تمد روما بحاجتها من الأخشاب ، ويذكر لوكانوس أرض موريتانيا فيقول " وهذه الأرض غير غنية فيما عدا الغابات في موريتانيا ولكن سكانها يجهلون كيفية استغلالها ويجلسون راضين تحت ظلال أوراق الأشجار ، ثم يقول كاتو أن فنوسهم ــ أي الرومان ــ قد عملت في هذه الغابات

المجهولة ، وأنهم قد طلبوا خشب موائد الأطعمة من آخر الأرض [١٢٧] ومن الجدير بالذكر " أن إقليم قبائل المور Mauri في غرب إفريقيا – موريتانيا – فكانت تفي روما بحاجتها من الأخشاب حيث كانت قبائل تلك المنطقة تمارس حرفه قطع الأخشاب من الغابات إلى جانب حرفة الرعي " على حد قول سترابو [١٢٨] .



المستوطنات الرومانية الرئيسية

فهرس هجائي للمستوطنات الرومانية الرئيسية

في نوميديا وموريتانيا

الاسم القديم	المقابل الحديث	الاسم القديم	المقابل الحديث	الاسم القديم	المقابل الحديث
أد باديس	القصر	كويكول	جميلة	روسيكادا	سكيكدة
أد فراتر	الغزوات	ديانا	عين زانة	روسوكورو	دلس
أموره	البلعة	دوكوم كاسترا	حجوه	روزازوس	عزفون
أد مجوريس	تبرة	غادياوفالا	قصر صباحي	صالداي	بجاية
الإسلوبز	بسكرة	جيميلا	قصبة	سبة	تاكسريت
ألتافا	بني تيومنت	هيبو	بونة	سيتيفيس	سطيف
أنالة	سحرية	هيبو ريجيوس	عنابة	سوفازار	واد شرفة
أوكتافو	أم ...ة	إيكوزيوم	الجزائر	تاغست	سوق أهراس
القصر تنسوس	بر ميهة	إيجيلجيلي	جيجل	تسكورة	آسدق
لمبيسا	حمام صالحين	إيسوم	بلوريت	تاتيوي	ثارتس
أرتيس	برونا	كوستاكورا	سيدي علي بن يوب	تيبوديوس	توبة
أوزيا	سور الغزلان	لامازبا	مروانة	تيبيلاتي	تبسلة
باغاي	بغاي	لامبيز	لامبيز	تاكوس ... سترا	البروالية
بلتيسر سيلوم	سيليل	لامبيريدي	المدية	تيفست	تبسة
بلا	جبل حسوني	ماداوروس	مداوروش	تيديس	عروبة
قيصرية	شرشال	ماليانا	الخميس	تيبوتا	ملية
كالاما	قالمة	ماركيميني	عين البيضاء	تيبازا كومس	وقتيس
كاستر ميركوريس	ليقرة	ماسكولا	خنشلة	تيمزي	لقمة
كارتيناي	تنس	ميلو	ميلة	تيبازا	تيبازة
كارثنس	داموس	مينا	غليزان	توبوسوكتو	تيكلات
كاستلوم سطيفنسيوم	ماسيطاب	نوميروس سيروروم	مغنية	توبونة	طلمبغ
كاستلوم تنجيتانوم	جيميلة	بوماريا	تلمسان	فازامبوس	مورسوت
شوبا	زيامة	بورتوس ماغنوس	بطيوة	فيجيسيلا	قصر الكلب
شولو	القل	كويزا	سيدي بلعطر	فيكوس جوليا	مرقوبا
سيرتة	قسنطينة	رابيدوم	سور جواب	فيسرا	بسكرة
كويكوليس روكوروم	ماعر صاسب	رجيا	عربال	زاراي	زرعية
قرقوصنا	سيدي حسين	روسجونيا	برج البحري	زوكابار	مليانة

نقلاً عن محفوظ قداش ، الجزائر في العصور القديمة

الحواشي ومصادر ومراجع البحث

١) نحن نعرف أن كلمة Coloni والتي تعني استيطان فكانت تعني في الأصل المزارعين وكلمة Colonus تعني مالك لقطعة أرض صغيرة , فهذه الكلمة استخدمت للتعبير عن المستوطن المستقر في أي مكان في المدن الرومانية أو في الأراضي التي يملكها الرومان , ومن هنا جاءت فكرة تأسيس المستوطنات لتكون مراكز رومانية في الأراضي البعيدة المفتوحة , وهذه المستوطنات كانت فرصة مناسبة للفقراء من الرومان للعمل في أماكن خاضعة لروما وهي تمنع قيام الثورات في الأماكن المستعمرة ضد روما , وأطلق الرومان اسم Coloniae وهو أول استخدام لهذا المصطلح .

٢) Appian . i. Roman History (L.C.L) Translated by Horace White , Edited by Bage , T, E , and Rouse ., W, H , D., London ١٩١٣ ., I ,V ١١١ . XIX , ١٣٢ .

٣) مدينة أوتيكا Utica (Bou Chaler) أقدم مستعمرة أنشأها الفينيقيون في شمال افريقية حوالي ١١٠٠ ق.م . عند مصب نهر بجراداس Bagradas ولعبت دوراً هاما في الحياة الاقتصادية والسياسية في دولة قرطاج وكانت من أهم الموانئ التجارية على الساحل الأفريقي Plutarchus Pompey وبعد الاحتلال كانت تحت سلطة حاكم روماني يعينه مجلس الشيوخ الروماني Senatus سنوياً برتبة بروبريتور Propraetor وعندما ازدادت اهميتها وضعها مجلس الشيوخ تحت سلطة حاكم برتبة بروقنصل Proconsul ويجمع بين يديه كل السلطات العسكرية

والمدنيـة فكـان قـائد القوات فيهـا كمـا كـان يـشرف علـى ادارة الولايـة داخليـاً وكـان المسئول عن جباية الضرائب وكان يفصل فى القضايا الهامة بالولاية .

انظر : سيد الناصرى , تـاريخ وحضارة الرومـان مـن ظهـور القريـة حتـى سـقوط الجمهورية , القاهرة ١٩٨٢ ,ص ٨٣ ـ٨٤

٤) Cicero : De lege Agraira , (trans . by Free ., J.H., (L.C.L), (London 1951), 11 xxxII.88

٥)هو القائد الرومانى كورنيليوس سكيبيو Cornelius Scipio (٢٣٥ --١٨٣ ق.م) تولى منصب تريبون عسكرى ثم قنصل , ولقب بالأفريقى Cornelius Scipio Africanus Maior رمزً للنصر على حققه على القائد القرطاجى هانيبال فى موقعة زاما Zama بافريقيا عام ٢٠٢ ق . م .

Polybius ., The Historis (Historiae) (L , C , L) Translated by Paton ., W,R ,Edited by page , T,E, and other ., London 1960 , IV ., XL 24 CF Caesar .

Alexandrian , African and Spanish Wars , The African War (De bello Africo) Translated by Way ., A , G, (L , C, L) Harvard University press London 19550 , 91,92 .

٦) دارت المعركة عند مدينة زاما النوميدية الحصينة وتقع فى منطقة سهلية

Sallustius ., Jugurthan War (Bullum Iugurthium) Translatdby Rofle S, E ,. (L, C, L) London 1960 LVILL .

وانتهت هذه الحرب بعقد اتفاقية سلام بين الطرفين فى ٢٠١ ق . م عرفت بإتفاقية " زاما " .. Appian L. V III . Tx . ٥٤ CF ., Polybius ., V.XV. ١٨ لكن اضطرت قرطاج لشن حربا على محلك توميديا عام ٥٠ ق . م نتيجة لاعتداءات ملكها ماسينسا (Masinssa) على أرضيها وخرق بذلك القرطاجيين أحد بنود إتفاقية زاما الثالثة على السبب إليه روما لإعلان الحرب البونية الثالثة على قرطاج (١٤٦ - ١٤٩ ق . م) .

Livius ., From the Founding of The city

(AbUrbe Condita) Translated by , Foster ,B, O , Harvard

University Press , London 1975 , IX , XXVIV , LXI , LXII .

٧) Gsell ., Stephane ., Histoire Ancienne de L`Afrique – Vdu Nord . (paris 1972) Tom VII ., p 64

٨) Appian ., III..,I ., III . 24

٩) Ciero ., II ., XXXII ., 88 .

١٠) Appian., I ., VIII., X . 136.

١١) Gsell ., S., op ., cit ., Tom . VII , P 58 .

١٢) أندرى ايمار وحانين ابوايه , تاريخ الحضارات العام , المجلد الثانى , روما امبراطوريتها الطبعة الثالثة , منشورات عويدات - بيروت ١٩٩٤ , ص ٦٦ .

١٣) Appian ., 10 ,. VIII , XX , 136 .

١٤) Ibid ., III ., I ,. III ,. 24

١٥) عبد اللطيف أحمد على , التاريخ الرومانى , عصر الثورة من تيبريوس جراكوس إلى أوكتافيوس اغسطس , دار النهضة العربية القاهرة , ١٩٨٨ , ص ٢٥ _ ٢٦

١٦) مبارك بن محمد الهلالي الميلي , تاريخ الجزائر في القديم والحديث , النهضة الجزائرية بيروت ١٩٦٣ , الجزء الأول ص ١٨٥ .

(١٧ Appian . III.I.III . 24. CF., Gsell ., S., op. cit ., VII . P . 58

(١٨ Ibid ., III., I., III ., 24

١٩) عبد اللطيف أحمد على , مرجع سابق , ص ٢٥ Ibid ., III ., I ,. III. 24.

٢٠) كان هدف جايوس توطين فقراء روما وإيطاليا في أفريقيا وإيجاد فرص عمل للفقراء في الأراضي الجديدة لزراعتها واستغلالها لصالح روما ، وكان هدف مجلس الشيوخ الروماني التخلص من الزعماء الشعبيين الذين يهددون مصالح النبلاء في روما ، سيد الناصري ، تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ، الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

٢١) عبد اللطيف أحمد على , مرجع سابق , ٢٥ Appian ., III ., I., III., 24

(٢٢ lutarchus ., Gaius Gracchus ., X .

(٢٣ Ibid ., X,

(٢٤ Appian ., III., I., III., 24

(٢٥ Appian ,. I., V., II.,XX, 136

٢٦) عرض نائب العامة روبريوس بتوجيه من جايوس جراكوس قانون خاص بإنشاء مستوطنة جونونيا في أفريقيا على مجلس الشيوخ الروماني الذي وافق عليه في عام ١٢٩ ق.م وعرف منذ ذلك LexRubria.

انظر Appian ., III., I., III , 24

٢٧) عن قصة كفاح جايوس مع مجلس الشيوخ الرومانى انظر : عبد اللطيف أحمد مرجع سابق (ص ٢٥ _ ٣٦ .

٢٨) عن هذا القانون أنظر : نفس المرجع السابق , ص ٣٨ هامش ١_جـ

٢٩) فى عام ١٠٣ ق . م استصدر لوكيوس أبوليوس ساتورنينوس Lucius Appullius Saturninus قراراً بتوزيع قطع صغيرة من الأراضى فى أفريقيا على قدماء الجند ، انظر سيد الناصرى ، مرجع سابق ، ص ٢٥٤ـ ٢٥٥ .

٣٠) نفس المرجع السابق , ص ٣٣٠ - ٣٣١ ، وانظر عبد اللطيف أحمد على ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ـ ١٥٩

٣١) كان ماريوس (١٥٧ ـ ٨٦) من أسرة ايطالية الأصل تنتمى الى طبقة الفرسان نشأت فى اربينوم (حوالى ٦٠ ميلاً جنوب شرق روما) ولى منصب كويستور عام ١٢١ق.م وتريبونه العامه فى ١١٩ ق.م والبريتوريه فى ١١٥ ق.م وقمع ثورة بعض القبائل الأسبانية فى ١١٤ ق.م واختير فى عام ١٠٩ قائداً مساعداً Legatus لميتيوس قائد الحملة فى أفريقيا , وفاز بالقنصلية عام ١٠٧ ق.م وفى عام ١٠٤ ق.م سيق يوجورتا فى موكب انتصار ماريوس كما اختير قنصلاً لعام ١٠٤ ق.م , انظر عبد اللطيف أحمد على مرجع ص ٤٨ وبعدها .

CF ., Dio Cassius ,. History (Historia) Translated by Cary ,E .,
(L , C,. L)London , 1956 , XL , III ,. 14 ., I ., CF ,. Suetonius .,
Deified Julius (Divus Iulius) ,Translated by Rolfe ., J.,C.,
(L., C, L) London 1059 ., XL11 , 1 .

٣٢) Dio Cassius ., XL 111, 14 -1

٢٣) Plinius ., Natural History (Historia Naturalis) Translated by Jones ,. W,.H(L , C,. L) London 1955 ., V., 111., 25

وانظر سيد الناصرى , مرجع سابق , ص ٣٨٦- ٣٨٨ , للوقوف على خطط قيصر من أجل تحقيق الرخاء فى ولايات الامبراطورية .

٢٤) Appian ., V., III ., XX ., 136 .

٢٥) Plinius ., V.., 111., 24

٢٦) Ibid .

٢٧) Gsell ., S ., Op ., Cit ., Tom ., VIII . P . 169

٢٨) Ibid .

٣٩) رشيد الناضورى ، المغرب الكبير ، الجزء الأول ، العصور التاريخية الحضارية والسياسية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الإسكندرية ١٩٦٦ , ص ٣١٥ ومابعدها ، وانظر أيضاً مبارك بن محمد الهلالى الميلى ، مرجع سابق ، ص ٢١٣ ومابعدها .

٤٠) Simon Harnblower and Antony Spawforth , The Oxford Classical Dictionary The Ultimate Reference Work on Classical World , Thied Edition , Oxford University Press 1996 , p , 1438 .

٤١) سيد الناصرى , تاريخ الامبراطورية الرومانية , السياسى والحضارة , دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩١ ، ص ٤٤ .

٤٢) Gsell ., S., op ., cit ., Tom VIII ,. P 168 and , p 197

٤٣) Gaesar ., 93 .

٤٤) W Cicero The Letters to his friends (Epistulae ad , Familiars) Trans Lated by Williams Glynn , Edited by , Page , T , E , And thers (L . C , L) Harvard University Press . London 1943 ., L, VI ., X111 , 2 , 11 , 1X , X , VIII, 2 CF ,. Appian , I , V , IIIXVI ,. 105

٤٥) Appian ., III., II ., XIV ., 106 ., CF ., Caesar , 97).

٤٦) Dio Cassius ., XL III., 9 ., 2 ., CF ., Appian ., III ., II ., XIV ., 100 CF also

Caesar ., 97 .,

Appian ., I., V ., I V ., VII ., 54 (٤٧

٤٨) هو جندى رومانى ثرى ، كون جيش فى المرتزقة ، وحارب فى افريقيا الملك النوميدي يوبا الأول فى الفترة من ٦٤- ٤٧ ق.م Jub I

٤٩) انظر مبارك بن محمد الهلالى الميلى ، مرجع سابق ، ص ١٨٦

Appian : IV , VII , 53 - 54

Dio Cassius ., XIVIII ., 22 , 3 (٥٠

Caeser ., 25 ., CF ., Appian ., IV , IV , VII ., 53 – 54 CF ., also ., Gsells , (٥١
Opcit ., Tom VII ., P 275

Ibid (٥٢

Dio Cassius ., XIX., 43 , 7 (٥٣

Appian , IV,VII,. 53 (٥٤

Strabo ., XVII ., III ., 7 (٥٥

Ibid (٥٦

Mackendrick , p ., The North African Stones Speak ,. The (٥٧
University of North Carolina Press ., Croom Helm London 1980 ,. Pp ., 277_278 .

Plinius ., V. I , 20 . (٥٨

Mackendrick ., p ., op ., cit ., p ., 277 (٥٩

Livius , VIII , XXX, XL ,III CF Appian ., I ., VIII ., 33 (٦٠

Strabo ., XVII ., III ., 10 (٦١

Sallustuis ., LXXX. (٦٢

Liviusx III ., V 111., XXX ., CF ., Appian ., 33 (٦٣

Strabo ., XVII ., III ., 10. (٦٤

Sallustuis ., L XXX (٦٥

٦٦) استعان الرومان فى وقت الحرب بقوات من جيوش ملوك نوميديا وموريتانيا (الحلفاء) فلجأ اليهم ماريوس أثناء حرب يوجورتا وحصل على المساعدة العسكرية من الملك بوكوس الأول Pocchus I ملك موريتانيا (٥ ., Appian ., II., VII ., III) ويصف لوكانوس (Lucanus ٧٢٠ _ ٦٦٦ , IV .,) ضخامة القوات التى قدمها يوبا الأول Juba I لكوريو Curio أحد أتباع قيصر والذى أرسله فى حملة أفريقيا عام ٥٠ ق . م (Cicero ., I., II ., V ., II ., I) كما ذكر قيصر (٤٨ ., Caesar) ان يوبا Juba أمد سكيبيو بـــ ٣٠ , ٠٠٠ ألف جندى من المشاة و ٢٠ , ٠٠٠ ألف من الفرسان إلى جانب ستين فيلاً وعدد كبير من رماة السهام , وعندما قامت معركة ثابسوس شارك يوبا بقواته (١ ., ٨ ., Dio ,. Cassius ., XL III) هذا ليس حصراً وإنما أمثلة تظهر انه كان يتم الاستعانة بقوات الملوك الحلفاء .

Strabo ., XVII ., III ., 10 (٦٧

Plinius ., V ., I ., 20 (٦٨

٦٩) يذكر سيد الناصرى ، مرجع سابق ص ٤٥ ان هذه المستوطنات المتميزة فى موقعها على السواحل وكان لها دور كبير فى تدعيم وانتشار الثقافة والفكر الرومانى .

٧٠) Gsell ., S., op ., cit ., Tom ., VIII ., P ., 203

٧١) Mackendrick ., p ., of ., cit ., pp ., 288 –295

٧٢) محفوظ قداس ، الجزائر فى العصور القديمة ، ترجمة صالح عباد ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ١٩٩٣ ص ١٤٢

٧٣) Gsell ., S., op ., cit ., Tom ., VII ., P ., 136

٧٤) رستوفتزف .م . تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى ، ترجمة زكى على ومحمد سليم سالم ، النهضة المصرية ، ١٩٥٧ ، ص ٨٧ ومابعدها .

٧٥) كيرتا Cirta كانت أهم مدينة فى أفريقيا الجديدة فى عهد قيصر ٩٦ ., Appian ., III.,II ., XIV عام ٤٤ ق.م واطلق عليها Colonia Cirta Sittianorum ومنحها قيصر استيوس رومانية وبعد وفاة سيتيوس أصبحت مستوطنة رومانية

Plinius ., VII ., ٢٢ ., cf ., Mackendrick ., pa ., Op ., Cit ., pp ., ١٩٧ ff

٧٦) بعد عام ٤٦ ق. م وتأسيس قيصر لولاية إفريقيا الجديدة , Africa Nova صدرت عمله كانت تحمل اسم سيتيوس Sittius وكان منقوش عليها كتابات لاتينية وذلك فى منطقة كيرتا , والتى منحها قيصر لسيتيوس

Plinius ., V.,II ., 22

٧٧) Gsell ,. S,. op ,. Cit ,. Tom VXI ., PP ., 158 FF

٧٨) Mackendrick ., p ., op ., cit ., pp ., 107 – 108

٧٩) Strabo ., XVII ., III ., I ., and g

٨٠) سيد الناصرى , تاريخ الامبراطورية الرومانية , مرجع سابق , ص ٣١٨ .

٨١) انظر نفس المرجع السابق .

٨٢) Sallustius ., XVIII ., CF ., Strabo ., XVII- III . 19

٨٣) Cicero ., II., XI ., XIV ., 2

٨٤) AppianIV , III, XII , 91 .

٨٥) Gsell ., S ., Op ., cit ., Tom VIII ., P ., 228 ff

٨٦) يذكر Polybius., III.V.٢٢ أن عدد الفرقة الاوغسطية الثالثة نظريا كان ٦٠٠٠ وعمليا كان ٤٠٠٠ .

٨٧) ويذكر ٤٥-٤٤٠ . Luncanus., LX ان هذه المشكله انتهت باحتلال المناطق الجنوبية احتلالاً عسكرياً وخاصة في منطقة Syrtesحيث تقيش قبائل النسامونيس Nasamones الشديدة البأس .

٨٨) انظر: محفوظ قداس ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ ومابعدها .

٨٩) Gsell ., s ., op ., cit ., Tom VII ., P ., 136 .

٩٠) انظر: محفوظ قداس , مرجع سابق , ص ١٧٥ .

٩١) Plinius ., vi ., 21 ., CF., Gsell ., s ., Cit ., Tom ., III., p ., 197

٩٢) انظر : مبارك بن محمد الهلالى الميلى ، مرجع سابق ، ص ١٩١ .

٩٣) عبد اللطيف احمد على ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

٩٤) سيد الناصرى ، تاريخ وحضارة الرومان ، مرجع سابق ، ص ٢٥٥

٩٥) رستوفتزف ، م ، مرجع سابق ، ص ٦٤

٩٦) Strabo ., xv., II,. 7

٩٧) Ibid

٩٨) Mackendrick ., p., Op ., Cit., pp., 277-278

٩٩) رستوفتزف ، م ، مرجع سابق ، ص ٣٨٩

١٠٠) سيد الناصرى ، تاريخ الامبراطورية الرومانية ، مرجع سابق ، ص ٤٥

١٠١) Mackendrick ., p., op., cit ., pp., 42-43

١٠٢) عبد اللطيف احمد على ، مرجع سابق ، ص ١٩٠

١٠٣) نفس المرجع السابق والصفحة

١٠٤) سيد الناصرى ، تاريخ الامبراطورية الرومانية ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٥ ــ ٢١٦

١٠٥) نفس المرجع السابق والصفحة ، وانظر أيضا رستوفتزف ، م ، مرجع سابق , ص ٤٣٤ ومابعدها .

١٠٦) Gsell ., s ., op ., cit ., Tom VII ., P ., 58

١٠٧) Lucanus ., Ix., 300- 302

١٠٨) Gsell., s., op., cit., Tom I., p., 5

١٠٩) Ibid ., p., 3

١١٠) Ibid ., p ., 19

١١١) Herodotus ., IV., 191

١١٢) Strabo ., XVII- III ,7

١١٣) Gsell., s., op., cit ., TomI., p., 19., and ., 21

١١٤) Strabo ., XVII- III . 19

١١٥) Plinius ., V., I., 19

١١٦) Gsell ., s ., op ., cit ., Tom I ., P., 7-8

١١٧) Strabo ., XVII., III ., 11

١١٨) Ibid ., 7

١١٩) Plinius ., XVIII ., v ., 24

١٢٠) مبارك بن محمد الهلالى الميلى ، مرجع سابق ، ص ٣٣ .

١٢١) استولى قيصر على قمح مدينة سارسورا Sarsura والتى تقع الى الغرب من مدينة أجار Agar انظر Caesar ., ٦٥-٦٧ .

١٢٢) Ibid ., 76

١٢٣) Ibid ., 89

١٢٤) Ibid ., 68 ., 97

١٢٥) Mackendrick ., p ., Op ., cit ., p 32 land p 324

١٢٦) Dio cassius ., LXXVIII ., 905

١٢٧) Lucanus ., IX ., 300 – 302

١٢٨) Strabo ., XVII ., III ., 4

وحی آمون

وحى آمون فى سيوة

وزيارة الإسكندر الأكبر

سيوة فى عصر الأسرة السادسة والعشرون :

بدأ عصر الأسرة السادسة والعشرين فى مصر عام ٦٦٣ق.م وانتهى عام ٥٢٥ق.م ,وخلال هذه الفترة حدثت تحركات وتحولات ذات أهمية قصوى فى العالم القديم ليس فقط فى اقطار الشرق الأدنى ولكن كذلك بين اليونانيين والحضارات الأسيوية فى اواسط اسيا وفى الصين .

وفى عام ٦٧١ق.م غزا مصر الملك الأشورى أسرحدون وفى حين قبل بعض الأمراء المحليين حكام المدن الرئيسية النظام الجديد فقد قاومة أخرون ولم يلبثوا أن فروا الى النوبة وبعد بضع سنوات عادوا وحاولوا أن يطردوا الغزاة وقد أثرت حالة القلاقل هذه الة حد كبير على وضع مصر كمركز للتجارة فى الشرق مما ترتب عليه أن اتجهت التجارة مع الهند الى الخليج العربى ، وفضلا عن ذلك فقد تحولت تجارة السودان وأواسط افريقيا الى طرق القوافل عبر الواحات ومنها الى ساحل البحر المتوسط حيث كانت البضائع تنتقل فى مراكب يونانية أو فنيقية الى أوربا والى كل مكان .

وبعبارة اخرى ربما كان غزو أشور لمصر مسئولا عن ازدهار واحات الصحراء الغربية فى مصر فى تلك الأيام كما كان مسئولا الى بعيد عن تأسيس بعض المستعمرات اليونانية على الساحل الجنوبى للبحر المتوسط وأهمها قورنية مصدر خطر ليس فقط على سكان ليبيا ولكن كذلك على مصر ذاتها ,وذلك هو السبب الذى دعا واح وايب رع (ابريس) وخلفه أحمس الثانى الى انتهاج سياسة جديدة حيال الواحات .

فى عصر الأسرة السادسة والعشرين ,وابان عهد احمس الثانى معبد الوحى الذى لايزال قائما على صخرة أغورمى ,ومن المحتمل انه كانت توجد معابد للاله أمون وربما للآلهة محلية أخرى قبل ذلك الوقت .

كان حكام الواحات ينتمون الى قبائل ليبية (الماشواش) الذين جعلوا مقاليد الحكم فى أيديهم وأن كانوا قد اعترفوا بفراعنة مصر ملوكا عليهم , ولكن نظرا لأن الملوك المصرين كانوا يقيمون بعيدا فى قصورهم فى العاصمة فقد كانت كل واحه فى حقيقة الأمر عن مملكة صغيرة وحاكمها هو الملك المحلى .

ويذكر هيرودوت الذى عاش فى منتصف القرن الخامس ق.م أن ملك واحه آمون فى تلك الأيام كان يدعى اتيارخوس (Etearchus) اما أهالى قورينة الذين اعتادوا السفر الى سيوة للتجارة ولا ستشارة وحيها فقد قصوا على أبى التاريخ "قصصا كانوا قد سمعوها من اتيارخوس تتعلق بمغامرة خمس شبان قاموا برحلة خطرة , وكان هدفهم استكشاف الأراضى الواقعة جنوبى ساحل ليبيا وصحرائها ووصلوا الى أرض يقطنها قوم سود البشرة صغار الحجم وبها نهر ضخم كان يظن فى ذلك الوقت انه نهر النيل .

وحى آمون فى الصحراء الليبية :

ذاعت شهرة وحى آمون بسيوة فى كافة اقطار البحر المتوسط منذ بداية الأسرة السادسة والعشرين , ولكن اذا اردنا ان نتتبع أصل هذا الوحى فليس أمامنا إلا ان نفترض أنه بدأ فى فى وقت ما أثناء او قبل الأسرة الواحدة والعشرين حين كانت قوة كهنة امون ونبوءات هذا الأله تلعب دورا بارزا فى الديانة وفى ادارة الحكومة فى مصر , ومن المحتمل أن يكون قد تم بناء معبد لأمون رع فى سيوة فى تلك الأيام , وهو الذى صار فى وقت لاحق مركزا لوحى مركزا يمكن الاعتماد علية وفى عصر الأسرة السادسة والعشرين ذاع صيت وحى آمون فى الصحراء الليبية .

ونحو عام ٥٥٠ ق.م حاول كرويسوس ملك ليديا الذى كان معاصرا للملك أحمس الثانى أن يختبر مدى المعرفة لدى نبوءات العالم لكى يستشيروا واحدة منها فيما يتعلق بموقفه فى المستقبل تجاه قورش عاهل فارس الذى كان بصدد أرساء دعائم الأمبراطورية الفارسية العظمى , وقد ادرك كريسوس انه لا مفر من حدوث صدام بينة وبين قورش ولذلك أراد أن يستفسر عما اذا توجيه حملة عسكرية ضد فارس , ويقول هيرودوت " تحقيقا لهذا الهدف بدأ كرويسوس على الفور يختبر حظه مع النبؤات فأرسل الى دلفى Delphiوالى آباى Abae فى فوكيا Phociaوالى برانخداى Branchidae فى مليسيا Milesia و كانت هذه هى النبؤات اليونانية التى استشارها ولكن نظرا لأنه لم يكن ليقتنع بها وحدها فقد أرسل كذلك الى نبوءة آمون فى ليبيا ".

أوفد كريسوس رسلا الى كل هذه النبواءات السبعة بعد ان اعطى أوامره لكل واحد منهم بأن يستشير النبوءة الموكول اليه أمرها فى اليوم المائة بعد مغادرة ساردیسی (عاصمة ليديا فى آسيا الصغرى : المترجم) ويستفسر عما كان كرويسوس) يفعله فى تلك اللحظة وعليه أن يسجل الاجابة ويخبرنا هيرودوت وكذلك انه حينما عاد كافة الرسل ,فتح كرويسوس كل الرسائل وقرأ محتوياتها ,ولم يكن من بينها ما آثار اعجابه فيما عدا تلك التى حملت الاجابة من دلفى هى النبوءة الوحيدة الصادقة فى العالم لانه بعد أن اوفد كريسوس رسله فكر فى امر لم يكن ليخطر ببال أحد ,ففى اليوم المحدد قطع بيده سلحفاة وحملا ووضع الاثنين يغليان فى مرجل من البرونز كذلك .

لايخبرنا هيرودوت عن الاجابات التى اعطتها النبوءات الاخرى وعن مدى قربها او بعدها عن الحقيقة ، وعلى اى حال فان هذه القصة تبين بوضوح تام ان نبوءة سيوة كانت تعد واحدة من أشهر سبع نبوءات فى العالم القديم وان اجاباتها كانت تلقى احتراما وثقة كبيرين .

جيش قمبيز :

غزا الفرس مصر عام ٥٢٥ق.م وانهوا بذلك عصر الاسرة السادسة والعشرين وكان جيش الغزو تحت قيادة قمبيز ابن وخليفة قورش واثناء وجودة فى مصر قرر ارسال ثلاث جيوش : اولها الى النوبة تحت قيادته الشخصية وثانيها الى قرطاجة (قرب مدينة تونس الحالية) اما الثالث فالى واحه آمون , وقد انتهى الامر بالجملة الاولى الى الفشل الذريع وبعد أن نزلت به كثير من المصائب عادت بقية الجيش الفارسى الى مصر اما الحملة الثانية الموجهة ضد قرطاجة فلم تتم لان الفينقيين الذين كانوا يساعدون قمبيز باسطولهم رفضوا محاربة ابناء عمومتهم من القرطاجيين .

ومن السهل معرفة الاسباب التى دفعت قمبيز الى ارسال حملتين ضد النوبة وقرطاجة ولكن لا يمكننا العثور على ايضاح مقنع لحملته ضد سيوة اللهم الا اذا كان حقد قمبيز على نبوءتها هو السبب ومن المحتمل ان تكون نبوءة سيوة قد تنبأت بناية التعسة له ولنظام حكمه فى مصر بعد وقت قصير , فأراد ان يعاقب الكهنة وفى نفس الوقت يثبت للمصرين و اليونانيين الذين كانوا يؤمنون بوحى آمون ان نبوءة سيوة وكهنتها لا يملكون لهم نفعا ولاضرا ومرة اخرى فأن هيرودوت هو اقدم مصدر تستمد منه المعلومات إذ يذكر انه عندما وصل قمبيز إلى طيبة فى طريقة إلى النوبة " جرد جيشا قوامه ٥٠٠٠٠ رجل وامراة بمهاجمة الامونيين ـــ واسترقاقهم وحرق نبوءة زيوس ويضيف هيرودوت ان الحملة ضد الأمونيين تحركت من طيبه.ومعه المرشدون وصلت وصلت مدينة الواحات اى الواحة الخارجة التى تبعد عن طيبة بمسيرة سبع ايام عبر الرمال كما ذكر هيرودوت ويعرفها الاغريق باسم جزيرة المباركين" وبعد ان تركت الحملة الخارجية اختفت تماما ولم تصل إلى اى مكان آخر فى مصرو يستطرد هيرودوت " هناك على اى حال قصة يحكيها الامونيين وغيرهم ممن سمعوا منهم فحواها انه بعد أن ترك رجال الواحة بينما كانوا يتناولون الغداء هبت ريح جنوبية بالغة العنف فهالت الرمال اكواما عليهم وهكذا هلكوا إلى الأبد ".

لقد انتقم آمون لنفسه ممن كانوا يريدون تدمير معبده ويبغون قتل واسترقاق كهنته ولابد ان يكون ضياع هذا الجيش هو النهاية التعسة التي لاقاها قمبيز نفسه قد زادت من هيبة تلك النبوءة .

ومع انه من الممكن جدا ان يكون عدد رجال الجيش مبالغ فيه إلا ان هذا لايغير من الحقيقة التاريخية فى شئ وهى ان الجيش الذى ارسله قمبيز سنة ٥٢٤ ق.م وقد طمر تحت رمال الصحراء الغربية فى مكان ما فى منتصف الطريق بين الخارجة وسيوة .

وقد ألهبت الرغبة فى الكشف عن مواقع هذه الكارثة خيال الرواد هذه الصحراء لسنين عديدة لاسيما بعد استخدام السيارات فى القرن الحالى إلا ان احدا لم ينجح فى العثور على اى خيط قد يؤدى إلى إماطة اللثام عن هذا اللغز بل وحتى حينما استخدمت الطائرات الصغيرة لم يسفر البحث عن شئ ويعتقد المستكشفين ان الجيش المفقود يعد بمثابة كنز دفين يساوى ملايين الدولارات وكثيرا ماقضوا الساعات يحسبون الثمن الذى يمكن ان يباع به سلاح الجيش إلى المتاحف وجامعى التحف فى كافة ارجاء العالم إذ من المسلم به ان رمال الصحراء الجافة تولت الحفاظ على هذة الاسلحة و المعدات فضلا عن الممتلكات الشخصية للجنود ومن يدرى فاحيانا تتحقق أحلام اليقظة .

ومن المعروف ان العواصف الرملية فى الصحراء خاصة فى مناطق الكثبان تسبب الكوارث , ففى عام ١٨٠٥ دفنت نفس رمال الصحراء الليبية قافلة مكونة من ٢٠٠٠ رجل ومعهم ابلهم بينما كانوا فى الطريق من غرب السودان إلى اسيوط .

وفى مخطوط سيوة تقرأفى موضوعيين عن جيشين دفنتها العواصف الرملية وكان الاول عبارة عن قوة خرجت لملاقاة الغزاة من المسلمين ولكن فاجئتها عاصفة رملية دفنتها فى الرمال عن بكرة ابيها , اما الثانى فكان جيشا من قبيلة التو السوداء الذى كان ينوى مهاجمة سيوة و لكن جنوده ضلو الطريق فى الصحراء وقد تكون كلتا الروايتين صحيحة و ربما تكون كل منهما مجرد صدى لقصة قمبيز فى سياق مختلف.

سيمون ووحى آمون :

فى عام ٤٥٠ ق.م ضرب القائد الأثينى الشهير سيمون بن ملتيادس حصارا على جزيرة قبرص بأسطوله ولكن الجزيرة قاومت الحصار .

وكان سيمون يؤمن بصدق وحى أمون و لما كان يريد ان يعرف مقدما نتيجة هذه الحرب فقد أرسل بعض رجاله إلى سيوة لاستشارة نبوءتها إلا أن النبوءة رفضت ان تعطيهم أيه أجابة وامرتهم بمغادرة الواحة بأسرع مايمكن وابلغهم ان سيمون الذى ارسلهم موجود بالفعل مع آمون , فغادروا سيوة واستقلوا باخرة من برايتونيوم Praetonium(مرسى مطروح) واتجهوا جنوب قبرص , وحينما وصلوا مصر علموا من اليونانيين المقيمين بها ان سيمون قد توفى ولما حسبوا الايام وقارونها بتاريخ وفاته وجدوا انه توفى فى نفس اليوم الذى أخبرهم فيه آمون "انه يوجد فعلا " وذاع حديث هذه القصة فى جميع انحاء العالم القديم وأصبحت نبوءة سيوة ان يعلموا فى نفس اليوم بما حدث فى مكان بمثل هذا البعد ؟ وبالطبع لم تكن وسائل الاتصالات معروفة فى تلك الأزمة المبكرة .

بندار (Pindar) :

كان بندار (٥١٨- ٤٣٨ ق.م) الذى يعتبر اعظم شاعر غنائى يونانى , من اكبر المعجبين بنبوءة آمون , وقد ارسل كهديه للإله تتعلق به , وكانت هذه اللوحه لاتزال قائمه فى المعبد , نصف مدفونه , حينما زار بوسانياس (pousanias) سيوة بعد مضى ٦٠٠ اى فى عام ١٦٠ ق.م وحين ادرك بندار الكبر بعث يرسل الى نبوءة آمون سائلا الاله ان يمنحه اعظم البركات الانسانيه , ثم توفى فى نفس العام .

يوبتاس الرياضى :

وصلتنا قصص أخرى كثيرة عن هذه النبوءة فى النصف الثانى من القرن الخامس ق.م عن طريق كتابات المؤلفين الكلاسكيين , ولا داعى لذكرها جميعا وان كنت احب أن اشير الى احدها لأنها اثارت ضجة كبيرة فى ذلك الوقت , فقد ابلغ آمون سيوة يوبتاس (Eodotas) احد الرياضيين المشهوره من قورنية – انه سيفوز بجائزة سباق الجرى فى الدورة ٩٣ للاوليمبياد (عام ٤٠٨ ق.م) وكان يوبتاس واثقا صدق النبوءة لدرجة أنة اخذ معه الى أوليمبيا تمثالا لنفسه وقد فاز بالفعل ومن ثم كان من الممكن رؤية تمثال البطل فى نفس يوم فوزه ,واثار هذا الحديث ضجة كبرى بين اليونانيين وظلت ذاكراه عالقة بالاذهان لقرون عديدة اذ ردد القصة كل من ديودور الذى عاش فى القرن الأول ق.م وبوسانياس الذى كتب مؤلفة فى القرن الثانى الميلادى .

ليساندر (Lysander) الذى حاول رشوة آمون :

كان ليساندر قائد شهيرا من قواد اسبرطة , احرز نصرا عظيما لبلاد عام ٤٠٥ ق.م وذلك حينما على اسطول اثينا وجعل اسبرطة تحتل مكان الصدارة فى العالم الهلينى وباعتباره رجلا طموحا فانه اراد ان ينصب نفسه ملكا عن طريق الانتخاب الا انه طلب تأييد نبوءة معبد دلفى له وباء بالفشل فحاول مع كهنة نبوءة دودنا Dodona وبواسطة الرشوة تلقى اجابه مشجعه والآن بقى عليه أن يحصل على تتأييد نبوءة آمون , لاسيما وانه منذ بضع سنين سابقة على هذا التاريخ وحينما كان يقوم بحصار احدى المدن جاءه الاله امون فى المنام وأمره بالهجوم بعد ان يضمن له النصر ومنذ ذلك الحين دأب ليساند على ارسال الكثير من الهدايا الى معبده فى سيوة , ونظرا لان ليساندر كان صديقا لملك قورنية قرر ان يذهب بشخصيه لزيارته وليطلب عونه لدى كهنة آمون الذين ارسل اليهم فى نفس الوقت الكثير من الهدايا على امل الصداقه القديمه وكسب ودهم .

غير انه يبدو أن قصة رشوة نبوءة دودونا لم تكن سرا ولذلك رفض كهنة آمون في سيوة تودده ولم يمتنعوا فقط عن قبول هداياه وانما ذهبوا لاكثر من ذلك فارسلوا وفد الى اسبرطة يتهم ليساندر بمحاولة رشوة آمون اثناء المحاكمة التى تبعت ذلك استطاع ليساندر الدفع عن نفسه واثبات براءته وغادر الكهنة اسبرطه بقلوب مثقلة ولكن ليساندر لم يحقق مأربه على أى حال .

وخلال القرن الرابع ق.م . انحدرت سمعة نبوءة كل من دلفى ودودونا بينما ازدادت شهرة آمون وقدمت اليه الاضاحى والقرابيين في أثينا واسبرطة ومقدونيا وشمال افريقيا وفى كثير من مدن أسيا الصغرى كانت نبوءة آمون تذكر بكل احترام .

الاسكندر الاكبر :

تمت زيادة الاسكندر لنبوءة آمون في النصف الأول من عام ٣٣١ ق. م . بعد أن أسس مدينة الاسكندرية ، وليست هذه فقط أشهر زيادة في التاريخ القديم ولكنها تعتبر بدون شك الحدث الرئيسى الذى خلد اسم واحة سيوة في الأزمنة القديمة والحديثة معا .

بعد هزيمة دارا الثالث ملك الفرس في آسوس عام ٣٣٣ ق. م . ولكى يحمى نفسه من خطر الاسطول الفارسى القوى في البحر المتوسط ، شرع الاسكندر في غزو كل الموانى البحرية في سوريا وفلسطين ثم أتم غزو مصر التى سقطت دون قتال حين سلم له مزاسس الوالى الفارسى قلعة منف مع الحامية والخزانة واستقبله المصريون بمظاهر الفرح باعتباره محورهم من نير الحكم الفارسى .

اعترف الكهنة المصريون في منف بالغازى المقدونى ملكا على مصر وبعد أن أقيمت طقوس خاصة في معبد الاله بتاح قام الاسكندر على علم بأن شيئا لم يغضب المصريين مثلما اغضبهم قتل أوخوس للعجل أبيس وعدم الاحترام الذى ابداه قمبيز نحوه والواقع ان احترام الاسكندر للآلهة المصريين بل أن هذا الاتجاه كان حقيقة طابعا مميزا لهذا القائد العظيم .

منذ القرن الثامن قبل الميلاد (بل ومن قبل ذلك) كانت مصر معروفة جيدا لدى اليونانيين اذا أن العديد من كتابهم كتبوا في القرن السادس والخامس والرابع عن مصر وعن ديانتها وكان الكثير من مشاهير اليونانيين الذين أرسلوا مبادىء حضارتهم يفخرون بأنهم يعلمون تلاميذهم في اليونان ما كانوا قد تعلموه على يد الكهنة المصريين ، ويجب أن نضع في اعتبارنا ان فيليب ، والد اسكندر ، بذل جهدا كبيرا في اختيار عدد من أفضل المعلمين لابنه وذلك كما أوضح بلوتارخ لان الملك ادرك ان تعليم ابنه كان مسألة بالغة الأهمية لايجدى معها ترك أمره للمعلمين العاديين ، سواء في الموسيقى أو في دوائر المعلومات العامة . وبناء عليه فقد أرسل الملك في طلب ارسطوا (أشهر الفلاسفة وأكثرهم علما) ولقد كان هذا الاختيار موفقا ذلك لأن أرسطو غرس في نفس الاسكندر شغفا شديدا بالثقافة الاغريقية وشعورا دينيا عميقا ، ولنحو ثلاث سنوات دأب هذا الفيلسوف على تعليم الاسكندر بصحبة عدد الالياذة التى اعتبرها الاسكندر حتى نهاية حياته ملحمة الملاحم كما قدم اليه (يوربيدس Euripides) وفلوكسينوس Philoxenus وتلستس Telestes وكثيرون غيرهم وكان الاسكندر يكن احتراما خاصا لبندار الشاعر الغنائى العظيم .

وكان وحى آمون ذا شهرة واسة فأخبار الناس الذين استشاروه كانت تتردد في كثير من المؤلفات كما ان إجاباته كانت تلقى كل تقدير و يخبرنا بلوتارخ انه بعد زواجه من أوليمبياس (Olympias) رأى فيليب في المنام أن رحم الملكة ختم بخاتم كانت طبعته فيما أعتقد تصور أسد وتكهن معظم المفسرين بأن الحلم يلقى ظلال من الشك على أوليمبياس إلا أن فريق أخر من المفسرين أعلن أ، الحلم يعنى أنها حامل وأن المولود سيكون ولدا له شجاعة الأسد .

وفى مرة أخرى نظر الملك من ثقب الباب غرفة نوم أوليمبياس فرأى زوجته نائمة والى جانبها يتمدد ثعبان وعلى أثر هذه الرؤيا بعث فيليب برسول لإستشارة وحى دلفى فكان الجواب أن الألهه أبوللو يامره بأن يقدم قربانا للألهه جوبتر – امون وان يقدم خضوعه بصفه أساسية الى ذلك الألهه .

ورث الإسكندر جراة وشجاعة أبيه وورث عن أمه الشغف بالغيبيات وممارسة الشعائر الصوفية المتطرفة وأعتقد بالنبوءات أعتقادا راسخا فقبل سنة من قدومه الى مصر زار معبد جورديوم (Gordium) في أسيا الصغرى وكانت النبوءة هناك تنادى بأن من يستطيع أن يحل العقدة الشهيرة والموجودة في نير العربة القديمة للملك جورديوس (Gordius) في القلعة سيصبح سيد أسيا وحينما علم الإسكندر بذلك أستولى عليه شغفة بالمجهول والغيبيات وشرع في فحص العربة وبعد محاولات فاشلة للعثور على طرف الرباط استل سيفه وقطع العقدة وفى تلك أنها دلالة مقدسة على أن طريقته في فك العقدة قد لقت موافقة الألهه ومنذ ذلك اليوم تملكته أحلام سيادة العالم وأعتقد بانه سوف يكسب أى معركة يقودها وفى أول خطاب بعث به الى دارا سم نفسه ملك أسيا .

الاسكندر في مصر :

أقترح كثير من الكتبا قديما وحديثا أسباب متباينة لرحلة الإسكندر الى سيوة و التى اقتضته أن يترك مركز قيادته في مصر لعدة أسابيع في حين كان الموقف العسكرى يتطلب ضرورة وجودة لا سيما وأن دارا كان يعيد تنظيم قواته كما أن أسطوله كان سليما وكان الإسكندر متلهفا على ملاقاته فى اسرع وقت ممكن وعلى هذا كانت الاستعدادات للمعركة المنتظرة ضرورية ومن العسير أن نعتقد أنه قام بالرحلة في وقت حرج مثل هذا لمجرد أن يتوج في سيوة أو أن يلقب با ابن الآله طالما أن هذه المراسيم

كانت قد تمت في معبد بتاح بمنف وكان يمكن أعادتها فى أى وقت يشاء في نفس المعبد أو في معبد آخر من معبد مصر .

يذكر كاليستنيس (Callisthenes) مؤرخ البلاط الذى رافق الاسكندر فى رحلته وترك وصفا تفصيليا كشاهد عيان , ان الاسكندر لم يقم بالرحلة من اجل النبوءة فحسب وانما لأنه كان يطمح فى تقليد كل من برسيوس (Perseus) وهرقل قاما فى السالف باستشارة الاله , وفى تحليله لهذا يرى فلكن أنه رأى معقول لاسيما اذا وضعنا فى الاعتبار كيف أن لاسكندر اعتقد فى وجود رباط وثيق بينه وبين الأسلاف الابطال من بنى جلدته .

وقد وضع اريانوس (Arrianus) الكاتب اليونانى الذى عاش فى القرن الثانى الميلادى مايعد تاريخا كاملا للاسكندر منذ توليه الحكم حتى وفاته , وكانت معلوماته مستقاه من أوثق المصادر المتاحه حينذاك وعلى وجه الخصوص من بطلميوس وأرستوبولوس (Aristoblus) ويفسر أريانوس الرحلة الى سيوة ببساطة أكثر , فقد كتب ان الاسكندر حينما كان على شاطئ بعد أن وضع أسس مدينته الشوق لرؤية نبوءة جوبتر ـ آمون فقرر الشروع فى رحلته ومما أعلمه عن شخصية الاسكندر وعن قراراته المفاجئة يجعلنى أميل الى لاخذ بتفسير أريانوس .

كانت لمصر على مدى خمسمائة سنة أو أكثر قبل قدوم لاسكندر صلات وثيقة مع الدويلات اليونانية وكانت ابوابها مفتوحة للتجار لاغريق , ومنذ القرن الثامن قبل الميلاد تاسس مركز تجارى يونانى فى نقراطيس بغرب الدلتا , ومنذ القرن السابع انخرط المرتزقة من الجنود اليانونيين فى خدمة الملوك المصريين , وعندما احتاج قورش ليديا وأيونيا حاربت القوات المصرية الى جانب الليديين واليونانيين وابن الغزو الفارسى الأول لمصر حارب الجنود المرتزقة من اليونانيين جنب مع المصريين .

جاء كثير من فلاسفة اليونان الى مصر للدراسة فى المدارس الملحقة بالمعابد وكان من بينهم صولون الاثينى وكليوبولوس (Lindos Ieobolus) وفاليز (Phales) من مليتوس (Miletus) وبيثاجوراس (Pythagoras) من ساموس وكان اندروكوسوس (Endoroxos) وأفلاطون من بين هؤلاء الذين أقاموا فى مصر مدة طويلة وعملوا بعد ذلك على نشر شهرة الحكمة المصرية , ومن خلال هذه الاتصالات رسخ لدى اليونانيين الاعتقاد بأن مصر هى مهد الفلسفة والتصوف والموسيقى والنحت والفنون بوجه عام , وفى نفس الوقت انتشرت معابد آمون فى المدن اليونانية وحتى فى أثينا احتفل بافتتاح معبد بها كرس لعبادة آمون وذلك فى عام ٣٣٣ق.م أى قبل أقل من عامين من زيارة الاسكندر لمعبد الوحى بسيوة . وكان الاسكندر على علم بكل هذه الحقائق وبكل القصص التى عن علاقته المباشرة بآمون وعن روايات مولده الالهى .

ولم تكن مسيرة الاسكندر على طول الساحل غربى الاسكندريه رحلة غير متوقعة بل أنها كانت مدبرة من قبل فعند برايتونيوم (مرسى مطروح) قابلة سفراء من قورنية وقدموا له مختلف الهدايا ومن بينهم ثلاثمائه جواد وبضع عربات وتاج من الذهب كما عرضوا عليه صداقتهم وولاءهم .وقد حاول رفقاؤه ان يثنوه عن زيارة معبد آمون ولكن كل تحذيراتهم لم تجد نقيرا . وطبقا لما يرويه بلوتاريخ " كانت رحله طويلة وشاقة فالى جانب الارهاق كان هناك خطران يحومان حولها :احدهما ان المياه التى حموها معهم ربما لاتكون كافية لرحلة تستغرق اياما كثيرة عبر صحراء لاتقدم أية امدادات وأما الخطر الثانى فكان الخوف من أن تباغتهم ريح جنوبية وسط عنيفة وسط هذه الرمال الممتدة كما حدث من قبل لجيش قمبيز ، حيث أثارت الرياح الرمال فاندفعت فى موجات متتابعة والتهمت كل الخمسين الف رجل ..وكان قد تم التفكير فى كل هذه المخاطر وأحيط الاسكندر بها علما ولكن من السهل ثنيه عما اعتزمه "

لا ريب أن زيارة الاسكندر لهذه الواحة وأخلاصه العظيم للاله أمون قد زاد من شهرتها , ومن المنطقى ان نفترض أن بعض الآثار قد بنيت باسمه اثناء حياته وأقيمت فيما بعد بواسطة البطالمة الذين كان يعنيهم ان يظهروا إخلاصهم لذكراه ولكن مما يثير دهشتنا أن ايا من هذه الآثار- صغرت أم كبرت - لم تعثر عليه حتى الآن فى سيوة اللهم فيما عدا بعض العملات القليلة المحفوظة حاليا بمتحف الاسكندرية الا أن الأمل لايزال يراودنا اذ من الممكن جدا استكشاف الحفائر التى بدأت فى المعبد فى أبريل عام ١٩٧٠ فى يوم من الايام عن مادة جيدة تضيف الى مالدينا من معلومات . وعلى كل فان بعض المقابر المنحوتة فى جبل الموتى يمكن تأريخها بأوائل عصر البطالمة مما يثبت ان هذه الواحة كانت مزدهرة حينذاك .

وفى نهاية القرن الماضى عثر على قليل من الاثار الصغيرة التى يحتمل أن يرجع تاريخها الى العصر البطلمى وقد وجدها شتيندورف عندما زار سيوة عام ١٩٠٠ . وينطبق نفس الوضع على الاشياء الصغيرة القليلة التى وجدت فى المقابر المتهدمة قرب عين قريشات عام ١٩٠٧ و التى أهداها الخديوى عباس الثانى الى متحف القاهرة .

وتوجد عدة سجلات لمن زاروا المعبد , مدونة فى كتابات من ذلك العصر وأهمهم رسل هانيبال فى نهاية القرن الثالث ق.م فبعد انتصاره على ساجنوتا (Sagnuta) اوفد ذلك المحارب العظيم رسلا للاستفسار من وحى سيوة عن موعد نهاية الحرب وكان الجواب غامضا ويمكن تفسيره على نحوين مختلفين ، ولكن آمون أكد لهانيبال انه سوف يموت على أرض ليبية ، وحينما توفى هانيبال فى ليبيسا (Libyssa) اعتبر ذلك تحقيقاً للنبوءة وأن ماقصده الوحى كان ليبسا وليس ليبيا , وقرب نهايه العصر البطلمى سادت روما وحضارتها وأنتشرت بين الناس طرق جديدة لقراءة الطالع وفقدت النبوءات بوجه عام كثيرا من تأثيرها القديم وكان قلة من الناس هم الذين اهتموا بالذهاب لاستشارتها ولم تكن سيوة استثناء من ذلك , وحينما كان كاتو (Cato) الأصغر (توفى عام ٤٦ ق.م)

فى مسيرته على الساحل الليبى قرب مقر آمون حاول اصدقاؤه اغراءه بزيارته ولكنه رفض اذ لم يعره اهتماما وهذا يبين الى اى حد تدهورت سمعة الوحى.

ويذكر استرابون الذى زار مصر عام ٢٣ق.م واحه سيوة فى جغرافيته ملاحظا ان " النبوءة كادت ان تختفى كلية وهى التى كانت تستمتع فى السابق بشهرة واسعة " ولايعنى هذا ان نبوءة سيوة اختفت تماما أو أن الكهنة اغلقوا أبواب معبدها اذ أننا على يقين من انها استمرت لبضعة قرون لاحقه فيروى بلوتارخ أن رجلا غنيا يسمى كليومبروتوس (Kleombrotus) من لاكيد ايمونيا (Lakedaemonia) زار واحه آمون ولكنه لم يجد شيئا ذا اهمية سوى مصباح زيتى يظل مشتعلا على دار السنة ويذكر أن كهنة المعبد أخطروه بأن المصباح يتطلب قدرا أقل من الزيت سنة بعد سنة مما يدل على ان السنين تقل فى طولها وعندما زار هادريان مصر سنة ١٣٠ م أسرع كثير من المدن المصرية الى تبجيله بإقامة تماثيله فى معابدها وعبر كهنة آمون عن ولائهم للإمبراطور بوضع لوحة منقوشة فى المعبد وهى اللوحة التى عثر على جزء منها ويحتفظ به حاليا متحف الإسكندرية .

وأخر الشخصيات الهامة والمعروفة التى تركت تقريرا عن زيارة الواحة هى بوسانياس (Pousanias) الرحالة والمؤلف اليونانى الشهير الذى وصل الى سيوة عام ١٦٠ م وكانت النبوءة لاتزال على قيد الحياة كما كان الكهنة لايزالون يزاولون طقوسهم الدينية فى المعبد ودخل بوسانياس المعبد وطبقا لروايته شاهد كثيرا من النصب تكون فى فناء المعبد وكان من بينها واحد نقشت أنشودة بندار الشاعر اليونانى ذائع الصيت ويذكر بوسانياس كذلك انه رأى لوحة باسم بطليموس الأول وفضلا عن ذلك فإن إحدى القطعتين المنقوشتين واللتين وجدنا عام ١٩٧٠ م داخل المعبد تؤرخ فيما بين القرنين الثانى والثالث الميلاديين ويمكننا القول انه رغم التدهور الذى لحق بالنبوءة وبمصر نفسها فى النصف الثانى من العصر الرومانى فإن سيوة إستمرت تتعبد لالهها القديم كما استمر كهنتها فى تقديم القرابيين الى آمون حتى القرن السادس الميلادى وربما بعد ذلك .

ومن ناحية أخرى فإن عبادة زيوس عرفت فى قوريني كما ذكر هيرودت أنه أثناء أقامة الفرس معسكرهم فى تل زيوس (ليكيوس) فى الشمال الشرقى من قوريين أثناء عودتهم من بركة .

قورنية والمستعمرات اليونانية الاخرى فى الجانب الشرقى لشمال أفريقيا مراكز تجارية وهناك علاقات طيبة بين المستعمرات اليونانية والقبائل الليبية .

القبائل الليبية كانوا ملاك نبات سلفيون الذى كان منحدرا وكان ينمو فى الجانب الشرقى من لبيا ، وضمته القبائل الليبية وباعته للقوريين الذين صدروه إلى العالم اليوناني القديم .

القبائل الليبية اعتبروا عبادة الأله آمون كما كانوا يتحكمون فى طريق القوافل فى الجهة الغربية من الواحة ولهذه النتيجة الحتمية للنشاط التجارى بين المستعمرات اليونانية والقبائل الليبية وأن المستعمرات اليونانية اعتبرت آمون انسيوى تحت لقب زيوس فى قوريين .

مما لاشك فيه أن عبادة آمون لعبت دور مهم فى المستعمرات اليونانية فى ليبيا أثناء القرن الخامس ق.م ثيودورس القوريين فى المحاورة الأفلاطونية سياسى قال الرجل بحلفانه آلهنا آمون , جملة ثيودورس أكدت ان الآله كان أله رئيسيا فى المنطقة ..

بناء على ذلك أراد القورنيين إهداء لدلفى صورة آمون فى المركبة الحربية التى أهديت بواسطة أركيسلوس الرابع عندما فازت جماعة القوريين بسباق العربات فى مسابقة الألعاب البائثينية فى دلفى فى ٤٦٢ق.م فالومى اشار إلى القوريين فى الوصل بين قوريين وواحة سيوة .

وفى الأنشودة الأولى للآله زيوس يقول كلماتوس أن عبادة زيوس ليكياوس جاءت من قوريين إلى أركاديا مع المهاجرين الأصليين التى أتت إلى المدينة أثناء حكم باتوس الثانى (٥٦٨ : ٨٥٠ ق.م) .

اعتبر زيوس أبو الآله اليونانية فقد كان سيدا فى السماء وكان يشار لخصائصه بعدة صفات فكان مرسل الرعد والمطر والرياح وبهذه الصفات اعتبر آله الزراعة وكان أيضا آله الماء المخصب لأنه كان مالك الرعود التي كانت تحوى المطر والذى كان يعتبر سر الحياة المقدسة لكل المخلوقات بدءا من الرجال والحيونات والنباتات وكلهم تساوى و زيوس كان السبب وراء الحياة لكل المخلوقات .

اعتبر زيوس الشمس نفسها التى هى عين الآله وكانت المحيط الارضى وهى السبب في الانقلاب الموسمي وتغير الفصول الاربعة فهو الشمس المشعة ويتحكم فى المحصول الزراعى وارتبط الآله زيوس بالشمس المشعة ويتحكم فى المحصول الرراعى والانقلاب الموسمى و الشمس مسئولة عن المطر الصيفى والنقط فى الخريف ويأتى الشتاء و حياة جديدة في الربيع .

ولهذا السبب فأن العملات التورينية ، رسم عليها شكل آله آدمى رأسه تشبه الآله زيوس وخلف أذن الآله نجد قرون خروف ، بالضبط كما كان يمثل (الآله آمون) فى الفن المصرى .

فالآله أمون كان أحد الآله التى عبدها المصريون فى مصر القديمة وكان أصلا إلها طيبيا محليا ,ولقد عرف فى الاساطير المصرية بأنه آله الزراعة والحصاد و عندما أصبح الآلة الاعظم فلقد اعتبر آله الشمس وأصبح اسمه ليصبح آمون ـ رع ولقد عبد كإله شمسى وكإله للخصب و لهذا الغرض كان القرن من صفاته العالمية ، وبذلك أصبح وضعه أحسن من الآله الأخرى .

فمن المعروف ان القرون لعبت دورا هاما فى المعتقدات الدينية القديمة فالإله حرشيف إله اكليوبوليس (مدخل الفيوم) إله الفنتين خنوم الذى شكل الانسان على العجلة ، وأخيرا آمون إله طيبة وواحة سيوة كلها كانوا ذى قرون .

وفـي مدينـة منـدس اعتقـد المـصريون ان إلـه الخـصوبة و النيـل هـو اوزوريريس ، والذى كان روح الآله آمون (القرن) وهذا يعنى أن الآله آمون كان إلاها للزراعة ، وليس هناك حياة بدون خصوبة , ولهذا نحتت التماثيل للآلة آمون فى هيئة قرون الكبش .

لم يعتبر المصريون القمر مثالا للقرون ، ولهذا فقد مثلوا قرص السمش محاطا بقرنين ،،لأن الشمس كان لها فى نضج الحبوب ، وزيادة الخصوبة بالنهار والليل وكانت الأرض دائما هى التى تهب الحياة ، لقد ارتبطت الشمس بالزراعة والخصوبة لدورها الهام فى حياة النبات ونمو المحصول ، فالدورة السنوية النباتية بين الخصوبة وبين الشتاء والصيف كما ذكرنا من قبل .

إن الإلـه زيـوس كـان إلـه الـشمس , وإن اليونـانيين عبـدوه فـى جميـع الأنحاء ، والمصريين عبدوا الشمس (آمون) الذى أدمج معه وأصبح يطلق علية زيوس - آمون مثل فى هيئة رجل ملتح وله شعر كثيف وخلف أذن الإله توجد عادة قرون كبش ، كرمز للخصوبة ، بمعنى الارض المخصبة وفصول الإنتاج وعلاقتها بدورة الشمس ، فإن قوة الخلق وإنبات الأرض واضحة فى المياه الخصبة (المطر يمثله زيوس ، والنيل يمثله آمون) .

وخلال القرن الرابع قبل الميلاد فإن مكانة الوحى فى كل من دلفى ودورنا قد اضمحلت ، وبينما رفعت شعبية وحى آمون فى سيوة ، فوحى آمون فى الصحراء الليبية أنتشر فى بلاد اليونان وذكرت هناك بإحترام شديد ، وكان هذا نتيجة للنشاط التجارى بين المستعمرات اليونانية فى الشمال الشرقى لافريقيا وبلاد اليونان .

وليس هناك من شك أن أهم حدث فى التاريخ كان زيارة الاسكندر الأكبر لوحى آمون فى سيوة فى بداية عام ٣٣١ ق.م بعد أن وضع حجر الأساس لبناء مدينة الإسكندرية .

ديودوروس واسترابو أكد على أن إحتلال الفارسى كان قاسى و غير عادل ، ولم يتعبد الفرس للأله المصرية ، كما أنهم لم يحترموا المعتقدات الدينية أو الألهه المصرية وعلى النقيض الاسكندر الأكبر تلميذ أرسطوا لم يتبع سياسة الفرس وقسوتهم لفرد السيطرة فى العديد من المدن فى الشرق ، فلقد تعامل مع الشعوب بدبلوماسية وحكمه معلمة وأستغل الدين كدعامة تخدم مصالحة السياسية , لذلك عندما حضر الى مصر أظهر إحترامه للألهه المصرية ، وأوضح للجميع أنه أتى الى مصر كى يحرر الألهه المصرية من الإحتلال الفارسى وأنه يكن كل الإحترام للألهه المصرية .

الكهنة بالإتفاق مع الاسكندر إعترفوا أنه الإبن الشرعى للآلهه المصرى آمون ، ولهذا كان يجب على الاسكندر أن يحج الى معبد الإله فى واحة سيوة ، ويأخذ موافقة الإله لحكم البلاد الى جانب الحصول على الخلود مثله مثل الإله أوزوريس ، آمون رب الخلود الى جانب أنه كان إله النبات والخصوبة أيضاً .

وقام الإسكندر برحلة الحج عبر الصحراء ، كى يفرض سيطرته على الأرض المصرية بدون مقاومة الى جانب فرض سيطرته على المستعمرات اليونانية فى شمال أفريقيا ، وحيث أن اليونانيين عبدوا نفس الإلهه تحت إسم الإلهه زيوس ، وبالطبع يخبرنا التاريخ أن الاسكندر أستولى على قورنيه فى طريقة الى سيوة ، ففى مرسى مطروح تسلم مفاتيح قورنيه ، وفى سيوة أعلن انه الحاكم الفعلى للبلاد .

السياسة أكدت دورها الفعال فى هذه العقيدة , وتوج الاسكندر على أنه ابن الإله آمون أو زيوس ــ آمون ، الذى ظهرت تماثيله بقرى كبش خلف الاذن ، فهذا الرمز يمثل الشمس ، فالاسكندر أصبح ابن الإله على الأرض وحكم العالم هو وأبيه زيوس ــ آمون ، وكان هذا هو التمثيل السياسى والدينى .

فزيـوس ـــ آمـون أعطـى كـل قوتـه الاسـكندر علـى الأرض ليساعد الفقـراء والمحتاجين وليشفى وليحكم بين الناس بالعدل كحاكم عالمى ، وبهذا حكم الإسكندر مع ابيه زيوس آمون وتحكم فى العناصر الأربعة (الهواء ـ الأرض ـ النار ـ المياه) .

نجح الاسكندر فى دعايته السياسية الحكيمة فى تبنى الديانة اليونانية المصرية لخدمة أغراضه السياسية ، ولقد ساعده فى ذلك الكهنه الذين توجوه بقرون كبش رمز الإلهه زيوس ـ آمون .

ولقد أتبع الاسكندر نفس السياسه فى غزوة لبلاد مابين النهرين ونجح للمرة الثانية فـى الوصـول الـى العـرش بموافقـة الكهنـة بعـد أن توجـوه بتـاج لـه قرنـان رمـزا للخير ، الخصوبة ، والبركة ، والحكم بحق السماء .

End Nots

1- The Greek word "πεΟΦлТлs " IS composed of two syllables : The First ΠεΟ means knowing something certain to happen The second ΦлТлs means the speaker : which is drived from the Greek verb Φytys

Thus , it is clear That this Greek word indicates a person who is able to predicit and has a power of prophecy and its interpretation It was believed That he did not pronounce his ideas but the idea came from an oracle .See ; W.Yust (ed) : Encyclopedia Britanica , Vol , , (Art , Prophecy) U.S.A 1960 ., P ., 586 .

2- The Fame of the Temple gradually developed , great Greek missions were sent to the temple , Croesus was guided by the Temple , as he also consulted Higher Greek Oracles , in the sixth century B.C .

3- Divine oracle had an important role in governing the country from the social and poliical aspects .

الدكتور سليم حسن , مصر القديمة , جزء ١٤ , الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ , ص ٩ , ص ٤٤٦ ومابعدها .

4- Ahmed Ghazal , The Historical Background Of Amun And His Cult In The Western Oases And In The Libyan Greek Colonies Before Alexander The Great , Journal of Faculty of Arts Alexandria , Vol ., (26) , 1972 . p ., 1091 ff .

5- Ahmed Fakhry , Siwa Oasis (The American University Press) ,Cairo 1973 , P, 79 .

6- Croesus who was the king of Lydia and his father Alyattes followed by Croesus to The Throne 560 B.C ruled at his age the countries extending from the shores of Minor east and Western Asia to the borders of Hellas at the east and the mountains of Touos at the south .

7- Herodotus ., I., 41 . CF ., H . W . Parke , The Oracles of Zeus Dodona Olympia , Ammon ., Oxford 1967 . p . 201 .

8- Herodotus , I,. 49 ., CF ., Fakhry ., op ., cit ., p ,. 80

9- Herodotus ., III ., 184 said that " when Cambyses arrived with his army Thebes on his way to Ethiopia he separated 50, 000 of his men and ordered them to attack the Ammonians and enslave them and asked them

to burn the temple of the oracle of Zeus at Siwa then he continued his march with the rest of his men to Ethiopia .

10- Herodotus III 185 says " The Campaign which marched against the Ammonians moved from Thebes with the guides They went on tell to the Oasis belonging to a group of people who came from Samians island , and who were supposed to belong to Aechrionian tribes That oasis was seven days across the sands from Thebes and known in the Greek language of consultance The prevailihg opinion was that the compaign arrived at that place and nothing was heard about it later on It did not reach the Ammonians and it did not return to Egypt .

There was a story told by the Ammonians themselves and others who heard it which stated that the campaign left the oasis city and marched across the desert and reached to the point stationed nearly in the middle of the way between oasis city and the borders of the Ammonians ., There they faced the southern violent wind and they were covered completely with the sands while sitting there eating dinner , they vanished forever .

11- Ahmed Ghazal ., op ., cit ., P ., 112

12- فرانسو شامو ، الأغريق فى برقة الإسطورة والتاريخ ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافى ، جامعة قاريونس , بنغازى ١٩٩٠ .

13- Chamoux , P, 62 , says " In Spite of Spread of Chaos and disorder and those places at those distant times and in spite of those distant places it seemed that the influence of the Ancient Egyptian Civilization penetrated those places especially in the field of religion in Siwa oasis to Carthage This influence led to the penetration of the Libyan on one hand to the Nile valley and to the appearance of the feeling of belonging to the state of the Pharaohs with the Libyans on the other hand

14 - شامو ، كتاب سابق ، ص ٢٩٨

Chamoux , say that the sudden appearance of quick development which followed the worship of the Egyotian God Zeus – Amun in Gyrene before the end of the sixth century B. C and which was unexpected before was the result of trade activity that was because that activity took the caravan routes at its way That trade activity was strictly controlled by the occupied Persians on the seashores .

15- Plutarchus ., Cimon ., 18 , 7 .

16- Thucydides ., I., 112 , 3

17- H. W Parke , op , cit ., p ., 215 he claimed that " This would be just the point at which he tried to get oracular support from Ammon , and he may have made the attempt " .

18 - Plutarchus , Nie ., 13 and 14, 7

19 - Thucydides ., 6 ., 50 ., 4 .

20- Thucydides 8 , I ., I .

21-H, W .Parke , op ., cit ., p ., 216 ., CF Ahmed Ghazal ., op ., cit ., pp ., 122 , 123

22-Diodorus Sicilian , 13 ., 68 ., I .

23-Pausanias ., 6 ., 8 ., 3

24-Pausanias ., 3 ., 18 ., 3

25-H .W . Parke ., op ., cit ., pp ., 220 – 221 CF Ahmed Ghazal ., op ., cit ., p . 122

26-Pindar was one of the most Greek lyric poets who was born in Cynosephalae near the Greek Thebes 522 B. C and died in Argos in 443 B. C . He spent most of his time at Thebes and he stayed more than four years in Hieron at Syracuza Very little is known about his life , and what is known about him indicates that he wrote all types of lyric poetry of his age , He composed three odes praising the race of chariots in pythian games , The two odes composed by the poet the fourth and fifth – pythian odes are the main source of our knowledge about Battus IV But the ninenth ode praised one of the racers of Cyrene in Pythian games .

27-The fourth Pythian can be divided to three sections In the first section (Plantation 1 - 69) in which the poet spoke about Battonian rulling family at Cyrene ,In the second section (70 - 262 he spoke , about different verses about ancient myths But in the third section (262 - 299) the verses concentrated on the defence on Dimyphlus , asking for his forgivings , and asking the ruling family to permit him to Cyrene his birthplace , Promising that he would be very loyal to the king .

28-Pindarus ., Pythian IV , 14- 15 .

فراتـــــــــــمـوا شـــــــــــامو , كتـــــــــــاب ســـــــــــابق , ص ٢٣٦- ٢٣٧ ,-٢١

29-Parke ., op ., cit ., P. 207 . CF Ahmed Ghazal , op , cit ., p ., 120

30-Pausanias ., 9 : 16 , 1 .

31-Ibid ., 9 ., 16 , 1 , CF, Parke ., op ., cit ., p ., 207 .

32-Herodotus , IV. 203 .

33-Ahmed Ghazal , op ., cit ., P ., 126 ., said that " As a rusult of the policy of Darius the great , Egypt , the Greek Libyan colonies and the surrounding Libyan tribes became under the direct Persian Power , contrary to the Greek colonists wish He connected Egypt with the eastern commercial centers ,As a reaction to this policy , a co _ operation was developed between the colonists under the reign of Battus IV and the Libyan tribes , the followers of Amum , who were at the same time controllers of the caravan routes in the western oases .

فرانسوا شامو , كتاب سابق ص ٣٠٩ ومابعدها

34- Ahmed Ghazal , op , cit ., p., 126 ., About the trade activity between Cyrene and the mother mainland Greece , See ., Parke ., op ., cit ., pp ., 209 _201 and p , 212 .

35-Plato ., pol ., 257b

36-Pausanias ., 10 ., 13 ., 5 .

37-Parke ., op ., cit ., p ., 204

40- Ahmed Ghazal ., op ., cit ., p ., 121 .

41- Strabo ., I., 49 and 56

42- Strabo ., XVII ., 837 ., Claimed that " Callimachus was descended from Battus ., the ., founder of Cyrene " .

43- Callimachus ., Hymns and Epigrams ., Loeb classical Library " I- To Zeus " 5

44- Kerenyi ., C., The Gods of the Greeks ,. London 1958 ., p ., 81 ., Says that " Zeus was born in Arcadia ., on Mount Lykaion ., on whose summit ., in the sacred region of Zeus " no creature cast a shadow Rhea (the great Mother of the Gods) bathed the newborn child in the spring of the Arcadian river Neda , Which gushed forth specially for the purpose ., and hastend with him to Crete ., where there Dictaean Ash _ nymphs ., Diktaiai Meliai ., became the divine child `s nurses " .
CF ., Rose ., H., J., Ancient Greek Religion ., p ., 29 .

45- شاموا , كتاب سابق , ص ١٦٨

Chamoux says that Battus was named the " prosperous " that was because he was successful in bringing more of the Greek emigration to Gyrene , He realized that Thera itself was not enough for more Greek emigrance ., and thus new Greek emigrance came to Cyrene from different parts especially from Peloponesues and from other Greek islands .

46- Callimachus ., op ., cit ., 55

47- A, B Cook ., Zeus ., " A study in Ancient Religion " Two Vols ., Cambridge 1925 : Vol ,. I ., Part II ., pp ., 495FF ., and vol ., II ., Part ., I ., P ., 168 and pp 722FF CF Kerenyic ., op .,cit .,pp ., 102_103 .

48- Rose ., H ., J ., op ., cit ., pp ., 62_ 63 .

49_Strabo ., XVII ., I , 46 ,. Rose ., H ., J ., op ., cit ., pp ., 70 _71 CF , A Dictionary of classical Antiquities " Mythology ., Religion ., Literature and Art " London ., pp ., 703_ 704. Cf . Kerenyi ., op ., cit ., 102 . where he mentioned the Orphic views about Zeus as follows :-"Zeus is the first , Zeus is the last the God with dazzling lightning Zeus is the head , Zeus is the middle , of Zeus all things have their end , Zeus is the foundation of the earth and of the starry sky , Zeus is male , Zeus is an immortal woman Zeus is the breath of all thing , Zeus is the sweep of unwearyihg flame , Zeus is the King , Zeus is the beginner of all things , the God with the dazzling lightning , for he hidden all things within himself , and brought them forth again , into the joyful light , from his secred heart , working marvels " .

50- A . B . Cook ., op ., cit ., Fig ,. 116 ., p ., 168 ., See also " The double axe in relation to horns " pp , 535 FF ., CF ., Parke ., op ., cit ., p ., 209 .

51- Plutarchus ., De Iside Et Osiride Moralia V., Leob Classical Libarary No . 9 . says that the word Amum according to Manetho means the " hidden " one and The Egyptian believed that Amun was the great God everywhere and he was named the invisible .

52- Diodorus Siculus ., III ., 68 ., said that Amun was a mythical Libyan king

53- Herodotus named the God of Siwa as Zeus Amun , while he named the God of Thebes as Zeus of Thebes .

54- Parke ,., op ., cit ., p ., 194 .

55- Diodorus ., I ., 87 ., 2 ., stats that " the rams gave birth twice a year ., the people used their wool in their beautiful clothes , They used their milk in the delicious cheese " .

56- Cerny ., J ., Ancient Egyptian Religion ., Hutchinson House ., London 1952 ., p ., 23

57- Loc , Cit .

58- Parke ., op ., cit ., P ., 203 says " The peloponnese had worshipped a ram God of their own ., called Carnos " .

59- Herodotus ., II ., 42 and 46 ,Claimed that " the Greeks were considered the ram the God of Mendis as the Greek God Pan " . CF ., Erman ., Die Religion der Agypten (1934) ., p ., 362 .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى (بدون تاريخ) عن النسخة الانجليزية

(The Egyptian Religion 1934) صـ ١٠٤ _ ١٠٥

60- جيمس فريزر , ادونيس أوتموز , ترجمة جبرا إبراهيم جبرا , المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٢ , ص ١٠٩ ومابعدها .

Hadad was one of the God known at the region of the Eastern Mediterranean , he was the God of thunder rains and fertility in Syria .The Assyrians worshipped the God of thunder and strom , and gave him a symbol of a bull with two horns . " The Phoenicians worshipped Baal as the God of thunder and gave him a sacred quality of driving the clouds , the clouds were his vehicle and the thunder was his whip , Adonise was the symbol related to fertility and sacred water and originally went back to Mesopotamian Tamus , he was the God who had all the horns , and called the God Shephered and his Kingdom was the green lands and rivers .

61- Probably the horns for the Greek were representing the horns of the goat Amalthia , who suckled Zeus , the sender of fertility rains It is clear that the horns were the symbol of fertility

62- Ahmed Fakhry , op , cit , p 84 .
63- Parke ., op ., cit ., p ., 222 , Cf ., Ahmed Ghazal ., op ., cit ., p ., 126 .

64- The visit is described by Diodorus 17 , 49 _ 51 , Curtius 4.7.5_30 Plutarchus , Alexander26_27 , Strabo 17, I,43 , and Arrianus , 3.4 .
65- Alexander is the Great Alexander , the son of Philip II His mother was Olympias , He was educated by Aristotel the great philosopher , He was the great Macedonian leader , who attacked the Persian Empire as a plan to end the rule of its king Cyrus , so he went to the land of Pharaohs to sieze the ancient eastern gate At that reign the Egyptians worshipped Amum the ram , accordingly Alexander became the king .
66- Arrianus ., 3, 3, I .
67- Diodorus ., I., 44.
68- Strabo ., I ., 27 .
69- Parke ., op ., cit ., p ., 223 ., claimed that " He marched into Egypt as a liberator come to free the country from the Persian Yoke " .
70 - ر. و تارن , الاسكندرالاكبر قصته وتاريخه , ترجمة زكى على , القاهرة ١٩٦٣ , ص ٨٠_٨٣
71- Pseudo - Callisthenes I ., 30 ., says that " Alexander wished to gain Amum 's approval before founding Alexandria , C. B . Welles ., Alexander and the Hellenistic world , 1970 p , 149 , n . 4 .
72- Al Hussin , Anou Al Atta The Doctrine of immortality in the Romai Alexandria , Classical Society , Faculty of Arts , Cairo 1995 .

73- Parke ., op ., cit ., p , 223 ., states with Callisthenes that " Alexander made the journey not only on account of the oracle but also because he had the ambition to rival Perseus and Heracles who had visited the oracle and consulted the God " .

74- Diodorus ., 17, 49 , 2 ., assumed that " Alexander was met there by envoys from Cyrene with whom he concluded peace and alliance " .

75- For a description of the oasis of Siwa and the temple of Amum , see Diodorus 17 - 50 Curtius ., 4, 7 .,16 FF ., and Parke ., op ., cit ., p 196 .

76- M., P., Nilsson., Cults ., Myths ., Oracles and Politics in Ancient Greece Lund 1951 ., pp ., 123 ff

77- Plutarchus ., Alexander ., 28 ., and 33 ., I ., States that " The chief priest greeted Alexander (as Pharaoh) as son of Amum (or son of Zeus) after that , the king then entered the temple alone The Prophecies made by Amum regarding his divine descent and his future world that he would rule the world Arrianus ., 7., 29 ., regard this as a poltical manoeuvre , to overlaw the peoples , it seems probable that Alexander believed that he was in some way son of Amun .

78- Plutarchus , Alexander ., 28, 6 .

79- Arrianus ., 7.29 .

80- Ahmed Fakhry ., op ., cit ., p ., 86 ., assured that " Alexander crowned and addressed as the son of the God ,. In the temple of Path at Memphis " .

81- سبيتنو موسكاتى ، الحضارات السامية القديمة ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٥٧ ص ١١٠ ، ٢٦٤ .

The way of thinking was adopted by the Roman emperors when they took the emperors to be the sons of the God " Sun " That was reflected on their coins where we can find the emperor Karakalla represented with the Sun See : - Dattari , Nummi Augusti Alexandrini., 1956 .,nos ., 3050_3052.

ثالوث الإسكندرية فى المفهوم اليونانى

ثالوث الإسكندرية فى المفهوم اليونانى

من الآثار الفريدة المحفوظة بالمتحف اليونانى الرومانى بالسكندرية تحت رقم "٣١٧٠" لوحة من الحجر الجيرى (٠،٤٥×٠،٥٥) مصور عليها بالبارز الإله سيرابيس واقفاً بين كل من الإله هيراكليس والإلهة أثينة (أنظر الشكل ١) وهذه القطعة ربما ترجع إلى القرن الثالث الميلادى وأسفل هذا النحت البارز للثالوث يوجد نقش يونانى ترجمته " إلى الآلهة المنقذة الحامية للخشوع والخير ، فى السنة الثانية من ١٠ باخوم " [١]

الإله سيرابيس Serapis :

إن أصل عبادة الإله سيرابيس قد تناولتها مؤلفات كثيرة ، فيحدثنا تاكيتوس[٢] "راى بطليموس الأول فى منامه ، عندما كان مشغولا بتأسيس أسوار مدينة الإسكندرية شاباً يأمره بأن يرسل الرجال إلى Pontus على ساحل البحر الأسود لإحضار الإله الذى سوف تنعم به دولة البطالمة بالرخاء لقدومه وبعد أن تشاور بطليموس بن لاجوس مع الكهنة المصريين ومع ثيموثيوس الكاهن الأثينى ، أمر بن لاجوس بإحضار تمثال الإله من سينوب ، حيث أقام له بطليموس معبداً ، ناسب حجم المدينة فى حى راكوتيس فوق المعبد القديم الذى شيد الأوزوريس وإيزيس " .

وهناك رواية ثانية عن أصل الإله سيرابيس ذكرها لنا بلوتارخوس[٣] فقال فيها " راى بكلميوس " سوتير " فى منامه إلاها كان يجهل شكله ولم يره من قبل ، يأمره بإحضاره إلى الإسكندرية ، واستدعى أحد الرحالة المدعو سوسيبيوس والذى كان على خبرة الاسفار وقص عليه الرؤيا ، فأخبر الرحالة بطليموس بأنه يوجد تمثال ضخم لهذا

الأله بمدينة سينوب ، وبناء عليه أحضره ملك مصر إلى الأسكندرية ، وعندما رآه كل من الكاهن المصرى مانثو والكاهن اليونانى ثيموثيوس قالا بأنه إله مصرى يدعى اوزوريس ، وبعد عدة مناقشات اتفقا على أن يطلقا عليه اسم سيرابيس الذى لم يكن يحمله من قبل ".

وهناك رواية أخرى ثالثة ذكرها لنا كامنت السكندرى(٤) ، قال فيها :

"كان التمثال هدية من شعب سينوب عرفاناً بالجميل إلى فيلادلفوس نظير هدية القمح التى أرسلها الملك البطلمى إلى سينوب بسبب المجاعة التى حلت بها فقبل الملك الهدية وقام بتنصيب التمثال فى معبد على هضبة راكوتيس " .(٥)

وتتفق الأقوال بأن أصل التمثال قد استورد من سينوب بآسيا الصغرى , وربما يكون الرأى صحيحاً على اعتبار أن هناك تشابه فى الاسم باللغة المصرية القديمة سن أبيى sen-api بمعنى منزل " أبيس " على حد قول عبد العظيم الراعى . (٦)

لكن وجهة النظر الأكثر ترجيحاً والتى ذكرها لنا تاكيتوس (٧) قال فيها " بأن الإله سيرابيس اشتق اسمه من الإله المصرى أوزير ــ حابى Hapi – Osir هى الصورة التى عبدها أهل منف لأوزوريس فى صورة العجل آبيس , إله العالم الأخر , ثم اضيفت إليه ملامح هللينية " .

وبناء عليه ، فإن الإله سيرابيس ، هو المعبود المصرى أوزوريس آبيس فى صورة هللينية ، وأن هذا الإله قد عبد فى المنطقة المجاورة لمدينة منف ، وأن الإغريق أشتركوا فى هذه العبادة المصرية قبل ظهور سيرابيس ، ويبدو أن كل ماقام به بطليموس كان رفع هذا الإله المحلى إلى إله قومى وتصويره طبقاً للعقائد اليونانية ، على غرار الإله زيوس اليونانى " (٨)

ويقول الأستاذ الدكتور إبراهيم نصحى [٩] إن اختيار هذا الإله دون غير من الألهه المصرية ربما كان له سبب سياسى هو سلب كهنة الإله آمون فى طيبة سيطرتهم الدنيوية ، حيث أن عبادة آمون كانت ديانة قومية ، ومناصرة عبادة أوزوريس ورفعها إلى مركز العبادة القومية بدلا من عبادة آمون وبهذا أصبح أوزوريس إلها للعاصمة البطلمية تحت اسم جديد وهو سيرابيس وهو نفس الاسم الذى كان اليونانيون المقيمون فى منف يطلقونه عليه قبل بناء مدينة الإسكندرية ، وعليه تمكن البطالمة من توحيد عقائد العنصر المصرى والعنصر اليونانى فى مدينة الإسكندرية أولا ثم فى باقى الإنحاء إلى أن إلها عالميا . [١٠].

وبظهور ديانة سيرابيس تبدأ عقيدة جديدة يمكن تسميتها العقيدة المصرية الإغريقية ، التى أصبح سيرابيس فيها إله الموتى ، وزوج الإلهة إيزيس المصرية ، وحل تماما محل الإله أوزوريس ، وأقيم له أعظم معبد فى عاصمة دولة البطالمة تحت اسم السيرابيون . [١١].



الشكل رقم (١)

اللوحة رقم ٢١٧٠٠، من الحجر الجيري ٥٤سم × ٥٥سم

المتحف اليوناني الروماني – الإسكندرية

الإله سيرابيس واقفاً بين الإله هيراكليس والإلهة أثينة

أسفل النحت البارز يوجد نقش يوناني ترجمته "إلى الآلهة العظام الحامية للخشوع والخير في السنة الثانية من ١٠ باءوني"

لكن الاختلاف فى طبيعة الألهة اليونانية والألهة المصرية حالت دون اشتراك اليونانيين والمصريين فى عبادة سيرابيس بشكله الهلليني , ولذا نجد أن المصريين عبدوا سيرابيس فى شكله المصرى تمشيا مع طقوسهم وشعائرهم المصرية ، بمعنى أنهم قاموا بعبادة الإله أوزوريس – حابى Hapi-Osir. (١٢) .

ولقد عبد اليونانيون الإله فى مدينة الإسكندرية (١٣) ، بالإضافة إلى منف كما سبق وقاموا بتشبيه بالإله الإغريقى هاديس أو بلوتو Pluto إله الموتى اليونانى ، لأن الإله الأخير كانت أهم اختصاصاته الدينية هى الاتصال بالعالم السفلى(١٤) ، وفى هذا يتفق اختصاصات الإله المصرى أوزوريس ، وبما ان هذا الإله الجديد كان على رأس آلهه الإسكندرية فاحتل مكانة زيوس لدى الإغريق ، ومن هنا شاع إطلاق اسم مزدوج على الإله مثل زيوس – سيرابيس مما دفع المصريين أن يطلقوا عليه زيوس – آمون – سيرابيس ثم أدمج مع الإله هليوس الإظهار مكانتة الشمسية وأصبحت صيغته زيوس هليوس – سيرابيس ، وكان سيرابيس إلاها للشفاء فقاموا بتشبيهه بإله الطب اليونانى أسكليبيوس كما جعلوا الثعبان رمزاً له . (١٥)

ونجد الإله سيرابيس فى هذه اللوحة رقم ٣١٧٠ ، ص ١٨٥ ممسكاً بيده اليسرى باقة من القمح أو الشعير ، فمن المعروف أن الإلهه إيزيس بعد أن اكتشفت القمح ، أعطت سنابله الأولى لأوزوريس (سيرابيس) الذى قام بتعليم البشر زراعتها ، وقد ابتدأ أوزوريس (سيرابيس) مهمته فى ارض مصر فأبطل العادات الهمجية القديمة ، وعلم الناس كيفية صناعة الأدوات الزراعية واستعمالها فى استنبات القمح والشعير ، وعلمهم أكل الخبز وشرب عبادة الآلهه ، واستخدم الآلات الموسيقية(١٦) ، وبعد ان قام بنشر الحضارة فى مصر غادرها إلى آسيا وبقية أنحاء المعمورة ، متابعا مهمته فى نشر الحضارة محببا فيه الناس بالمعاملة الطيبة ، ثم عاد إلى مصر ليحكمها بالعدل ، ولكن إلى حين . (١٧). واللوحة تقدم الإله واقفاً بين الإله

هيراكليس ابن الإله زيوس من ألكمينى , والإلهه أثينة ابنة زيوس أيضا لكن من ميتيس (انظر الشكل) وبناء عليه فإن سيرابيس فى هذه اللوحة كان يعبد على أنه زيوس سيرابيس ، ولما كان الإله زيوس اليونانى قد شبه بالإله آمون المصرى فيمكن أن نطلق عليه زيوس – آمون – سيرابيس ، ويقوم بدور الأب فى الثالوث والإلهه أثينة تقوم بدور الأم ، وأما الإله هيراكليس فيقوم بدور الابن [١٨] .

الإلهه أثينة : Athena

طبقاً للمعتقدات الدينية بين المصريين الإغريق ، فإن الإله سيرابيس كان صورة من الإله أوزوريس ، فأصبح من الطبيعى أن تكون الإلهه إيزيس زوجة له[١٩] ، ولكن طبقاً للأفكار الدينية فإن الالهة أثينة أصبحت مما ثلة للربة إيزيس ، كما هو واضح من اللوحة .

ومن العوامل التى أدت إلى تشبيه الإلهة أثينة بالربة إيزيس ما يلى :

أولا : يرى بلوتارخوس [٢٠] أن " عرش الإلهه أثينة " فى سايس التى يعتقدون أنها هى " إيزيس " نفسها ويحمل النقش الآتى : أنا كل ماكان وما هو كائن وما سوف يكون ، وما من بشر قادر أن يرفع عنى ردائى [٢١] .

ثانيا : أن الإلهه أثينة كانت إلهة الذكاء والمعروفة والحكمة وقد فسر مولدها من " ميتيس " ربه الحكمة والمعروفة والرأى السديد والعلم الذى فاق علم الآلهة والناس أجمعين ، ومن رأس أبيها (وهو مركز العقل) أتت وانبثقت [٢٢] .

أما الربة إيزيس فقد وصفت " بأنها الحكيمة ، حبيبة الحكمة بلا منازع ـ واسمها يدل على أن المعرفة والحكمة تناسبها تماما " على حد قول بلوتارخوس (٢٣) , والذى يرى أيضا أنها " ابنه هرميس مبتكر علم القواعد وفن الموسيقى وابنة بروميثيوس مكتشف الحكمة والنبوة " (٢٤) .

ثالثا: يقول بلوتارخوس (٢٥) : " فغالبا ما يسمون إيزيس باسم أثينة (نيت) ويعنى شيئا مثل " أتيت من ذاتى " ويبين أن الحركة الدافعة لهذه الإلهة ناشئة من ذاتها " . (٢٦)

رابعاً : أن الإلهة أثنية " كانت تمنح روح النبوة ، وتطيل كما تشاء من أعمار الناس ، وتهب السعادة بعد الموت ، كان كل ماتعبر عنه بإيماءة من رأسها نافذا لا مرد له ، وكل ماتعد به يتم حتما " أما الربة إيزيس فقد اكتشفت إكسير الخلود ، وكانت بارعة فى فنون الطب والعرافة , وكانت الشافية (٢٧) .

خامساً : ومع أن أثينة كانت ربة للحرب فإنها لم تكن تبتهج بالقتال كآريس Ares إله الحرب وإيرس Eris (إلهة النزاع) بقدر ماكانت تبتهج بحسم النزاع ومناصرة القوتين بالوسائل السلمية , فهى لم تحب السلاح فى زمن السلم فإذا احتاجت إليه استعادته من أبيها زيوس وكانت ربة رحيمة القلب " على حد قول عبد اللطيف احمد على (٢٨) .

والربة إيزيس " قد سنت – فيما يقولون – القوانين التى تعامل الناس بمقتضاها فيما بينهم بالعدل وكفوا بموجبها عن استعمال القوة دون وجه حق وعن التطاول خوفا من العقاب " على حد قول ديودوروس (٢٩) .

سادساً : أن الإلهه أثينة احرزت تقدماً ملحوظاً فى الصناعة وكانت راعية للحرف والصناعات وعلى الأخص صناعة غزل ونسيج الملابس والإشغال المنزلية النسوية , وبناء عليه لقبت براعية المهن الصناعية ergane ثم لقبت فيما بعد راعية الحرف الفنية.(٣٠)

أما الربة إيزيس " فقد ساعدت زوجها وأخاها فى إدخال الحضارة للبلاد فعلمت النساء طحن الحبوب وغزل الكتان والنسيج للملابس وعودت الناس على الحياة العائلية بإنشاء نظام الزواج , وبقيت فى مصر حاكمة لها , وحكمت بالصدق والحكمة " . (٣١)

سابعا : اشتهرت الإلهه أثينة بأنها ربة دولة المدينة Polias حيث إنها كانت تحمى المدائن والإسوار وعلى الإخص مدينة أثينا(٣٢) ، كما اشتهرت الربة إيزيس بأنها الربة الراعية والحامية لمدينة الإسكندرية (٣٣) .

ثامنا : كانت للإلهة أثينة صلة وثيقة بالماء كما تبين من لقبها Tritogeneia اى ابنة تريتيون البحيرة التى ولدت عندها(٣٤) ، والربة إيزيس كانت الأرض الصالحة للزراعة فإذا جاء الفيضان (أوزوريس) امتصته إيزيس ويفنى أوزوريس ثم تعود الحياة من جديد وهى حورس (حاربوقراطيس) عندما ينبت الزرع وتخلق السنابل . (٣٥)

تاسعاً : الإلهه أثينة اكتشفت شجرة الزيتون ، ولقبت بالعذراء Parthenos(٣٦) والربة إيزيس كشفت عن غلة القمح والشعير ولقبت بالبتول العذراء . (٣٧)

عاشراً : هذه الإلهة هى الإلهة التى وصفها ديودوروس (٣٨) ، بأنها " تطوف حول العالم كله وتتجلى للناس أحياناً فى شكل حيوانات مقدسة ، وتتخذ أحيانا أخرى

مظهر الإنسان أو هيئة سائر المخلوقات ، وهم يقولون أن هذا ليس حديثاً خرافياً ، بل إنه يمكن الحدوث لأن هذه الآلهة هي في الواقع خالقة كل شئ " .

ويقول فى مكان آخر , إن الربة إيزيس " تهيئ الحياة والنماء لكل شئ بوساطة فصول ثلاثة هي الربيع والصيف والشتاء , تتم دورتها فى اطراد غير ملحوظ , ومع أن هذه الفصول الثلاثة تختلف فى طبيعتها اختلافا بيناً إلا أنها تتم السنة فى انسجام تام " (٣٩) فهذه هي الإلهه التى يسميها معظم الناس" صاحبة الأسماء التى لا تحصى لأنها بقوة العقل (لوجوس) تستطيع أن تتقبل كل أنواع الأشكال والصور على حد قول بلوتارخوس (٤٠).

أحد عشر : إن الإلهه أثينة أنقذت حياة الطفل هيراكليس وراعيته من غضب الإلهة " هيرا " زوجة الإله " زيوس " وكان " زيوس " يعلم ان ابنه سيخوض كثيرا من المخاطر فأمر الإلهة أثينة من ان تشد ازره (٤١) .

اما الربة إيزيس فقد ولدت الطفل المقدس " حور " وذهبت به لبوتو لتربيتة بعيداً عن غضب الإله " ست " عمه الذى اغتصب العرش إلى أن يأتى اليوم الذى يشتد فيه ساعده لينتقم لأبيه الإله أوزوريس (٤٢) .

وعلى ضوء ماسبق يتضح أن الإلهة أثينة اصبحت مماثلة للربة إيزيس على هذه اللوحة الأثرية , ونتيجة لعملية المزج بين الآلهه الإغريقية والمصرية فيمكن هنا ان نطلق عليها اسم أثينة – إيزيس(٤٣) ؟

الإله هيراكليس Herakles :

ولقد اختير هذا الإله ، فى اللوحة التى نحن بصددها ، بهدف تكملة ثالوث الإسكندرية ، فنجد الإله واقفاً ممسكاً بهراوته ذات العقد الكثيرة والتى كانت فى الأصل

فرعاً من شجرة الزيتون ، وهذه الهراوة كانت تتمتع بقدرات سحرية في شفاء الأمراض ، كما تشهد على عبادة هذا البطل كقوة تمنح الخصب للأرض (٤٤) ، وكان في الحقيقة ثالث أضلاع هذا الثالوث المقدس يمثله " حور " الطفل المقدس ، الذى لقبه الإغريق " حاربوقراطيس " ونتيجة لعملية المزج بين الآلهه المصرية والإغريقية ، فيمكن هنا أن نطلق عليه هيراكليس ـ حاربوقراطيس . (٤٥)

وحيث أن هيراكليس تغلب على قوى الشر في نظر المتعبدين له فشبهوه بالإله المصرى " حور " الذى قهر قوى الظلام (٤٦) ، وكانوا ينظرون إليه على انه المعين الذى لايقهر في كل شدائد الحياة ، وكان يحميهم من كل مكروه ، وكان يلازم كل فرد أثناء كل معضلة ، كما كان يشفيهم من كل الأمراض (٤٧) .

وهيرودوتوس أو الإغريق الذين اكدوا ان هيراكليس كان واحداً في الأصل من الإثنى عشرا إلهاً في الديانة المصرية القديمة (٤٨) ، ويؤكد ديودوروس الصقلى ان هيراكليس كان مصرياً وكان في الأصل يسمى " الكايوس " وأن اهل ارجوس كانوا قد فسروا هذا الاسم على أنه يعنى البطل الذى اكتسب مجداً عن طريق هيرا (٤٩)، ويقول أيضاً إذا كان الآباء هم الذين يختارون الأسماء لأبنائهم فإن الفضيلة هى التى أعطت هيراكليس هذا اللقب (٥٠) .

وعن طبيعة هيراكليس فيصفه ديودوروس ويقول إنه " كان رجلا شهماً تواقاً إلى الفتوة(٥١) ، وأن أوزوريس بعد أن نظم الأمور في مصر "وكل إليه قيادة الجيوش في جميع أركان المملكة لأنه يمت إليه بصلة القرابة ولأنه كان موضع إعجاب الجميع لشجاعته وقوته (٥٢) ، ويرى الباحثون ان طبيعة هيراكليس البشرية كانت تتسم بالأعمال البطولية ، وأنه قد ولد لكى يصبح منقذا للبشرية من الخوف وظلم الطغاة

واللصوص ، ومعاونا للآلهة أثناء صراعاهم مع العمالقة الذين مثلوا مظاهر الطبيعة الهمجية ، وبعد أن انتصر للآلهه فى معركتهم أصبح إلها . [٥٣]

أما عن هيراكليس الإغريقي " فهو ابن أمفيترون وألكمينى وأعطاه والده ــ وهما من أصل مصرى ــ اسم الإله المصرى " على حد قول هيرودوتوس [٥٤] لكن الأسطورة الإغريقية تحكى أن كبير الآلهه زيوس الذى عشق الكثيرات من نساء البشر قد وقع فى حب ألكمينى زوجة أمفيترون بن ألكايوس ، وأن زيوس أخذ صورة زوجها وضاجع ألكمينى التى حملت بهيراكليس ، واستشاطت هيرا زوجة زيوس غضبا ونقمت على ألكمينى وعلى ابنها هيراكليس لذا فقد تخلصت منه أمه ورمته فى العراء لولا أن ساقت الصدفة كلا من أثينة وهيرا إلى المكان الذى يرقد فية ، فالتقطته أثينة مشفقة على طفولته وراجية من رفيقتها هيرا أن ترضعه من ثديها الإلهى ، وذلك أن أثينة لاتستطيع ان ترضعه حيث إنها كانت عذراء [٥٥] ، وكانت رضاعته من ثدى هيرا شرط حصوله على الخلود ، وهكذا أنقذت أثينة حياة الطفل هيراكليس ، وعندما وضع الطفل فمه على ثدى الإلهة هيرا رضع بعنف حتى إنه حتى جرح ثديها ، لذا فقد ألقت به على الأرض من شدة الألم. [٥٦]

وعليه حملت أثينة إلى مدينة طيبة ووهبته إلى الملكة ألكمينى والدته الأصلية وطلبت منها ان تتولاه بالرعاية وكان زيوس يعلم ان ابنه سيخوض كثيرا من المخاطر فأمر ابنته المحبوبة أثينة أن تشد من أزره [٥٧].

وبالتطبيق لما سبق فاللوحة تقدم لنا الثالوث الإلهى القائم على أساس التصور الحسى البشرى عند أفلاطون [٥٨] فالإله زيوس – سيرابيس (كما ذكرنا سابقا) يقوم بدور الأب وكان يجمع بين ألوهية الخصب وألوهية مملكة الأموات ، فهو الخالق بقوة الكلمة الصادرة من العقل Logos[٥٩] وكان اللوجوس عند المفكرين اليونانيين هو "

العقل الخلاق السرمدى " والحقيقة المطلقة لاستمرارية الكون (٦٠) ، والكلمة الإلهية اعتبرتها مدرسة منف الفرعونية سر الخلق والتكوين (٦١) .

أما الإلهة أثينة ـ إيزيس تمثل الروح الطاهرة والقوة الروحية المرشدة (٦٢) ، كما تمثل الحية " فهى الهواء النقى الطاهر " على حد قول ديودوروس (٦٣) فهى أعادت الحياة إلى زوجها أوزوريس (سيرابيس) بنفحة هواء من أنفاسها (٦٤) ، ومثلت هنا فى هذه اللوحة كإلهة محاربة مسلحة تقف على قمة العقل Nous تشحذ الهمة والشجاعة والطموح وهى العذراء (٦٥) .

وأخيرا الابن هيراكليس ــ حاربوقراطيس ، ويمثل العقل الأبوى فهو اللسان المعبر عن إرادته فهو الخلق (٦٦) .

إذن فهذه اللوحة تقدم الآلهه التى ترمز إلى العناصر الأربعة للكون وهى النار والهواء والماء والأرض والتى يسيطر عليها الثالوث (٦٧). فالإله زيوس – سيرابيس كإله الخصوبة يمثل الشمس (النار) التى ترتبط بها الأرض الزراعية " أثينة ــ إيزيس " وهى أيضا الهواء النقى الطاهر فقوة الخلق متجسدة فى " أوزوريس " ماء الفيضان الذى تمتصه الأرض وإذا بالحياة تعود من جديد وهى هيراكليس ـ حاربوقراطيس عندما ينبت الزرع وخلق السنابل الجديدة . (٦٨)

ويؤكد النقش اليونانى المنحوت أسفل اللوحة على السنة الثانية أو فى العام الثانى " بمعنى عيد " حورس " وكان يحتفل به كل عامين على حد قول محمد عبد القادر محمد (٦٩) ، ثم يذكر النقش تاريخ ١٠ باخوم وشهر باخوم هو أول شهر فى فصل جنى المحصول ويمثله شهر مارس (٧٠) ، وبناء عليه فإن اللوحة مقدمة للإلهة التى تحكم فى الدورة الزراعية والتى يسميها النقش الإلهة المنقذة الحامية للخشوع والخير ، أما السنة الثانية من ١٠ باخوم فهى تمثل الاحتفال الطقسى المرتبط بالربيع والخصوبة والازدهار

والتجدد فى الاعتدال الربيعى ، فالابن هيراكليس ـ حاربوقراطيس بعث من جديد من آخر أيام الشتاء .

الحواشي

(١) انظر : Abou - El -Atta AL-Hussein " Heracles of lexandria . Acomparative study of the forms of the hero through out the greaco - Roman epoch in Alexandria " Rome E I, Egitto Nell Antichita classica " Atti del congresso internazionele italo - Egiziano , cairo 6-9 Febbraio 1989 istituto italiano di cultura per la R.A.E istituto poligrafico e zecca dello stato Roma 1992 , pp , 27 - 39 , fig (18)

(٢) انظر : Tacitus ., Hist ., IV ., 83- 4

(٣) انظر: Plutarch , De iside El Osiride ., " Plutarch `s Moralia V" in the Loeb Classical Library ,. No . 28

(٤) انظر : Clem . Alex ., Protrept ., iv ., 42

(٥) انظر : Tacitus ., op ., cit ., 84 ., cf ., clem ., Alex ., Op ., cit ., 42

حيث يقولا " نقلا عن ابسيدوروس sidorus إن شعب سيليوقيا بالقرب من أنطاكية عانوا من قلة القمح فقام بطليموس الثالث "يورجيتيس" بمساعدتهم وعرفانا بالجميل أهدوا إليه التمثال " .

(٦) انظر : الدكتور عبد العظيم الراعى ، محاضرات فى تاريخ العصر الهللينيستى ومصر البطلمية ، جامعة القاهرة ـ كلية الآداب ١٩٧٧-١٩٧٨ ، ص. ١٤١ .

(٧) انظر : Tacitus ., op ., cit ., 84

(٨) انظر :

H. Idris Bell , Cuits and Creeds in Graeco - Roman Egypt , Liverpool 1954 ,. Pp 19 - 20 .

وانظر أيضا و.و تارن , الحضارة الهلينستية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة زكى على ، الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٦ ، صـ ٣٧٨- ٣٨١ .

(٩) الدكتور إبراهيم نصحي ، تاريخ مصر في عصر البطالمة ، الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٤٦ ، الجزء الأول ص ٢٧٨ .

وأيضاً : الدكتور إبراهيم نصحي , دراسات في تاريخ مصر البطلمية ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٩ , ص ٧ ومابعدها .

(١٠) انظر : الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى ، عصر البطالمة "

دراسات في تاريخ مصر الحضاري " مركز التعاون الإسكندرية ١٩٨٠ ,

ص ١٨٥ حيث يقول وقد ساعدت على انتشار هذه العبادة ظروف معينة كانت قد بدأت تظهر بشكل واضح في ذلك الوقت وكان من الطبيعي أن يدركها البطالمة ويجعلوا منها إحدى نقط الانطلاق لدعايتهم السياسية التي كان أصلح مكان لتوجيهها هو الإسكندرية بموقعها المتوسط ذي الاتصال بكافة أرجاء العالم المتاغرق ."

(١١) ترجمة عبد المنعم أبوبكر ، أدولف أرمان ، ديانة مصر القديمة مراجعة الدكتور أنور شكرى ، وزارة المعارف العمومية القاهرة بدون تاريخ ، ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨ .

(١٢) E. Bevan , A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty , London 1927 , p , 45

ادولف أرمان ،مرجع سابق ، ص ٤٢٠

(١٣) إن اختلاف طبيعة الإله اليونانية وطبيعته المصرية , حالت دون اشترك المصريين واليونانيين في عبادة الإله سيرابيس بهيئته اليونانية حول هذا الأختلاف .

H. Idris Bell , Op ., cit ., pp , 5 - 13

الدكتور سليم حسن , مصر القديمة , الأسكندرية وبداية عهد البطالمة في مصر , الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة ١٩٩٤ , الجزء ١٤ , ص ٢١٣ ـ ٢١٥ .

(١٤) Diodorus ., I ., 25 .

Cf ; Plutarch, op ., cit ., 27 and28

شيشرون , علم الغيب في العالم القديم , ترجمة الدكتور توفيق الطويل , الإسكندرية ١٩٤٩، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥

(١٥) J. Frazer ., Adonis Attis Osiris , Studies in the History of Oriental Religion , London 1919 ., pp 118 _ 119 .

(١٦) الدكتور سليم حسن ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ ـ ٢١٠

(١٧) Pluarch ., op ., cit ., 13 Cf ., Diod , 1 , 17 - 18 and 20

(١٨) Diod ., 1, 25

(١٩) الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى , مرجع سابق , ص ١٨٤ حيث يقول

"فقد أصبح سيرابيس هو الإله الذى يرعى الأمبراطورية البطلمية كما ظهر بشكل واضح (بعد أن أصبحوا يرون فيها عبادة أوزوريس وزوجته إيزيس وابنهما " حورس " بين مجموعة الآلهة التى انتشرت عبادتها فى أنحاء العالم المتاغرق " .

(٢٠) Plutarch ., op ., cit ., 9

(٢١) اعتقد أنه يريد أن يقول " ان معرفة أثينة (إيزيس) وحكمتها لايمكن فهمها بالعقل بل بالتقرب إليها والدخول تحت ردائها وأن الإستنارة تأتى عن طريق التقرب الروحى منها " .

(٢٢) F. Guirand ., Greek Mythology , Hamlyn ,London 1963 , pp , 23 - 24

حيث يحكى الأسطورة الإغريقية فيقول أن " إلهة الحكمة القديمة " ميتيس" ابنه الزوجين المائيين " أوقيانوس " و" ثيتس " كانت أولى زوجات كبير الآلهة " زيوس " وهى توصف بأن كان لها من الحكمة أكثر مما لكل الآلهة مجتمعين وعندما حملت " ميتيس " من " زيوس" جاءته نبوءة بأن زوجته ستلد له أطفالا يتفوقون عليه ويتحدون سلطانه عند ذلك قام " زيوس" بابتلاع ميتيس قبل أن تلد وعندما جاء ميتيس ألم الولادة وهى فى اعماق زيوس , انتابه صداع اليم لم يهدأ حتى قام الإله " هيفايستون " بشق رأسه بفأس ومن هذا الشق فى راس " زيوس " ولدت " أثينة " منبثقة بكامل عدتها الحربية من رأس الإله " زيوس" كإلهة للذكاء والحكمة التى تدعو إلى التفكير المنطقى الواعى أما أمها " ميتيس " فقد بقيت فى جوف كبير الإلهة تمده بحكمها التى تنير النفس " .

(٢٣) Plutarch ., op ., cit ., 3

(٢٤) Ibid , 2

(٢٤) Ibid ., 62

(٢٦) أنظر : الدكتور محمد صقر خفاجه والدكتور عبد اللطيف أحمد على , أساطير اليونان , مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٩, جـ ١ , صـ ٢٥-٣٢ وأنظر أيضا ب كوملان , الأساطير الإغريقية والرومانية ترجمة أحمد رضا محمد رضا مراجعة محمود خليل النحاس (الألف كتاب الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢ , ص ٣١- ٣٢ .

Diod ., 1., 25 (٢٧)

(٢٨) الدكتور عبد اللطيف أحمد علي , التاريخ اليوناني , العصر الهللادي

دار النهضة العربية بيروت ١٩٧١ , جـ ١-٢ صـ ٢٧٣ .

الدكتور محمد صقر خفاجة والدكتور عبد اللطيف أحمد علي , مرجع سابق صـ ١٧٥ - ١٧٦

وكيف توسطت الإلهة " أثينة" عند ابيها " زيوس " لاوديسيوس وأهل إيثاكا ويقول " وحلقت أثينه " في الفضاء وطارت إلى إيثاكا وبدت لأهلها في صورة صديق من أصدقاء أوديسيوس وهتفت بهم وبملكهم قائلة " اجنحوا إلى السلم أيها المواطنون وضعوا حدا للخصومة بينكم حتى لاتغضبوا سيد الأرباب فاستجابوا لندائها وتعاهدوا على الود والإخاء وعاد أوديسيوس إلى قصره وقضى أيامه في راحة وهناء يدين له الشعب بالحب والولاء .

مايقوله هوميروس , الأوديسة , ترجمة عنبره سلام الخالدي , تقديم الدكتور طه حسين , دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٧ , ص ٥٩ - ٦٢ حين تقدم صورة الآلهة يتحدثون عن البشر ولزيوس سيادته على الآلهة الآخرين فيقول " عاد الآلهة إلى عقد مجلسهم في أعالي الأوليمب وتكلمت منهم أثينه قائلة : ليعدل الملوك عن العناية بالخير وإقامة العدل بين الناس " .

Diod ., 1 ., 13- 14 . (٢٩)

وأيضا الدكتور محمد صقر خفاجة والدكتور عبد اللطيف أحمد علي ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

(٣٠) توماس بلفينش , عصر الأساطير , ترجمة رشدي السيسي مراجعة دكتور محمد صقر خفاجة ، النهضة العربية القاهرة ١٩٦٦ ص ١٥٩-١٦٤ وانظر : أيضا الدكتور عبد اللطيف أحمد علي ، مرجع سابق ص ٢٧٣ وأيضاً الدكتور محمد صقر خفاجة والدكتور عبد اللطيف أحمد علي , مرجع سابق ص ٣٠-٣١

Diod ., 1 ., 13 - 14 . (٣١)

J. J . Bachofen , Myth Religion and Mother Right (٣٢)

Princeton New York 1973 , pp , 157 ff

حيث يذكر الأسطورة اليونانية حول أصل مدينة أثينا يقال في صباح أحد الأيام وقبل أن يطلق على مدينة أثينا هذا الأسم استيقظ اهل المدينة ليجدوا أنه من باطن الأرض نبتت شجرة زيتون ضخمة في ليلة واحدة وبالقرب منها منبع ماء فشعر أهل المدينة أن وراء ذلك سرا إلهيا فأرسل ملك المدينة إلى معبد دلفي يستشير عرافته فجاءه الرد أن شجرة الزيتون هي الإلهة " أثينة " وأن نبع الماء هو الإله " بوسيدون " عند ذلك جمع الملك سكان المدينة للاستفتاء في أي الأسمين يطلقون

على مدينتهم ولما كان عدد نساء المدينة أكبر من عدد رجالها فتم إطلاق اسم الألهة " أثينة " على المدينة .

(٣٣) ادولف أرمان ، مرجع سابق ، ص ٤٣٣ .

(٣٤) Diod . I. ١٢

حيث يقول " وترجع تسميتها (أى أثينة) تريتوجينياTritogeneia "الثالوثية المولد " إلى انها تغير طبيعتها ثلاث مرات فى السنة فى الربيع والصيف والشتاء .

(٣٥) 'lutarch ., op ., cit ., 32

(٣٦) bid , 75

حيث يقول " وقد جعل فيدياس فى جانب تمثال ثعبانا ليبين أن العذارى فى حاجة إلى الحماية"

)iod ., I., 12

حيث يقول " أما عن الهواء فيقال أنهم أطلقوا عليه اسما يقابله فى اليونانية Athena وأنهم اعتبرو ا أثينه ابنه لزيوس وتصورها عذراء لأن الهواء فى حالته الطبيعية نقى طاهر ويشغل المحل الأرفع من العالم بأسره ومن هنا جاء فى الأساطير أنها خلقت من رأس زيوس . "

F. M .Cornford , From Religion to Philosophy , Harper Books ., New York 1957 , p , 40

حيث يذكر ان انكسيمانس كان يعتبر أن الهواء هو الإله فيقول " كما أن الروح وهى الهواء تحافظ على التماسك فينا ، هكذا يحوط النفس والهواء بالعالم كله ".

(٣٧) Diod ., I., 14

(٣٨) Ibid ., I., 12

(٣٩) Ibid ., I ., 11

(٤٠) Plutarch ., op ., cit ., 53

حاشية رقم (٣٤) أعلاه لأجراء المقارنة مع النص المكتوب فى متن البحث كى نرى مدى التوافق بينهما لكلتا الإلهتين .

(٤١) الدكتور عماد حاتم , أساطير اليونان , الدار العربية للكتاب ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى ١٩٨٨ صـ ٢٢٣ _ ٢٢٤ .

(٤٢) Diod , I ., and ., 14

(٤٣) هـ . ج . روز , الديانة اليونانية القديمة , ترجمة رمزى عبده جرجس , راجعه دكتور محمد سليم سالم , دار نهضة مصر , القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٦٧- ٦٨

حيث تقول " وليس ثمة دليل شاف على أن أثينة كانت فى وقت من الأوقات " إلهة أما " إلا أن هناك من القرائن البينة ما يقطع بأنها كانت هى الأخرى بالبلاد قبل مقدم اليونانين .

(٤٤) F , Guirand ., op , cit ., p., 31

(٤٥) الدكتور عبد العظيم الراعى , مرجع سابق , ص ١٦١ - ١٦٢ . الدكتور داود عبده داود، فن الأسكندرية فى عهد البطالمة _ المحاضرة الثالثة عشر من سلسلة المحاضرات العامة (جامعة الأسكندرية - كلية الأداب) العام الجامعى ٦٢ \ ١٩٦٢ ص ٢٣ .

(٤٦) E. Breccia ., Alexandria ad Aegyptum , Bergamo 1922 , p , 328 ., cf . J. valud ., Egyption Mythology ., in Larouss Encyclopedia of Mythology Hamlyn London 1977 ., pp ., 16- 18 F.

(٤٧) Guirand ., op ., cit ., pp ., 24 and 31

الدكتور داود عبده داود ، سبق ذكره، ص ٢٣ .

(٤٨) Herodotus ., ii ., 13

(٤٩) Diod ., I ., 24

(٥٠) Ibid ., I ., 2

(٥١) Ibid ., I ., 19

(٥٢) Ibid ., I ., 17

(٥٣) سينيكا ، هرقل فوق جبل أويتا، ترجمة وتقديم الدكتور أحمد عتمان المسرح العالمى (١٣٨) وزارة الإعلام الكويت ١٩٨١ص٦٠-٧١

أحمد عتمان ، هرقل (ربحث فى مغزى أسطورة التالية وأصولها الشرقية) مجلة آفاق عربية ، بغداد ، العدد الخامس ، كانون الثانى ١٩٧٨ ، ص ٦٩

Ahmed Etman " the problem of Heracles Apotheosis In the " Trachiniae " of Sophocles and in "Hercules Oetaeus " of Seneca (Acompartive study of the Tragic And Stoic meaning of the myth) A Reprint of the summary in English from a thesis for the ph . D. Degree. in Greek ., Athens 1974.

توماس كارليل , الأبطال , ترجمة محمد السباعى , دار الرائد العربى , لبنان ١٩٨٢ , ص ١- ص ٥٢ .هنا يجب أن نفرق بين كلمتى " بطل " وإله " فى الفكر الدينى الإغريقى وذلك أنه إذا كان هذان اللفظان قد استخداما فى العصور القديمة بدقة وتمييز وواضح فأنهما فى العصور المتأخرة قد امتزجا واختلطا واستخداما دون تميز إبان العصر الهلنيستى ومايليه ومع ذلك فإن الفصل بين الإله والبطل فى طقوس العبادة ظل ملموسا ولم يحدث قط أن اختلطت طقوس عبادة الإله بطقوس عبادة البطل إذا أن هناك فروقا واضحة بين طبيعة كل من هاتين الفئتين المقدستين فالآلهة يتمتعون بالخلود والنعيم أما الأبطال فحياتهم فانية إلى زوال وهى مملوءة بالمغامرات وبعد موت الأبطال فإنهم يدفنون فى قبر من القبور يضم رفاتهم ويصبح مركز عبادتهم أما الألهة فلا يموتون وتنتشر معابدهم فى كل مكان (د. أحمد عتمان . المرجع السابق) .

(٥٤) Herod ., ii ., 43

(٥٥) د. أحمد عتمان , سينيكا , مصدر سابق , ص ١١ - ١٢
بومنس بلفينش , مرجع سابق , ص ٢١١ - ٢١٨

(٥٦) لويس عوض , نصوص النقد الأدبى (اليونان) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٤٦٥
حيث يقول " فكان الرب هرميز يحمله (هيراكليس) إلى ثديها (ثدى هيرا) وهى نائمة ليرضع .

(٥٧) الدكتور عماد حاتم ، مرجع سابق ، ص ٢٧١ - ٢٧٣

(٥٨) Plato ; Timaeus ., 34 - 36 Phaedo ., 97 b and C
حيث أن هذا التصور بلغ مرحلة عظيمة لدى أفلاطون , فقد تصور الحقيقة الإلهية مصدرا لكل معرفة .

(٥٩) الدكتور يوسف كرم , تاريخ الفلسفة اليونانية , القاهرة ١٩٥٨ , ص ٤٢ - ٤٣ حيث يقول " أن أنا كساجوراس هو أول فيلسوف أعتقد فى العقل المسيطر على جميع الأشياء " .
هـ . وهـ أفرانكفورت . ماقبل الفلسفة , الخاتمة , ترجمة جبرا , مراجعة د . محمود الأمين , منشورات دار الحياة بغداد ١٩٦٠ , ص ٢٨٩ - ٢٩٠ حيث يقول " وهذه النقطة بحد ذاتها ترينا أن " العقل " طوال عهد الفلسفة الإغريقية المبكرة هو المعترف به حكما أعلى بالرغم من أن " اللوجوس " لايرد ذكره قبل هيراقليطس وبارميندس وهذا التوجه الضمنى أو الصريح نحو العقل وهذا الإستقلال عن " قدسيات الدين المانعة " هما اللذان يضعان الفلسفة الإغريقية المبكرة في وضع يميزها أشد التميز عن الفكر فى الشرق الأدنى القديم .

(٦٠) Plato ; Timaous , 34 - 36 And Phaedo ., 97b and c

(٦١) جيمس ، هـ برستد ، فجر الضمير ، ترجمة الدكتور سليم حسن مراجعة عمر الإسكندرانى وعلى أدهم مجموعة الألف كتاب (١٠٨)
مكتبة مصر ، القاهرة ١٩٥٦ و ص ٥٥ - ٥٦
جيمس هـ برستد , تطور الدين والفكر المصرى القديم , ترجمة زكى سوس , دار الكرنك القاهرة ١٩٦١ ص ٨٠ - ٨٤

(٦٢) Diod ., I ., 12
حيث يقول "اعتبروا الأرض أشبه شيء بالرحم لكل ماينبت وأطلقوا عليها الأم (Meter) ، ويعرف "ارسطوا " بأنها صورة للبدن وتتميز عن الصور الأخرى المتصلة بالمادة بأنها صورة عاقلة تسمو على البدن وتحيا حياه عقلية غير مرتبطة أساساً بالمادة ولهذا لاتفنى بفناء الجسد . والأفلاطونية ترى أن الجسد سجن للروح .

(٦٣) Diod ., I ., 12 ., and ., 16
حاشية رقم (٤٠) مبينة اعلاه .

(٦٤) Plutarch ., op ., cit ., 19

(٦٥) F. Guirand ., op ., cit ., pp ., 23 - 24

(٦٦) Plutarch ., op ., cit ., 56

(٦٧) الدكتور يوسف كرم , مرجع سابق , ص ٤٢ - ٤٣ حيث يقول

أن أنا كساجوراس هو بلا شك أول موحد بين الفلاسفة وربما كان "

أول من اتهم بالإلحاد وذلك راجع إلى أن أنا كساجوراس بعدما أكد أن العقل منظم الأشياء جميعا عاد وفسر كل الموجودات الطبيعية بالعناصر الأربعة وردها إلى النار والهواء والماء والتراب مما جعل سقراط يصفه بالألحاد في محاورة الدفاع لأنه عد الآلهة كالحجارة " .

الدكتور عبد المعبود مصطفى سالم , المدارس الفلسفية اليونانية قبل أرسطو ، مطبعة الأمانة القاهرة , ١٩٨٧ ,ص ٢١٩ .

حيث يقول " وأنبا دوكليس أول من قال أن هذه العناصر الأربعة مبادئ على السواء ليس بينهما أول ولا ثان لاتتكون ولاتفسد فلا يخرج بعضها من بعض ولايعود بعضها الى بعض لكل منها كيفية خاصة الحار للنار والبارد للهواء والرطب للماء واليابس للتراب " .

(٦٨) **Plutarch ., op ., cit ., 22 ., and 35 ., and 38**

(٦٩) دارالمعارف ا لدكتور محمد عبد القادر محمد , الديانة في مصر الفرعونية ، ١٩٨٤ ، ص ٨١ .

(٧٠) أمين الخولى وآخرون , تاريخ الحضارة المصرية ," العصر اليوناني والروماني " , المجلد الثاني .

Prof , Dott ,Lorenzo Rocci ., Vocablario ,Greco-Italino ., Italy 1941 .

رؤية تفسيرية للإلهة إيزيس عند بلوتارخوس

رؤية تفسيرية للإلهه إيزيس

عند بلوتارخوس

بلوتارخوس [(١)] كان أحد الذين اعتنقوا عبادة الإلهه إيزيس وصار كاهنا فى واحد من معابد هذه العبادة فى اليونان ، ثم كتب كتابه المسمى " إيزيس وأوزوريس " لكاهنة يونانية كانت تسمى (كليا - Cléa) وكانت تتولى الكهانة فى معبد لإيزيس في مدينة (دلفى - Delphes) اليونانية .

وفيه تعرض الكاتب لطبيعة هذه الإلهة فقال أنها تقول عن نفسها "أنا ما كان ويكون وسيكون وما من أنسان بقادر على رفع عنى ردائى بعد " [(٢)]

كانت إيزيس سيدة الإسرار من يجرؤ على هتك سرها حلت عليه لعنتها ، ومن حاول رفع رداءها عنها لقى مصير الشاب الذى أزاح الرداء عن تمثالها فى أحد معابدها فأصابه الخيال لما رأى وأنعقد لسانه بقية حياته [(٣)] .

ومع ذلك فإننا سوف نبدأ برفع أرديتها الواحد , لنكشف عن وجه الأنثى الخالدة فى ضمير كل من اعتنق عبادتها ، ارتبطت عبادة المرأة منذ العصور الحجرية القديمة بعبادة الأرض ، لأنها ترمز للخصوبة واستمرار الحياة ، لذا رأى سكان وادى النيل فى الإلهة إيزيس كل مظاهر الخصب والتكاثر فى الطبيعة بما فى ذلك تكاثر الإنسان والحيوان والنبات إلى قوى الخصب الإلهية المتمثلة فى الإلهة الأم ـ الكبرى أو الأرض ـ الأم [(٤)] ، وإخصاب تربتها ليس سوى نوع من الميلاد المتجدد للمحصول والمعين الذى لاينضب للحياة الجديدة , والخصب فى كل انواعه فهى تلد فى كل سنة النبات من جديد أنها تهب الحياة وهى منتجة القمح والحبوب [(٥)] انها (بوتو - Buto) الخضراء التى تشبه خضرتها خضر النباتات الجديدة التى تغطى الأرض [(٦)] ومن

الأرض تأتينا المياه العذبة واهبة الحياة مياه نهر النيل التى تجرى فى الأرض المصرية فكانت القوة الخلافة لميلاد حياة جديدة لعناصرها المختلفة فالماء يلعب دوراً هاماً فى الخصب مما دفع بلوتارخوس أن يقول" كذلك بين المصريين قوم يقولون : أن أوزوريس هو النيل الذى يقترن بالأرض إيزيس ، وتوفون البحر الذى يصب فيه النيل مياهه ، فيتوارى عن الأنظار ، ويتفرق اللهم إلا ذلك الجزء الذى تحتجزه الأرض ، وتمتصه فتصبح به خصبة " (٧) .

فقوة الخلق وإنبات الأرض متجسد عند المصريين فى أوزوريس الماء الخصب وهو أيضا القمح نفسه الذى يبذر فى الأرض ويتحلل فيها كالزواج تمتصه إيزيس ويفنى أوزوريس وإذا بالحياة تعود من جديد عندما ينبت الزرع ويخضر ثم تنتج السنابل قمحاً جديداً هو حورس نتاج زيجة أوزوريس من إيزيس (٨) .

فالإلهة إيزيس هى المبدأ الفعال فى الميلاد والخصب ، وفى تجدد النبت المستمر ، ونمو الغلال وتكاثر القطعان ، وبقاء الجنس البشرى ، فهى تملأ منصبها كقوة عليا عن حق ، والخصب قوة فعالة تكشف عن نفسها ، فى الميلاد ، فى الحياة الجديدة ، فالأرض كقوة إلهية فهى " القوة المتحكمة فى الأرض والنبات " كما قال بلوتارخوس (٩) إيزيس " السيدة الوالدة" ونراها فى التماثيل والأفاريز البارزة كامرأة ترضع أبنها حورس ، فهى " أم الآلهة وهى كذلك ام البشر ودورها المؤثر فى حفظ استمرارية الحياة يتضح فى الإنجاب كما تثبت بها صفة الأمومة الملازمة لها ، هى زوجة الإله الرئيسى فى الثالوث " أوزوريس " النموذج الأصلى لكافة آلهة الإنبات الذين يموتون ويبعثون ثانية مع بعث النبات فى الربيع ، وبذلك فإن مكانتها تستمد أهميتها من مكانة زوجها ومركزه (١٠) .

تتجلى الأم المصرية الكبرى كسيدة للطبيعة عامة ، وكسيدة القمح وأول من اكتشف زراعته ، فبعد أن اكتشفت إيزيس القمح أعطت باقته الأولى لأخيها وزوجها

أوزوريس الذى قام بتعليم البشر زراعته ، وقد ابتدأ أوزوريس مهمته فى أرض مصر فأبطل العادات الهمجية القديمة وعلم الناس كيفية صناعة الأدوات الزراعية واستعمالها فى استنبات القمح وعلمهم أكل الخبز وشرب الجعة وبناء البيوت ، وبعد ان قام أوزوريس بنشر الحضارة فى مصر غادرها إلى آسيا وبقية الأنحاء المعمورة متابعاً مهمته فى نشر الحضارة فأوزوريس فى أسطورة بلوتارخوس هو القمح الذى كان لاكتشاف زراعته الأثر الحاسم فى تحولات اقتصادية واجتماعية مهمة إذ أدى إلى ضمان شبه أكيد لمصدر الغذاء عن طريق إنتاجه ، مما أدى إلى الاستقرار ، وبالتالى إلى ظهور القرى الزراعية الكبيرة والتاريخ البشرى (١١). وليس موته و وقيام إيزيس بإعادته إلى الحياة إلا تكراراً لأسطورة القمح القتيل ودورة حياته السنوية ، كما يتزوج النيل الأرض أى أوزوريس وإيزيس فى موسم الفيضان فتخضر الأرض وتنبت بعد ذلك ثمرات فيها حياة للبشر وبعث جديد , فذكر بلوتارخوس " وكما يعدون النيل سيل أوزوريس كذلك يعدون الأرض جسم إيزيس , وليست الأرض كلها بل مايغمره النيل منها فقط ، فيختلط بها ويعلوها ومن هذه المعاشرة ينجبان حورس (١٢) .

فمادام النيل المخصب (أوزوريس) المخصب الأول والأساسى للأرض المصرية والزراعية كان مقدساً إذ أنه واهب الحياة وبدونه لاحياة للأرض فأوزوريس التى تمتصه الأرض (إيزيس) ماء أو حبوبا فيغلى بها فإذا به يبعث قمحاً جديداً (حورس) ونباتاً اخضر نتاج زواج أوزوريس من إيزيس فإيزيس هى قاعدة الإنتاج ثم حورس الابن هو الإنتاج (المحصول الجديد) (١٣) .

وإيزيس كانت علاقتها بالقمر قوية وهذا ناجم عن الاعتقاد بأن القمر مصدر جميع المياه التى بدونها لا تنمو النباتات ، وبالتالى فالقمر مسئولا عن خصب الأرض ونمو الزرع ، وتوزيع الندى الذى يعد أوراق النبات بالحياة ورطوبة تنعش الأرض إلى جانب تتابع الفصول بدورة نتاج دورة القمر الشهرية ، فكان القمر سيد الزمن ، ورب الفصول

التى تتوج حركتها بفضل الربيع الذى يحيى الأرض بعد مماتها " لأن القمر ذا الضوء القادر على توليد الرطوبة ، والإخصاب يوائم تكاثر الكائنات الحية ، ونمو النباتات " على حد قول بلوتارخوس (١٤) .

وجد الإنسان القديم علاقة بين قرني الهلال وقرون البقر , لذلك قاموا بتصوير الإلهة إيزيس " الأرض الأم " على هيئة بقرة سماوية قرناها هلالا فى السماء (١٥) والإلهة إيزيس إن لم تظهر فى الأعمال الفنية برأس بقرة ظهرت وعلى رأسها قرنان كبيران غالبا مايحتويان على قرص القمر البدر بينهما وذلك " لأنهم يرون فى البقرة والأرض صورة إيزيس " على حد قول بلوتارخوس (١٦) .

إن البقرة كانت مكملة للرخاء في بيت الفلاح وفى أرضة وهى الأم للعجيل الولود فإيزيس هى البقرة المقدسة (هورسخا ـ Horsecha) أى المغذية التى تنتج كل شئ وهى التى ترضع وتغذى بلبنها الطفل حورس عجيل آبيس , والعجل آبيس يولد من بقرة يخصبها شعاع من اشعة القمر المخصب وهى فى حالة استعداد للحمل (١٧) على قول بلوتارخوس .

فالمصريون اعتقدوا فى خصب القمر حتى أنهم رمزوا إلى ابتدا الربيع بقمر شهر فامينوث Phamenouth (برمهات ـ فبراير ـ مارس) الجديد , فاحتفلوا فى هذه المناسبة بعيد أسموه " دخول أوزوريس فى القمر " وهذا أن أوزوريس هو المخصب كالربيع وهو الذى يخصب البقرة " أم أبيس " بشعاع من القمر ثم يذكر بلوتارخوس أن المصريين كانوا يركزون قوة إخصاب أوزوريس فى القمر ولذا فإيزيس عندما تكون حاملاً أو خصبة ترتبط بأوزوريس فى القمر ولذا فمن الكهنة من يقول بأن إيزيس ليست سوى القمر ، ويعتقدون أيضا أن مضاهر فيضان النيل ذات علاقة معينة بأوجه القمر ، فأعلى فيضان له عند الفنتين يبلغ ثمانية وعشرين ذراعا وهذا عدد أيام سطوعه التى يستغرقها فى إنجاز دورته الشهرية أما أقل فيضان له عند منديس وخويس Chois

وستة أذرع ، وهذا يوافق تربيعه الأول ، وإن ارتفاع فيضانه المتوسط عند ممفيس يبلغ ــ عندما يكون فيضاناً عادياً ــ أربعة عشر ذراعاً وهذا يوافق طلوع البدر على قول بلوتارخوس .[18]

فتماثيلها التى تمثلها بالقرنيين المتوجتين لرأسها ما هما إلا محاكاة لشكل الهلال القمرى فى السماء ، و غالباً مايحتوى القرنان على قرص القمر البدر بينهما , وذلك " لأنهم يرون فى البقرة والأرض صورة إيزيس " ومن اجل ذلك أكد أيودوكسوس Eudoxos أن إيزيس هى الإلهة التى يتحكم إليها الناس فى شئون حياتهم الخاصة فالناس يناجون القمر فى الحب[19] ثم ان قول بلوتارخوس منطبق على الواقع فإيزيس المصرية قد اندمجت فيها كل الإلهات اليونانيات ومن بينها الإلهة افروديت إلهة الحب ثم انهم " يقولون أن القمر أم الدنيا " وهو عندهم فى طبيعته مذكر ومؤنث ففى طبيعته المؤنثة يتزوج الشمس ويحمل منها ومن جهة أخرى فطبيعته المذكرة تنثر فى الهواء جرم الإخصاب[20] .

وقد ارتبطت بعبادة الإلهة إيزيس خصوصاً فى شكلها القمرى النارى تحت أسم " باستت " التى كانت تصور على هيئة سيدة برأس قطة وكانت طقوس النار تقام فى معابد إيزيس لإيقاظ زوجها الإله الميت أوزوريس حيث يحمل الكهنة مشاعل الأم الكبرى ويطوفون بها حول تابوت الإله لتشتعل روحه من جديد بالحياة ، مستمدة قوتها من شعلة الإلهة القمرية واهبة الحياة إذ يقال أن القطة أول ماتلد واحدة ثم مثنى وثلاث ورباع وخماس وهكذا دواليك بزيادة واحدة كل مرة حتى تلد سبع مرات فيصبح مجموع ماتلده ثمانى وعشرين قطيطة ، وهذا عدد اوجه القمر ومع أن هذا يبدو حديث خرافة إلا أن انسانى عينى القطة يتسعان ويستديران عندما يكون القمر بدراً ويصغران ويلمعان بشدة عندما يتناقص هذا الجرم السماوى ، وآخيراً يشيرون بملامح القطة البشرية إلى الذكاء ، والعقل اللذان يوجهان القمر فى تغيراته[21] على حد قول بلوتارخوس .

وإيزيس فى بعض أعمالها تكون مصحوبة بالأفعى لاعتقاد الإنسان القديم بأن الحية خالدة لاتموت وأن تبديلها لجلدها القديم بجلد أخر جديد هو تجديد لحياتها كلما نال منها الكبر ، وربط بينها وبين القمر الذى يجد حياته أبديا فى دورة شهرية دائمة ، فكانت الحية رمزا للإلهة القمرية منذ وقت بعيد ، على حد قول أرسطو ، وبلينى الذى يقول " الثعبان ممثل القمر على الأرض وبصفته هذه يوزع الخصوبة " (٢٢) .

الإلهة إيزيس التى رأيناها كأم للكون وسيدة للفصول وخصب الأرض التى ترضع كل الأحياء ، وأم الآلهة وأم البشر وجميع مظاهر الطبيعة فهى سيدة الموت أيضا كان النسر رمزا لها , كما صورتها الأعمال الفنية على هيئة امرأة برأس نسر والنسر كان طائر الموت الذى يمزق الجثث ويلتهمها ، وفى العالم السفلى كانت راعية الموتى تقدم لهم الخبز والماء عند وصولهم وإيزيس كراعية للموتى فى العالم السفلى يعنى راعية أوزوريس القتيل (القمح) الذى يأتى إلى الوجود عن طريق بعثة ، ذلك أن الموت فى الأسطورة الأوزيرية بذرة كامنة فى اعماق كل حياة , والحياة بذرة كامنة فى اعماق كل موت (٢٣) .

ويقول إيودكسوس أيضا : كان المصريون يرون عن زيوس فى أساطيرهم أنه إذا نمت ساقاه ملتصقتيين لم يستطيع السير ، وبذلك ظل فى عزله بسبب خزيه من أجل هذا ولكن إيزيس شقتهما وبفضل هذين الجزأين من الجسم أصبح فى إمكانة السير الحثيث ، ومعنى هذه الأسطورة أن عقل هذه الإله ، وفهمه اللذين ظلا غير مرئيين وغير مدركين لم يستطيعا أن يتقدما نحو التناسل إلا بفضل الحركة الدافعة لهذه الإلهة الناشئة من ذاتها (٢٤) .

فى الإطار الفلكى تظهر إيزيس كما يقول بلوتارخوس (٢٥) كنجمة سوثيس Sothis أكثر النجوم الثابتة لمعاناً فى السماء قرب الشمس فى أولى أيام السنة الجديدة (الانقلاب الصيفى) وهو مايعتبره المصريون الأوائل أنذاك رجوعا لفصل الصيف فى

هذه الآونة إن الشمس عند أول اتصالها ببرج الأسد تظهر نجمة إيزيس سوثيس وهو مايعتبر ، ليس فقط آيذانا بدخول سنة جديدة بل آيضا إعلانا بابتداء موسم فيضان النيل وذلك له معنى رمزى كبير إذ أنه يجعل لنجمة (الشعرى اليمانية) سوثيس علاقة قوية قريبة من طبيعة إيزيس فشروق مجموعة نجم سوثيس فى هذا الوقت بالذات من السنة يشير إلى تغير وعودة الحياة أو تجددها فى مظهر العالم الموسمى فهذه الصورة على أرض مصر بهذا الانتظام الموسمى يكون بوضوح ملحوظ فى ثلاثة مواسم هى فصل الفيضان ثم فصل القمح ثم فصل الصيف . وزيادة على ذلك فالآلهة إيزيس فقد جمعت فى قدراتها السيطرة على عناصر تكوين الكون (الأرض ، والماء ، ثم الهواء والنار) فالأرض رمز الخصب والخصوبة ولها علاقة مع الولادة والموت , والحياة رمز هذه الثنائية واقترانها بالماء مصدر الحياة أو التجدد واضح والنار تمثلها الشمس وعلاقتها بها قوية ، أما روح إيزيس فى السماء هو نجم الكلب الجبار (الشعرى اليمانية) كما يسميها اليونانيون أما عند المصريين فأسمها سوثيس Sothis علامة وصول فيضان النيل ثم أنها الأم المرضع ومغذية أبنها Horsecha ثم حورس الإنتاج (٢٦) .

إذن فايزيس تمثل أروع أشكال الطبيعة الإلهية وعماد الحياة فهى تكون الجزء المؤنث من الطبيعة والمتقبلة كل صور التناسل ومن أجل ذلك يسميها " أفلاطون " المربية اللطيفة والمتقبلة لكل شئ ويسميها معظم الناس " صاحبة الأسماء التى لاتحصى " لأنها بقوة العقل (لوجس) تستطيع أن تتقبل كل أنواع الأشكال والصور فحبها فطرى نحو (الكائن) الأول والأعلى الذى هو الخير نفسه وإلى هذا الكائن تتشوق وإياه تلاحق ، أما الشر فتأبق منه وتبعده عن نفسها ومع انها تكون لهما بمثابة وعاء للنمو ومادة له إلا أنها تميل دائما إلى خيرهما ، وتجعله ينتج منها ويلقحها بفيوضه ، وصورته التى تبتهج بها ، وتطير فرحا عندما تحمل المخلوقات فى بطنها ، فالخلق صور الوجود فى المادة ، والمخلوق يشبه صورة الموجود " على حد قول بلوتارخوس " (٢٧) .

ومن الظواهر العجيبة أن انتقلت عبادة الإلهة إيزيس المصرية إلى أوربا فانتشرت فى جزر البحر الأبيض المتوسط ، وفى اليونان (٢٨) وفى إيطاليا (٢٩) وأماكن أخرى وكانت لها فيها كلها معابد على الطراز المصرى وأقيمت لها العبادة فى هذه المعابد على الطقوس المصرية ، وكانت فى نظر اليونانيين ثم الرومانيين رمز الهداية والإيمان .

الحواشي

(١) ولد بلوتارخوس (plutarchos) حوالى عام ٤٦ ميلادية فى مدينة خايرونيا (Chaironeia) فى إقليم بوؤتيا (Boiotiai) بوسط بلاد اليونان ، أرسل إلى آثينا حوالى عام ٦٦ ميلادية ليدرس الفلسفة والخطابة والعلوم الطبيعية لكنه برع فى علم الأخلاق وقد كان كثير السفر فزار روما ، واسبرطة ، وكورنثه ، والإسكندرية وغيرها من البلدان ، وكان كاتب قدير ، ألف العديد من الرسائل زاد عددها على الستين سميت بالأخلاقيات(Opera Moralia) تناول فيها موضوعات عديدة فى الأخلاق والدين والسياسة والفلسفة وقد أظهر احترامه للدين فى رسالته عن إيزيس وأوزوريس لتفسير آراءه فى الإخلاق والدين والفلسفة ، وفى التعليق على الآراء الخرافية ، وهى المصدر الإغريقى الوحيد المعتمد نظراً لعدم وجود نص مصرى متكامل يروى قصة إيزيس واوزوريس .

(٢) Plutarch .De Iside et Osiride " Plutarch`s Moralia " :in the loeh classical library . no .9

(٣) كذلك كان مصير الشاب الوسيم " اكتيون " الذى اقتحم خلوة الإلهة " ارتميس " وهى تستحم عارية فى مياه البحيرة عند منبع النهر فمسخته الإلهة وطاردته الكلاب لمزقته أرباً .

(٤) Plutarch . op .cit . nos . ٣٢,٣٨ -٣٩ ,٤٤ and ٥٧.

(٥) الدكتور الحسين إبراهيم أبو العطا ، ديمتر فى مدينة الإسكندرية البطلمية ، مجلة كلية التربية بدمياط العدد الثلاثون ، الجزء الأول ، يناير ١٩٩٩ ص ٢٠١ ومابعدها .

(٦) Plutarch , op. cit ,, no . 38 .

(٧) Ibid .. no . 32.

(٨) قيام إيزيس بإعادة اوزوريس إلى الحياة ماهو إلاتكرارا لأسطورة القمح القتيل ودورة حياته السنوية ، أنظر :

Plutarch ..op . cit.. no .65 cf : Al Hussein Abou Al Atta . The Doctrine of Immortality in the Roman Alexandria . Egyptian Society of Greek and Roman Studies (ESGRS) (VOL _ 11) .Cairo 1995 , p,55 ff

(٩) Plutarch ..op.cit..no.61 .

(١٠) Al Hussein Abou Al Atta .(ESGRS 1995) op . cit ..p 55 f

(١١) Plutarch ..op.cit..no..13 .

(١٢) Ibid ..no .38 .

(١٣) Al Hussein Abou Al Atta . The Doctrine of Curability in Roman Alexandria L'Egitto in Italia Dall'Antichita Al edioevo (Atti dell III Congresso Internazional Italo _Egiziano) Roman 1995 . pp ..55 ff

(١٤) Plutarch ..op ..cit..no. 41 .

وتظهر المراحل الأولى للأسطورة القمرية فى تقطيع أوزوريس إلى أربعة عشر جزءاً ثم إعادتها تجميعها ونفخ الحياة فيها ، وتوزيع أجزاء أوزوريس الأربعة عشر فى أنحاء متفرقة من الأرض ربما كانوا فى الأيام الماضية يقدمون قرباناً ممثلاً للإله أوزوريس وتوزع أجزاؤه فى الحقول لإخصابها .

(١٥) Plutarch ..op .cit ..no ..52 .

(١٦) Plutarch ..op..cit..no..39 .

(١٧) Plutarch ..op..cit..no.43..

(١٨) Ibid ..no..43 .

(١٩) Plutarch ..op..cit..no .52

(٢٠) Plutarch ..op.. cit..no..43.

(٢١) Plutarh ..op..cit..no.62 .

(٢٢) فيليب سيرينج فى الفن ـ الأديان ـ الحياة ترجمة عبد الهادى عباس ، دار دمشق ، سوريا ١٩٩٢ ، ص ١٢٨ ومابعدها .

(٢٣) Plutarch ..op..cit..no..30

(٢٤) Plutarch ..op..cit..no..63

(٢٥) Plutarch ..op..cit..no..61 .

(٢٦) Al Hussein Abou Al Atta ..The Doctrine of Curability in Roman Alexandria ..op..cit..pp537 ff .

(٢٧) Plutarch ..op..cit..no..53

(٢٨) من المعروف انه أنشئ معبد لإيزيس في ميناء بيرية في القرن الرابع قبل الميلاد وبعد ذلك أنشئت عدة معابد للإلهة في جزيرة رودس وجزيرة ليسبوس وثيرا وأماكن أخرى من جزر بحرايجة .

(٢٩) انشئ في عام ١٠٥ قبل الميلاد بنى للإلهة معبد في ميناء بوزولي Pouzzoles وبعد ذلك أنشئ لها معبد في مدينة بومبي Pompei ثم انتشرت عبادة الإلهة إيزيس في معبدها في روما في عهد القنصل سولا .

بيمتز في مدينة الإسكندرية البطلمية

ديمتر فى مدينة الإسكندرية البطلمية

ديمتر هى الإلهه المشرفة على ثمار الأرض ، ولاسيما الحبوب التى يصنع منها الخبز بصفة عامة والقمح بصفة خاصة ، وقد عبدها الإغريق منذ زمن بعيد (١) وقد حملوا عبادتها معهم إلى مصر بعد الفتح المقدونى كما أقاموا لها العديد من المعابد خاصة فى الإسكندرية وكرانيس وكروكوديلوبوليس (٢) إلا أننا لانستطيع تتبع بداية تاريخ عبادتها خاصة فى مدينة الإسكندرية وذلك لقلة ماكتب عنها فى المصادر الأدبية التى حفظت ، إلى جانب ندرة الدليل الأثرى ، وقد ساعد على انتشار عبادتها فى مصر تمسك الإغريق بعبادة الألهه الإغريقية وكذلك تشجيع البطالمة للعبادات الإغريقية وعدم التصدى لأى من هذه العبادات (٣) .

إن التقديرات الأولى المؤكدة لعبادة الإلهه ديمتر فى الإسكندرية ترجع إلى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد ففى وثيقة بردية ترجع إلى عام ٢٥٨ ق.م ــ أى فى فترة حكم بطليموس الثانى " فيلادلفوس " نجد رسالة مرسلة من فتاة تسمى " ساتيرا Satyra" وكانت عازفة القيثارة فى منزل " أبوللونيوس " بالإسكندرية إلى " زينون " تشكو له فيها هى وأمها أنهما لم يتسلما الكسوة السنوية المقررة كما تشكو كذلك من قلة الأجر المدفوع لها وتشير إلى الإلهه ديمتر فى معرض شكواها (٤) .

وفى الواقع ذكر المؤرخ بوليبيوس عبادة الإلهه ديمتر فى معبدها بالإسكندرية من خلال وصفه ولأحداث النهائية التى ختمت بموت بطليموس الرابع " فليوباتور " فى عام ٢٠٥ ق. م تاركا على عرش مصر طفلاً صغيرا هو بطليموس الخامس " إبيفانس " (٥) والذى تولى الوصاية عليه الوزير الفاسق أجاثوكليس ، وامتلأ البلاط الملكى بالمؤامرات ، فكانت فرصة استغلها السكندريون لإشعال الثورة فى ٢٠٤ \ ٢٠٣ ق.م التى أسقطت الوزير المكروه وأقامت على الملك أوصياء جدد (٦) .

واقد وصف لنا بوليبيوس صورة أخاذة لتلك الثورة ، قائلاً : ان تليبوليموس Teleppliemus قائد بلوزيون قاد الحركة ضد أجاثوكليس وعائلته لما كان يتصف به من فجور وفسق ، وأن أجاثوكليس أمر بالقبض على داناييس Danae حماة تليبوليموس ، من معبد الإلهه ديمتر ، وساقوها أسيرة في أنحاء المدينة ثم أودعوها السجن (٧) .

τὴν γὰρ Δανάην, ἥτις ἦν πενθερὰ τοῦ προειρημένου, λαβόντες ἐκ τοῦ τῆς Δήμητρος ἱεροῦ καὶ διὰ μέσου τῆς πόλεως ἑλκύσαντες ἀκατακάλυπτον εἰς φυλακὴν ἀπέθεντο, βουλόμενοι φανερὰν ποιεῖν τὴν πρὸς τὸν Τληπόλεμον διαφοράν.

ووسط هذه الظروف العصيبة ، وبينما المدينة كانت تعج بالثائرين وفي أثناء ذلك كانت أم أجاثوكليس " أونانثا " Oenanthe " قد ملأ قلبها الخوف والفزع ، ومن ثم أسرعت إلى " ثيسموفوريون " معبد الإلهه " ديمتر " حيث كان يحتفل بالتضحية السنوية ، ونجدها قد خاطبت الإلهه متضرعة واليأس يغمرها ، وبعد ذلك جلست عند قاعدة المذبح ، وحينئذ جاءها الثوار الذين ساقوها عارية على صهوة حصان إلى مصيرها المحتوم (٨) .

ἡ δ᾽Οἰνάνθη περικακοῦσα παρῆν εἰς τὸ Θεσμοφορεῖον, ἀνεῳγμένου τοῦ νεὼ διά τινα θυσίαν ἐπέτειον. 9 καὶ τὸ μὲν πρῶτον ἐλιπάρει γονυπετοῦσα καὶ μαγγανεύουσα πρὸς τὰς θεάς, μετὰ δὲ ταῦτα καθίσασα πρὸς τὸν βωμὸν εἶχε τὴν ἡσυχίαν.

ويستدل من البردية السالفة الذكر ، أن مدينة الإسكندرية البطلمية كان بها معبد للإلهه " ديمتر " ويؤكد ذلك ماسجله بوليبيوس عن ملكها وكذلك عن شعب لإسكندرية ، فنراه يسجل :

أولاً : القبض على دانايس حماة تليبوليموس ، من معبد الإلهه " ديمتر " وأن أعوان أجاثوكليس ساقوها أسيرة فى أرجاء المدينة ثم أودعوها السجن .

ثانياً : لجوء أويناتا Oenanthe أم أجاثوكليس إلى معبد الإلهه " ديمتر " ويمضى بوليبيوس فيقول إن شعب الإسكندرية الثائر قبض عليها فى المعبد ، وساقوها إلى المصير المحتوم .

ومن نص بوليبيوس ــ الذى عاصر الأحداث بنفسه ــ يمكن افتراض أمرين :

الأول : أن النتيجة المنطقية لكل ماسبق , هى ان مدينة الإسكندرية البطلمية كان بها معبد للإلهه " ديمتر " .

الثاني : أن معبد الإلهه " ديمتر " كان بالحى الملكى أو بالقرب منه بدليل القبض على كل من دانايس حماة تليبوليموس وعلى أونياتا أم أجاثوكليس ثم سوقهما من المعبد في أرجاء المدينة وفى داخل أسوارها ؟ ونحن لا نستطيع أن نجزم بشئ من ذلك حيث إن المعبد لم يكتشف حتى الآن .

ويمضى بوليبيوس فيقول " وبينما المدينة كانت تعج بالثائرين ، فإن اونياتا قد ملأ قلبها الخوف ، ومن ثم أسرعت إلى " ثيسموفوريون " معبد الإلهه " ديمتر " حيث كان يحتفل بالتضحية السنوية" (٩) .

فاحتفالات الثيسموفوريا Thesmophoria أى " عيد الإلهه واهبه الكنوز " انتقلت مع الإغريق إلى مصر ، وتشير الوثائق البردية على أن هذا الاحتفال فى مصر كان يقام داخل أو قرب ساحة معبد الإلهه ديمتر فى الإسكندرية وكرانيس وكروكوديوبوليس (١٠) ، أما فى أثينا فقد كانت النساء يحتفلن به فى المدة من ١١ إلى ١٣ من شهر بيانوبسيون Pyanopsion(نوفمبر) وهذا العيد كان يتألف من مجموعة من الطقوس تقوم بها النساء من اجل خصوبة الأرض . (١١)

ويؤكد ذلك ماتذهب إليه القصيدة السادسة لشاعر البلاط " كاليماخوس " القورينى ٣٠٥ ــ ٢٤٠ ق. م والمعروف باسم =To Demeter = EIE AHMHTPA أى إلى ديمتر (١٢) ، ونتبين من هذا النشيد أن المحتفلات كن قد قمن بطقس النزول أو الصعود فى اليوم الأول (١٣) ، وأنهن كن على وشك الانتهاء من الطقس الثانى وهو يوم الصيام ، وهو الطقس الذى كان يتم فى اليوم الثانى (١٤) ، وكان اليوم الثالث هو يوم ام الخيرات (١٥) ، وكان طقس الاحتفال يدور حول موكب سلة ديمتر ، فقد كانت العادة أنذاك ان تحمل السلة فوق عربة يجرها أربعة جياد رمادية اللون (١٦) .

وتشبه هذه الاحتفالات فى مجملها احتفالات الثيسموفوريا الأثينية , وكانت تدور حول موضوع الخصوبة (١٧) .

ويؤكد الشاعر الرعوى ثيوكريتوس (٣١٠ ــ ٢٦٠ ق. م) فى قصيدة عيد الحصاد " عن الاحتفال بيوم الخيرات فيقول على لسان صديقة ليكيداس " إننى ذاهب فى رحلتى هذه إلى عيد الحصاد فإن أصدقائى يقيمون احتفالا للإلهه ديمتر ذات الأردية

الجميلة ، يقدمون فيها باكورة ثمار محصولاتهم قربانا لها حيث إن الإلهه كدست الشعير الأقصى درجة فى مخازن غلالهم " [١٨].

وذكر هيرودوتوس " أن مصر هي أصل هذا الاحتفال ، وأن أمره قد انتشر فى بلاد البلوبونيز ثم فى اثينا من بعد ذلك ، وكان يقع فى ثلاثة أيام من فصل الخريف ، وكان المحتفلون به من النساء ، وذلك تقديسا للمعبودة ديمتر " [١٩].

ويؤكد ديودوروس ماقاله هيرودوتوس ، وذكر أن شعائر الإلهه ديمتر قريبة الشبه جداً من شعائر الإلهه إيزيس [٢٠] ، فالإلهه مكتشفة القمح ويرجع إليها الفضل فى تعليم البشر زراعته والاستفادة منه فى جميع أنحاء الأرض [٢١] ، فقد عهدت إلى الشاب تريبتوليموس Triptolemus لكفاءته فى بذر القمح وسائر عمليات حصاده ، بمهمة نشر القمح فى جميع أنحاء العالم كما ترجع إليها تعليم الملوك القدامى جميع أنواع العلوم التى وفرت لهم أسباب الحضارة ، ولذلك كان اليونانيون الأوائل يسمون ديمتر (المقننة) معترفين بذلك بأن الفضل يرجع إليها فى أنها سنت لديهم القوانين أول الأمر " [٢٢].

أما عن الإلهه إيزيس " فيقول إنها كشفت عن غلة القمح ، والشعير وقد كانا ينموان من قبل فى الحقول مع سائر النباتات ، ولم يكن الإنسان قد فطن إليها بعد ، وقد سنت إيزيس ــ فيما يقولون ــ القوانين التى تعامل الناس بمقتضاها فيما بينهم بالعدل وكفوا بموجبها عن استعمال القوة دون وجه حق وعن التطاول خوفاً من العقاب " [٢٤].

ومما لاشك فيه أن الإغريق استلهموا عناصر الأسطورة وطقوسها من أسطورة وطقوس إيزيس وأوزوريس ، ويظهر هذا التأثير فى قيام الإلهه إيزيس بنشر زراعة القمح والحبوب فى مصر وبقية أنحاء العالم ، ونقل البشر من طور البداءة إلى طور الحضارة ، فأوزوريس هنا ، هو القمح الذى كان لاكتشاف زراعته الأثر الحاسم فى التاريخ البشرى ، ويعتبر موته وقيام إيزيس بإعادته إلى الحياة ، تكراراً لأسطورة القمح

ودورة حياته السنوية(٢٥) ، ونستطيع التأكيد على أن تحوله إلى إله العالم السفلى ، خلال نصف السنة التى يغيب فيها القمح فى باطن الأرض ، نفس حال بيرسيفونى التى كانت تقضى نصف السنة ملكة فى العالم السفلى .

وليس اكتشاف ديمتر لزراعة القمح ونقلها إلى البشر ، إلا إشارة لكونها هى نفسها روح القمح ، أما قيام ديمتر بنقل أنواع العلوم وأسباب الحضارة إلى الملوك القدامى ، فإنه اعتراف أن زراعة القمح كانت السبب فى الاستقرار والحضارة ، ومثلها فى ذلك إيزيس التى عهدت إلى أوزوريس بتعليم البشر زراعة القمح ، وهو اعتراف بفضل المرأة فى اكتشاف الزراعة التى أتاحت لهم فرصة الملاحظة لنشاط الطبيعة ، فعرفت أن السنبلة التى تنمو فى الربيع ، ما هى إلا الحبة الميتة التى تسقط فى الخريف ، فحاولت تقليد الطبيعة ، وغرست أول كمية قمح فى نفس الموعد وكان ذلك هو بداية التاريخ الحضارى ، ومنذ استنبات اول كمية للقمح صارت الزراعة من مهام المرأة الرئيسية ، وصارت طقوس إحياء الأرض مسئولية النساء دون الرجال ، ولهذا كان عيد ديمتر ثيسموفوروس Demeter Thesmophorus أى ديمتر جالبة الكنوز تقوم به النساء من أجل إلهة الأرض والخصب (٢٦) .

إن شعائر الإلهة ديمتر قريبة الشبه جداً بشعائر الإلهة إيزيس فى بداية العصر الرومانى , فقد ذكر بلوتارخوس ذلك بقوله(٢٧) " إذ تحدث عند الإغريق أيضاً أشياء كثيرة تشبه مايعمله المصريون فى أعياد إيزيس , ويأتونها فى نفس الموعد تقريباً : فالنساء فى أثينا يصمن وهن جالسات على الأرض فى اعياد الثيسموفورياى(*) ، واهل بوزتيا يحركون هياكل ديمتر إلهة الحزن ، ويسمون هذا العيد " عيد الأتراح " الأن ديمتر تحزن على ابنتها لنزولها (إلى مملكة هاديس أو بلوتون) وأن هذا الشهر الذى يتفق وارتفاع برج الثريا هو شهر البذر الذى يسميه المصريون هاتور (أكتوبر ـ نوفمبر) والأثينيون بوانبسيون ، وأهل بؤونيا دماتريوس "

وارتبطت عبادة الإلهة ديمتر بطقوس الأسوار ، وأشهر هذه الطقوس وأسراها الإليوسية (نسبة إلى المدينة الساحلية إليوسيس بالقرب من أثينا وهى المقر الرئيسى لعبادة ديمتر وابنتها بيرسيفونى)[٢٨] " والأثينيون أخذوا طقوس عبادة ديمتر فى إليوسيس Eleusis وطرقها الروحية من مصر كما أنهم تشابهوا مع المصريين فى كيفية تقديم الذبائح والقيام بمراسم هذه العبادة والأثينيون وحدهم من بين سائر اليونانيين يحلفون بإيزيس وهم أشبه مايكون بالمصريين فى أفكارهم وعاداتهم " على حد قول ديودوروس الصقلى [٢٩] .

وعبادة الإلهة ديمتر من إغريق الإسكندرية كانوا يحتفلون بإليوسيس مرة كل عام ، حيث كان يقام مهرجان دينى يضم عرضاً مسرحياً وموسيقياً إلى جانب إقامة المسابقات على غرار الاحتفالات الإليوسية التى كانت تقام فى إليوسيس اليونان[٣٠] ، ويشير استرابون إلى مكان إليوسيس الإسكندرية فيقول : " وكان يوجد فى الشرق أيضا على طول القناة (كانوب) ضاحية إليوسيس (بالقرب من بحيرة الحضرة) حيث أنشأ بطليموس الثانى عبادة للإلهة ديمتر ، تشبه فى بعض مظاهرها عبادة هذه الإلهة فى إليوسيس بأتيكا وكانت توجد كذلك على ضفة هذه القناة ، فيما بين الإسكندرية وأبو قير قصور وحدائق أغنياء الإسكندرية "[٣١] .

وكان يضحى بالخنازير فى صباح احتفال الإلهة ديمتر[٣٢] ولدينا بردية مؤرخة بتاريخ ٢٦ نوفمبر عام ٢٤٤ ق. م (أى فى عهد بطليموس الثالث ـ يورجيتيس) عبارة عن رسالة يكشف فيها فليونيخوس Philonichus عن سرقة الخنازير مثلما كان يحدث أيام الاحتفالات بعيد أرسينوى فيذكر فى رسالته لى إيوكليس Eukles شكوى لمربى خنازير فيلادلفيا يتهم فيها أحد الأشخاص ويدعى أريستون Ariston بسرقة بعض الخنازير اثناء الاحتفال بعيد الإلهة ديمتر ويطلب منه التحقيق فى هذه الشكوى[٣٣] , كما

تشير نفس البردية إلى أن أهل بيت أريستون المتهم بالسرقة كن مشغولات بتلاوة بعض الشعائر السرية المتصلة بالاحتفال [٣٤] .

ومما سبق يتضح أن الإلهة ديمتر الإغريقية كان لها معبدان فى مدينة الإسكندرية البطلمية وضواحيها : بالنسبة للمعبد الأول ، فكان على مايرجح داخل أسوار المدينة ، وفيه كان يحتفل بعيد " الثيسموفوريا " وهذا العيد مصرى الأصل على حد قول هيرودوتوس (٣٥) أما المعبد الثانى فكان فى إحدى ضواحى الإسكندرية البطلمية ، فى منطقة إليوسيس ، وفيه كان يحتفل بأعياد الأسرار الروحية للإلهة ديمتر ، ويذكر ديودوروس الصقلى أن اعياد الأسرار هذه مصرية الأصل أيضا [٣٦] ، وكان الخنزير هو الأضحية القربانية المميزة لديمتر .

وديانة الأسرار المخصصة لديمتر عبارة عن مجموعة من الطقوس التطهيرية ، تعد من يقوم بها بحياة سعيدة بعد الموت ، وقد أخذت مبادئها من معجزة نمو النبات من باطن الأرض وتناوب الدورة الزراعية بين الموت والحياة ، فأحداث هذه الدورة ما هى إلا نموذج للمعجزة الآتية للأنسان ، معجزة بعث الأرواح بعد الموت وقد أخذ الإ نسان ثمار الأرض من يد الموت ، من هاديس إله العالم السفلى الذى كان يسمى " واهب الخيرات " رمزا لولادة إلهة الخصب بيرسيفونى من العالم السفلى ، لتعطى الحياة للبشر [٣٧] .

وطقوس الأسرار الإليوسية لا تلزم أتباعها بسلوك معين فى حياتهم اليومية، وإنما هى مجموعة من الشعائر والطقوس إذا قام بها الإنسان فى حياته ينال السعادة الإبدية بعد الموت أيا كان سلوكه فى حياته ، لذلك كان من الطبيعى أن يسخر أريستوفانيس من فكرة أن ينال الإنسان مصيرا أفضل بعد الموت لمجرد انه تلقى تعاليم هذه الأسرار ، مما دفعه أن يجعل " ترجايوس " فى مسرحية " السلام " يقترض ثلاث دراخمات ليشترى بها

خنزيراً ليقدمه قرباناً كي يتلقى به طقوس الأسرار قبل موته حتى يضمن حياة سعيدة أبدية بعد موته [٣٨] .

وطبقاً لما نعرفه عن طقوس الأسرار الإليوسية أنها كانت تقام فى الشهر الثالث وهو شهر بويدروميون (Boηδερομιων) ـــ سبتمبر تقريباً ـــ لمدة ستة أيام [٣٩] ، وكان المشاركون عند المرور قرب البحر ينزلون فى الماء لتطهير أنفسهم لمدة ثلاثة أيام ، كما كانوا يطهرون بالماء خنازير جاءوا بها معهم ليقدموها قرباناً للألهة ، وفى إليوسيس تبدأ الطقوس بنزول النسوة إلى فجوات معينة فى الأرض فى منطقة تعرف باسم Megara مليئة بالخنازير وأكل نوع من الكعك المصنوع من الدقيق على هيئة عضو الذكورة Phallus او على هيئة أفاعى (كرموز للخصب) وتمثيل دراما اختطاف بيرسيفونى وعودتها مرة أخرى ، أما ما تبقى من الأسرار فقد بقى أمراً غامضاً إلى يومنا هذا،وذلك للتكتم الشديد للمشاركين من البوح بحقيقة ما كان يجرى هناك [٤٠] .

هذا وقد ارتبطت دورة الحياة النباتية بحزن الإلهة ديمتر السنوى على ابنتها كورى أو بيرسيفونى التى تهبط إلى العالم السفلى جزءاً من السنة وتعود إلى عالم الأحياء فى جزء السنة الآخر ، فتغيب معها الحياة النباتية عن وجه الأرض ثم تزدهر بعودتها [٤١] .

وكان من الطبيعى ان طقوس ديمتر المشهورة كانت تقام فى إليوسيس ، حيث كانت تتلى وتمثل دراما اختطاف بيرسيفونى وعودتها ثانية إلى أمها ففى تلك الطقوس كان المحتفلون يرفعون سنابل القمح رمزاً للولادة الجديدة للإلهة الغائبة وتجليا لقوى الخصوبة .

وإن ما تحاول الأسرار ان تنقله للمشاركة فى طقوسها الروحية ، هو أن ديمتر لا تعطى فقط الخصب اللأرض ، بل تهب الخلود للروح الإنسانية وكان الوعد بالخلود بعد

الموت هو مكافأة المشاركين في هذه الطقوس ، وهو الخلود الذى يرتبط ببذرة القمح الميتة التى تعود إلى الحياة فى رحم الأرض الأم ، هنا فقط لعبت الأسطورة دورها الفعلى كمعلم روحى ، لا كقصة تصف أحداثا حدثت فى الماضى (٤٢) .

كما يقول ديودوروس (٤٣) : " إن المصريين اعتبروا الأرض أشبه شئ بالرحم لكل ماينبت وأطلقوا عليها "الأم Meter ويؤكد ذلك أن اليونانيين أطلقوا اسم ديمتر Demeter ، وقد حرفت هذه الكلمة قليلا على مر الأيام فقد كان اسمها فى غابر الازمان جيميتر Gemeter " أمنا الأرض " ويشهد بذلك أورفيوس فى قوله : " الأرض أم جميع الأشياء ، وهبة الغنى والنماء " .

أما بلوتارخوس فيقول(٤٤) " كذلك يعدون الأرض جسم إيزيس ، وليست الأرض كلها ، بل مايغمره النيل منها فقط ، فيختلط بها ، ويعلوها "

كما يذكر فى فقرة أخرى(٤٥) " وأن القوة المتحكمة فى الأرض ، والنبات تسمى أحياناً " إيزيس " ـ وأحيانا أخرى سوثس Sothis بالمصرية ، وهذه معناها " الحمل " أو " الحبل " أو " أن تحمل أو تحبل " .

تبدو ديمتر وفق مايقول ديودوروس سيدة للحياة النباتية ، فهى التى تمنح الأرض خصوبتها ، تأمرها فيطاع أمرها ، ودورة الحياة النباتية على الأرض مرتبطة بحزن الإلهة السنوى على ابنتها بيرسيفونى أو كورى الغائبة ، ثم بفرحتها بلقائها عندما تعود من العالم السفلى إلى العالم الأرضى (العلوى) فتغيب معها الحياة النباتية من وجه الأرض ثم تزدهر بعودتها (٤٦) .

ويقودنا هذه إلى الاعتقاد بأن كورى أو بيرسيفونى هى روح النبات , ويؤكد ذلك ديودوروس حيث يقول : (٤٧)

" إن الروح التى تسود الأرض ومحصولاتها هى ديمتر وابنتها كورى فديمتر هى سيدة الطبيعة ، وصاحبة السيادة عليها ، كما أنها روح الإنبات ، فابنتها كورى أو بيرسيفونى هى سيدة العالم السفلى لأنها زوجة إله الموت هاديس وواهب الخيرات ، فالأم ديمتر وابنتها كورى (بيرسيفونى) يمثلان دورة الإنبات الطبيعية ، تماماً مثل قمح السنة الماضية الذى غرس فى باطن الأرض ، فيتحول إلى سنابل السنة الجديدة الذى يخرج من الأرض .

فديمتر هى قمح السنة الماضية وابنتها كورى أو بيرسيفونى هى سنابل السنة الجديدة التى سوف تتحول إلى ديمتر (السنابل الناضجة التى ستموت) وتصبح بدورها قمح السنة الماضية فى العام المقبل ، هابطة إلى العالم السفلى من جديد ؟

ومثلها فى ذلك الإلهة إيزيس ، وهى على حد قول بلوتارخوس ، الأرض السوداء وزوجها أوزوريس يمثل حبوب القمح ويعتبر غرسه فى الأرض (إيزيس) تضحية كبرى فزواجه على هذا الوضع من الأرض فناء وتحلل له ، ويعد ذلك بعثاً للحياة له من جديد فى القمح الجديد فى سنابله وإعادة خلق الكون فيما يسمى " بحورس " أى الحياة المتجددة فى صورة نباتية .

ويذكر بلوتارخوس " أن نجم إيزيس فى السماء هو صوثيس وهو سيريوس وهو نجم الشعرى اليمانية منزل المطر الذى يأتى بالفيضان فيتزوج النيل الأرض أى أوزوريس وإيزيس فى موسم الفيضان فتحضر الأرض وتنبت بعد ذلك ثمرات فيها حياة للأنفس وبعث جديد " حورس " (٤٨) .

ويجدر بنا الإشارة إلى أن عبادة الإلهة ديمتر استمرت فى العصر الرومانى ، كما استمرت احتفالاتها بضاحية إليوسيس قرب الإسكندرية وكان من سمات احتفالاتها فى العصر الرومانى توجيه الدعوة لتناول الغناء على شرف الإلهة ديمتر ... (٤٩) .

وشاركت كورى (بيرسيفونى) أمها ديمتر معابدها فى العصور اليونانية والرومانية رغم أنه كان لها عبادتها وكذلك احتفالاتها الخاصة(٥٠) ، وذكر لنا فريزر(٥١) احتفال كورى السنوى بالإسكندرية نقلاً عن Epiphanius (القرن الرابع الميلادى) وكان طقس الاحتفال يتم كالآتى :

ينزل الكهنة إلى سرداب تحت المعبد وذلك لإحضار تابوت خشبى مزين بصورة الإلهة كورى ، ويحملونه ويدورون به سبع مرات داخل مبنى المعبد ، ثم بعد ذلك يودعونه فى السرداب مرة أخرى ، وكل ذلك كان يتم فى موكب موسيقى مرتل (٥٢) .

الحواشى

(١) f. Guirand, Greek Mythology , Hamlyn , London 1963 , pp , 104 107
وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإغريق قد تبنوا الطقوس والمعتقدات الفرعونية وهم ينسجون أساطيرهم حول الهتهم من منظور ثقافتهم وديانتهم ، وكما فعل المصريون فى أسطورة إيزيس وأوزوريس ، فعل الإغريق فى أسطورة ديمتر وابنتها بيرسفونى (أوكورى) .
وتقول الأسطورة الإغريقية : أن هاديس، إله العالم السفلى ، اختطف بيرسيفونى ابنه ديمتر،وهى تجمع الأزهار ، بعد أن كان والدها زيوس قد وعده بزواجه منها دون علم أمها ديمتر ، وبحثت ديمتر فى أنحاء الأرض عن ابنتها دون جدوى ، وأشارت عليها الإلهة هيكاتى أن تستشير الإله هليوس ، وتستخدم نبوته ، الذى كشف لها سر اختفاء ابنتها ، وأخبرها بان هاديس قد حملها إلى العالم السفلى لتكون زوجته وملكة الأموات ، عند ذلك قررت ديمتر الانتقام ، فمنعت قواها الاخصابية عن الأرض وعن المحاصيل لكى لا تثمر ، عندئذ أرسل زيوس هرميس إلى هاديس كى يعود لديمتر ومعه ابنتها بيرسفونى , ولكن هاديس أعطى بيرسيفونى قبل ذهابهاطعاماً (ثمار رمانة) يعيدها إلى العالم السفلى وله فترة من السنة فرحت ديمتر بعودة ابنتها بيرسفونى ، ولكن فرحتها لم تدم ، لأنها عرفت بأمر الطعام الذى تناولته فى مملكة الموتى ، وكانت بيرسيفونى تقضى بعد ذلك ثلث السنة مع زوجها فى العالم السفلى ، وثلثيها مع أمها فى عالم الأحياء وقد اعتبر الإغريق فترة وجود بيرسيفونى في العالم السفلى رمزاً يمثل حبة النبات في باطن الأرض ، بينما تعتبر فترة وجودها مع أمها رمزاً لنمو النبات وازدهاره وإثماره ،, وهكذا صارت أسطورة. ديمتر وابنتها بيرسيفونى ذات علاقة بتقدم الزراعة ، لقد ذهبت ديمتر إلى تريبتوليموس بن ملك اليوسيس بإقليم أتيكا وأهدته سنبلة قمح , وعهدت إليه مهمة نشر Triptolemos زراعة القمح فى جميع أرجاء العالم ويشرح للبشر فوائده .

(٢) W.Otto, Priester and Tempel in Hellenistichen Aegypten , 1905 _1908
Vol . I , p . 2, 132 , Vol . II. P . 330 .

(٣) هـ . أ . بل ، مصر من الإسكندر حتى الفتح العربى ، ١٩٦٨ ، ترجمة عبد اللطيف أحمد على , ص ٥٤ ـ ٥٥

(٤) P. Cair .Zen . I , 59028 . 7 (258 B.C. ?) = SB. 6784 .

(٥) أنظر : الحسين إبراهيم أبو العطا , الأسباب السياسية لإعادة تتويج بطليموس الخامس ٢٠٥ ـ ١٨٠ ق.م , أوراق كلاسكية ـ العدد الرابع , جامعة القاهرة ـ كلية الآداب ـ قسم الدراسات اليونانية واللاتينية ١٩٩٥ ، ص ٣٤٥ ومابعدها .

(٦) Polyb , XV, 27 .

(٧) Idem , XV, 27.

(٨) Idem ,XV, 29 _30

(٩) Idem ., XV, 29

(١٠) P.Col .Zen . I,19,2 (257 BC) cf . M , Fraser , Ptolemaic Alexandria , Oxford , 1972 , II, p , 334 , Nos 79 and 72 .

(١١) Herodotus ., II. 171

(١٢) Callimachus ., Hymms and Epigrams , VI (Loeb _ LCL)
ELE AHMHTPA CF ., P Cair , Zen , 59028 = SB , 6784 , 7.

(١٣) وهو يرمز إلى نزول بيرسيفونى إلى العالم الآخر أو صعودها منه .
(١٤) وهو يمثل فترة بحث الإلهة ديمتر عن ابنتها بيرسيفونى .
(١٥) وهو يرمز إلى الغلة الطيبة بعد عودة بيرسيفونى وفرحة أمها بها .
(١٦) Callimachus ., op., cit ., VI., pp. 125 ff
ويرجع طقس الاحتفال بسلة ديمتر إلى أن تريبتوليموس كان يحمل سلة مليئة بالثمار عندما أعطته الإلهة سنبلة القمح لنشر زراعتها في أرجاء العالم ، وعن هذا الطقس أنظر :
إبراهيم نصحى ، مصر فى عاصمة البطالمة ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، جـ ٢ ، ص ١٣٠ ومايليها .
(١٧) Plutarchus , De Iside et Osiride , " Plutarchus 's Moralia V" : in the Loeb Classical Library , No . 69 .
(١٨) محمد حمدى إبراهيم ، الأدب السكندرى ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١٥٨ .
(١٩) Herodotus , II,171 .
(٢٠) Diodorus . I,I. 13 .
(٢١) Idem . I..I. 14 .
(٢٢) Idem , I ,I ,20 and 18 .
(٢٣) Idem .I , I 14 .
(٢٤) Idem , I , I , 14 , 18 and 20
(٢٥) AL Hussein Abou AL Atta , The Doctrin of Immortality in Roman
(٢٦) Alexandria , AESGRS vol , II , Cairo 1995 , pp , 55 pp
Jane Harrison , Epilegomena to the Study of Greek Religion
Uni Book , New York 1966 , p, 417. CF Robert Graves , The white Goddess , Faber and Fabber , London 1961 _1986 , p , 387 .
(٢٧) Plutarchus , op , cit , 69 .

*) يقول مرسيا إلياد , المقدس والمدنس , ترجمة عبد الهادى عباس , دمشق ١٩٨٨ , ص ١٠٧_ ١٠٨ وهذه يرتبط هذا باكتشاف Matriarcate الظاهرة الاجتماعية والزراعية معروفة تحت اسم النسب الأمومى زراعة النباتات الغذائية من قبل المرأة ، فالمرأة هى أول من جنى النباتات الغذائية , وهى التى أصبحت _ طبيعيا _ المالكة للأرض وللمحاصيل , وبالنتيجة فإن مزايا المرأة السحر_ دينية كانت سببا لسيق سيادتها الاجتماعية كنموذج كونى : صورة الأرض _ الأم " .

(٢٨) H ,I Bell , Cults and Creeds in Graeco _ Roman Egypt , Liverpool Uni , (Press 1954 pp. 17_18
(٢٩) Diodorus , I, I , 29
(٣٠) H .I . Bell , op , cit , pp , 17 _18 CF. M Fraser , op , cit , pp 200 _101

(٣١) Strabo ., XVII. ., I. ., 16 and 17
(٣٢) H . I . Bell ., op ., cit ,. P 17 .
(٣٣) P , Cair , Zen , 59350 , 5 ., p., Tebt ,. 1079 . 2 (111_11 B,C)
(٣٤) P.Cair , Zen , 59350 . 6
(٣٥) Herodotus ,, II,, 171 .
(٣٦) Diodorus ,, I,, I , 29
(٣٧) J. Harrison ,, op ,, cit ., pp ., 150 _151 .
(٣٨) ارستوفانيس : " السلام " ٣٧٤-٣٧٥ .
وانظرC, Kerenyi The Gods of the Greeks , London ١٩٥٨ , p , ٢٥٦ .
(٣٩) انظر : عبد اللطيف أحمد علي ، التاريخ اليوناني (العصر الهللادي) بيروت ١٩٧١، ص ٢٤٤ حاشية ٢
(٤٠) و.و .روز الديانة اليونانية القديمة , ترجمة رمزي عبده جرجس , القاهرة ٩٦٥ , ص ٩٨-١٠٠
(٤١) و. و.روز , مرجع سابق , ص ٩١ - ٩٢ .
ويقول: F, Guirand ., op ., cit ., p ., 104
وتتشابه الطقوس الشعبية الأوزيرية , في جوهرها مع الطقوس الديمترية التي سبق الحديث عنها فبعد تراجع مياه الفيضان وبدء موسم الحبوب ، كان للعباد (المزارعين) طقوس حداد على الإله القتيل الذي دفن في الأرض أما الطقوس الرسمية فكانت تقام في معابد المدن مرة في السنة في شهر (نوفمبر) وفيه تستمر طقوس الندب على أوزوريس أربعة أيام ، وتمثل خلالها دراما حياته القصيرة وعذاباته وبعثه وكانت طقوس النار تقام في معابد إيزيس لإيقاظ الإله الميت أوزوريس ، حيث يحمل الكهنة مشاعل الإلهة ويطوفون بها حول تابوت الإله لتشتعل روحه من جديد بالحياة , ومن ألقاب ديمتر المضيئة وذلك إشارة إلى خصائصها النارية وطبيعتها القمرية .
(٤٢) Otto , Walter , The Meaning of Eleusinian Mysteries , in "the Mysteries " Edited by J Campbell , New York 1978 ,p , 39
(٤٣) Diodorus ,, I , I ,12 .
(٤٤) Plutarchus , op , cit , 38 .
(٤٥) Idem, op , cit , 61 .
(٤٦) F., Guirand ., op ., cit ., pp 104 – 107 .
(٤٧) Diodorus , I,II , 40
(٤٨) Al Hussein Abou Al Atta ., op ., cit ,,pp , 55 ff .
(٥٠) احتفالات الإلهة ديمتر في القرنين الثاني والثالث الميلادي أنظر :
P. Flor , 388 , 15 (I \ II A D) :SB 7199, 5 (II A D)
P. Giss , 18 , 11 (I \ III A . D) .
(٥١) وتشير البردية P. Oxy. 1484 . (III A. D) إلى وجود معبد الإلهة ديميتر بأوكسير نخوس .
(٥٢) P,Oxy , 1485 (II \ III A D) CF , M , Fraser ., op ., cit , vol , I , p , 199

ديونيسوس فى مدينة الإسكندرية البطلمية

ديونيسوس فى مدينة الإسكندرية البطلمية

جـاء ديونيـوس[١] إلـى مـصر كغيـره مـن الآلهـة اليونانيـة لعـد الفـتح المقدونى ، وانتشرت معابده فى الإسكندرية وبطوليمايوس[٢] ، وقد جاء على لسان حاربوقراطيس ابن سيرابيس وإيزيس من ٣٠٠ ـ ٢٥٠ ق.م يقول :

لقد وضعت الأناشيد وبدعت رقص النساء والرجال وساعدنى فى ذلك آلهات الفنون ثم اخترعت مزج الخمر بالماء وكذلك الناى والمزمار وقد اشتركت دائما مع اتباعى من ال Thiasoi من رجال ونساء Bacchoiوال Bacchai [٣] .

وبناء على ذلك فقد كان ديونيسوس إله الخمر والكروم والأشجار المثمرة ، الشهير باسم باكخوس والتى كانت تقام احتفالاته تحت نشوة الخمر ، فصار إله للطرب والموسيقى والشعر حتى أنه لقب بالمغنى Melpomenos عند اليونانيين [٤] ، وبذلك فقد تمثلت فيه رموز الحياة المتدفقة ، [٥] ويقول هيردوتوس[٦] : " إن الإغريق عرفوا اسم هذا الإله فى وقت لاحق للفترة التى عرفوا فيها أسماء الآلهة الإغريقية " حيث إنه إله وافد عليهم ، وعلى مايرجح أنه تراقى الأصل . [٧]

ولقد قامت عقيدة اليونانيين على عبادة الإله ديونيسوس باعتباره إله خصب ، فلم يكن فى نظر أتباعه إلا الحياة نفسها ، الحياة التى تختفى فترة لتعود من جديد أكثر نضارة وأكثر إشراقا ، كأنه النبات الذى يموت فى الشتاء ويعود من جديد خيراً وبركة فى الربيع كل عام [١] ، لذلك كان اللبلاب رمزاً لهذا الإله ، لأنه النبات الذى يرمز للحياة المتجددة أبداً [٢] ، ولما كان ديونيسوس فى حقيقته روح للنباتات التى تموت وتحيا كل عام ، فكان أيضاً إله للموت والعالم الآخر وصاحب البعث والخلود [٣] .

وتأثر الإسكندر الأكبر بأسطورة الإله ديونيسوس حتى إنه إندمج فيه اندماجا تاما(*) ، كما سار على دربه في رحلاته المنتصرة ، وعلى نفس طريقه غزا العالم القديم حتى الهند ماراً بمصر وآسيا ثم الهند بقصد توحيد العالم القديم فى وحدة واحدة تحت حكمه . (٤)

وزعم البطالمة كملوك يونانيين انهم ينحدرون من سلالة ديونيسوس(٥) ، كما وجهوا له اهتماماً خاصاً من حيث مظاهر التكريم والاحتفاء به ، فنجد فى حفلات البطوليمايا Ptolemaea(**)(التى أنشاها بطليموس الثانى " فيلادلفوس " إجلالا لأبيه)[٦] يحظى ديونيسوس باهتمام كبير فى هذه الاحتفالات ، وإلى جانب مهرجان الألعاب السنوى الذى كان يقام تحت رعاية بطليموس " الثانى " فيلادلفوس تكريماً له ، وقد ذكر أثينايوس[٧] أنه فى موكب فيلادلفوس كان يعرض تمثالا لديونيسوس وتوضع فوقه خميلة تجمل بالكروم والفاكهة الأخرى ، وكانت تعلق بها أيضا أكاليل الزهور والأشرطة ، والصولجان الخاص بالإله باخوس ، والدفوف والأحزمة والأقنعة الساتورية والكوميدية والتراجيدية .

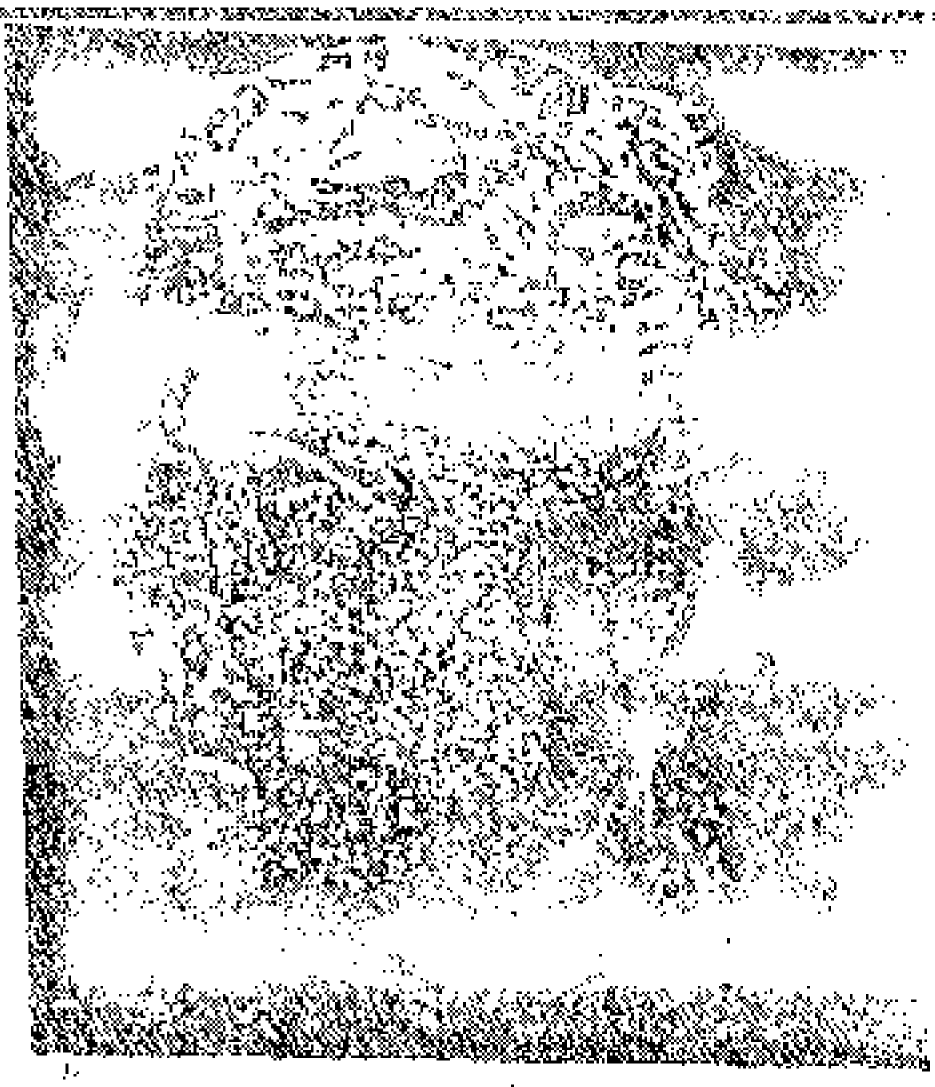
ويبدو أن بطليموس الثالث " يورجيتيس " (من ٢٤٦ ـــ ٢٢١ ق.م) قد انتهج ـ فى الحقيقة ـــ نفس النهج الذى سار عليه سلفه ، وزعم أنه ينحدر أيضاً من سلالة الإله ديونيسوس ، ويؤكد ذلك البردية التى قام بنشرها بيقان[١] وجاء فيها :

The Great King Ptolemy , Son of King Ptolemy and Queen Arsinoe ,Brother – And Sister Gods , Children Of King Ptolemy And Queen Berenice , Saviour Gods , the descendant on the father's side of Harkles , son of Zeus , on the mother's side of Dionysos , son of Zeus , having inherited from his father the

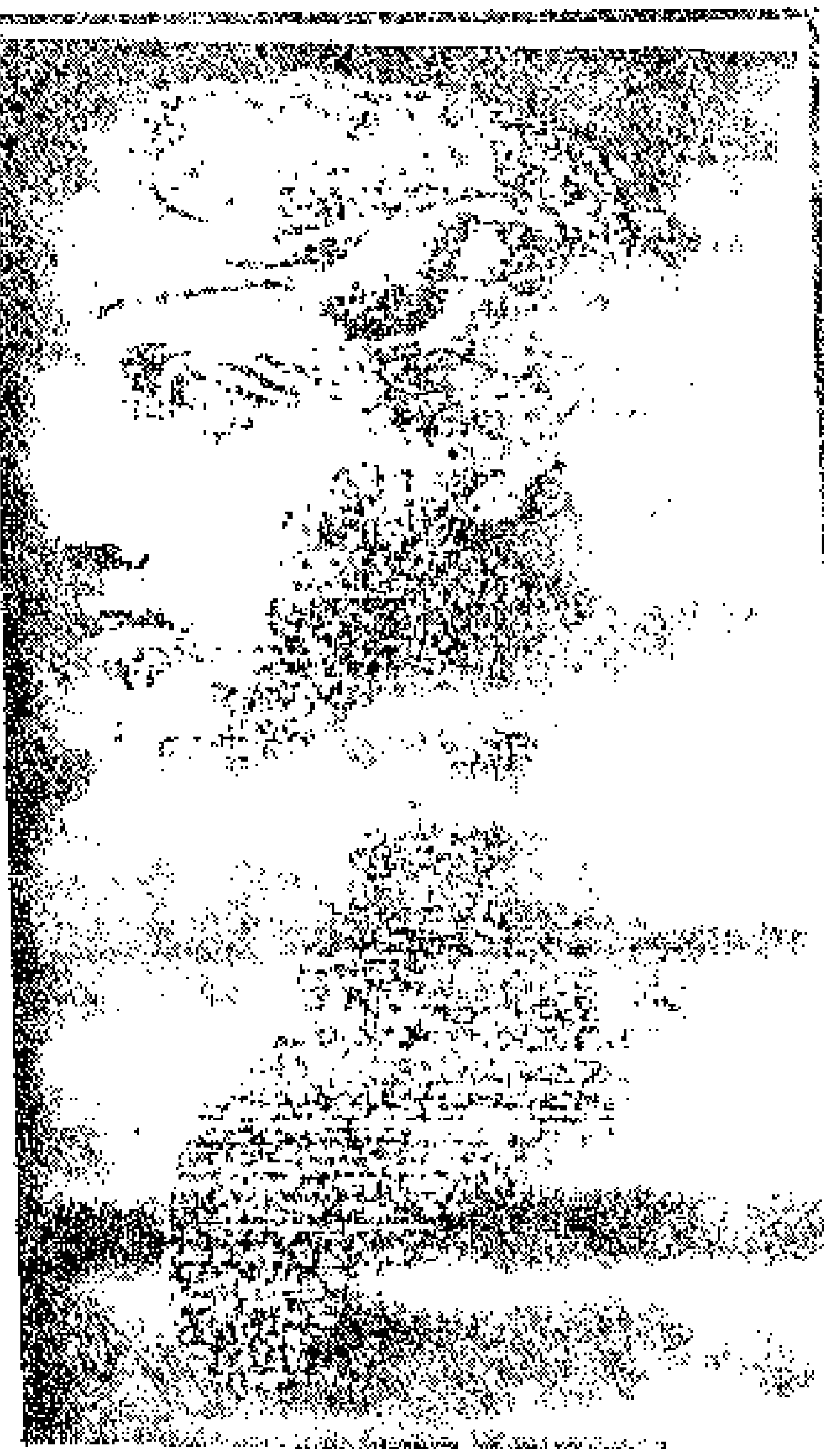
Kingdom and Libya and Syria and Phoenicia and Cyprus and Lycia and Caria and the Cyclades .

كما ان الأعمال الفنية لبطليموس الثالث تؤكد انه قد تشبه بالإله ديونيسوس ، فتماثيله النصفية المنحوتة تحاكي تماثيل الإله ديونيسوس ، حيث يتضح ذلك من خلال رأس الإله ديونيسوس (**شكل ١**) والمحفوظة بالمتحف اليوناني الروماني والتي يعلوها إكليل من ورق العنب كما نجد قرني الثور كرمز للخصوبة والجبهة عليها شريط وهو من مميزات التماثيل النصفية لديونيسوس ، والرأس (**شكل ٢**) والمحفوظة أيضا في نفس المتحف للملك بطليموس الثالث فنجد على الجبهة نفس الشريط للإله ديونيسوس وقرني الثور وهذا يؤكد أن الملك البطلمي كان يتشبه بديونيسوس ، كما يؤكد ان الملك وضع تقليداً جديداً وهو أنه ارتقى إلى مصاف الآلهة في حياته[٢] ، وتشبهت زوجته برينيكي الثانية بالإلهة إيزيس المصرية .

لقد عرف عن بطليموس الرابع من (٢٢١ – ٢٠٣ ق .م) بإنه كان عاشقا وعالما متصوفا بأسرار عبادة الإله الإغريقي ديونيسوس إله الخمر والنبيذ عند الإغريق ، وأنفق الكثير من عمره في سبيل نشر عبادته بين رعاياه إذ زعم هذا الملك بإنه سليل هذا الإله كما فعل البطالمة الأوائل وزعموا انهم ينتسبون إليه لكن بطليموس فيلوباتور قد زاد في تعلقه بهذا الإله وحمل اسمه أحيانا وحمل شعاره وهو وشم اللبلاب – رمز اتباع مذهب ديونيسوس .



[illegible]



[illegible]



[illegible]

ويجدر بنا الإشارة إلى ان بطليموس الرابع اشتعل لهيب الثورات المصرية مما اضطره إلى محاولة كسب ود المصريين بإغداقه العديد من قرارات العفو على الكهنة والمعابد لخدمة الديانة المصرية ونصب نفسه فرعوناً وحمل الألقاب الفرعونية التقليدية وتؤكد ذلك الوثائق المصرية بل وأيضاً الوثائق الإغريقية (١) .

ولم يكن فى وسع بطليموس الرابع إغفال الإغريق الذين كانوا يساندونه ويعضدوه ولاسيما بعد قيام الثورات المصرية ولم يرضهم بطبيعة الحال ماأظهره الملك من عطف نحو المصريين ، ولعل ذلك مرجعه أن هذا الملك قد عمل على استرضاء الإغريق ودعم سيطرته عليهم بالاهتمام بعبادة ديونيسوس اهتماماً شديداً فأمر بطليموس الرابع " فليوباتور " (٢٢١ ـــ ٢٠٥ ق.م) بعمل شجرة نسب له جعلته ينحدر من صلب الإله ، كما أمر برفع الإله ديونيسوس إلى مرتبة الآلهة الحارسة للبطالمة ، وجعله كبير آلهة الدولة(٢) ، ولدينا بردية محفوظة بمتحف برلين تلقى ضوءاً قوياً على غيره " بطليموس الرابع على معبودة ديونيسوس جاء فيها : ـ

" By decree of the King _Persons who perform the rites of Dionysus in the Interior shall said down to Alexandria those detween here and Naucrtis within ten days from the day on which the decree is published themselves before Aristobulus at the registration _office within three days from the day on which they arrive ، and shall declare forth with form what persons they have received the transmission of the sacred rites for three generations back and shall had in the sacred book sealed up ، inscribing theream wach his own name . "

وربما يرجع ذلك إلى تلك المحاولات الدينية التى اتخذها بطليموس الرابع فى سبيل جعل عبادة الإله ديونيسوس إلها قوميا وعاماً يحل محل سرابيس أو ينافسه ، زيادة على ذلك أن ظاهرة تشبيه الإله ديونيسوس بأوزوريس وسرابيس كانت عاملا بالغ الأهمية فى تقدم عبادته فى مصر عن طريق الجمعيات الدينية ، ويبدو أن الجمعيات الدينية كانت نظاماً يونانياً وأن معظم أعضاؤها الذين يطلق عليهم Thiaseitai أو Komegetai أى اتباع الإله الذى يتعبدون إليه كانوا من العسكريين .

وقد سجل لنا الكتاب الثالث من تاريخ المكابيين أثناء سرده لحوادث الاضطهاد التى لاقاها اليهود فى عصر فيلوباتور معلومات قيمة تفيد بأن هذا الملك كان يهدف إلى إرغام اليهود على قبول عبادة إله الدولة الجديد ديونيسوس ، كما أجبرهم على حمل وشم اللبلاب شعاراً لهذا الإله ، ووضح لنا هذا الكتاب مدى المحاولات والجهود التى بذلها هذا الملك البطلمى فى سبيل خلق دين وإله جديد لكل رعايا إمبراطوريته .

وحقيقة الأمر أن بطليموس فيلوباتور هدد اليهود وأرغمهم على دخول هذا الدين الجديد ، وكان يقصد من وراء ذلك مزج كل العناصر الأجنبية المختلفة فى الإمبراطورية بعضها مع بعض وخاصة من الناحية الدينية ، ولكى يخفف بطليموس من شدة وطأة الاضطهاد الدينى لهؤلاء اليهود وليسهل عليهم هذا الأمر قام بتشبيه إله اليهود ساباوث Sabaoth بديونيسوس الذى كان يطلق عليه أيضاً اسما ثراقيا وهو سابازيوس Sabazios على اعتبار أن هناك تشابها فى الاسمين(١) ، وقد رفض اليهود عبادة هذا الإله فى مصر وفى نفس الوقت قد دخلت عبادته فى أورشليم على يد أنطوخيوس (٢) .

ولشدة الاهتمام بهذا الإله أقيم احتفال عرف باسم اللاجينوفوريا Lagynophoria والواقع أن الإخلاص الذى أولاه بطليموس الرابع للإله ديونيسوس جعلته يعتبر مصلحاً دينياً ، وفى هذا الاحتفال كان المشاركون يحتسون كميات كبيرة من النبيذ على شرف

الإله ديونيسوس[٣] ، كما كان الاحتفال يضم عروضاً مسرحية تراجيدية أو كوميدية تدور أحداثها حول حياة الإله بصفته إله الدراما والمسرح عند اليونان [٤] .

وتشير النقوش إلى إقامة الاحتفالات الدينية على شرف الإله ديونيسوس كل ثلاث سنوات ، كما تؤكد إحدى الوثائق البردية من القرن الثاني قبل الميلاد إلى إقامة الحفلات الديونيسية في مصر (وخاصة في منطقة تبتونيس) إلا أنها لا تعطينا أية تفاصيل عن نوعية هذه الاحتفالات [٥] .

ومن المعروف أن أتباع هذا الإله من الفنانيين قد كونوا لهم نقابة في مصر إبان العصر البطلمي ، وامتد نشاطها في العصر الروماني داخل انحاء مصر حيث كانت تقيم احتفالها السنوى Panegyeis[١] تكريماً لهذا الإله ، ولقد ساهم فنانو ديونيسوس في الأعياد والاحتفالات التى كانت تقام فى إقليم بانوبوليس " أخميم " وإقليم أوكسيرنخوس " البهنسا " حيث كانت المهرجانات الموسيقية والمسرحية وأيضاً مهرجانات الألعاب تقام على شرف هذا الإله[١] ، فضلاً عن إقامة الولائم العامة وحفلات الخمر باعتبار ديونيسوس هو باكخوس " إله الخمر وكان أعضاؤها يسيرون في المواكب الرسمية مرتدين الملابس الأرجوانية والذهبية[٢] ، واسوة ببطليموس الرابع فقد أقام بطليموس الزمار (٨٠ ق.م) بعد زواجه من أخته كليوباترا السادسة ، أخذ يلقب بنيوس ديونيسوس " Neos Dionysus" [٣] .

اما أنطونيوس القائد الاعلى للجيوش الرومانية فى الشرق منذ الإسكندر الأكبر فقد تشبه بديونيسوس ، لأن هذا الإله يرمز للفتوحات في الشرق ، والمغزى السياسى لربط أنطونيوس بديونيسوس . وأن الأول كان عليه ان يواجه أوكتافيانوس ابن المؤله يوليوس قيصر لذا كان عليه ان يجعل نفسه إلها وليس فقط ابن إله على حد قول بلوتارخوس [٤] .

ويقول بلوتارخوس[٥] : " عندما دخل أنطونيوس مدينة إفيسوس ارتدت النساء ثياب عابدات باكخوس وارتدى الرجال والصبية ثياب الساتير(*) ساروا أمامه وقد ملئت المدينة بأغصان الكروم واللبلاب Thyrsus وحياه الناس على انه " ديونيسوس " واهب المتعة meilichios وصاحب الأفضال charidotos هذا بالنسبة للبعض اما الغالبية العظمى فقد كان ديونيسوس بالنسبة لهم آكل اللحم نيئا Omestes المتوحش ogrionios لأنه أخذ الثروات من رجال نبلاء ووهبها للمتخلفين والأوغاد "

وعندما التقى انطونيوس لأول مرة بكليوباترا فى مدينة طرسوس على ضفاف نهر كيندوس عام ٤١ ق.م فإن هذا اللقاء انتهى بالزواج المقدس بين إلهين ، فأنطونيوس اعتبره الناس ديونيسوس وهو فى الأصل أوزوريس المصرى ، وكيلوباترا كانت تعتبر التجسيد الحى لإيزيس المصرية أخت وزوجة أوزيريس _ ديونيسوس ، وكانت تبحث عن أوزوريس فوجدته فى شخص أنطونيوس – ديونيسوس الجديد[١] ، كما فعلت برينيكى الثانية زوجة بطليموس الثالث .

وفى خريف عام ٣٤ ق.م أقام أنطونيوس الزيد القوى لإيزيس موكب نصره بالإسكندرية بعد أن أعطى الأوامر بأن يطلق عليه لقب " الأب الجديد المحرر " Novus Liber Pater اى ديونيسوس ، وفى هذا الموكب توج أنطونيوس رأسه فعلا بإكليل اللبلاب Thyrsus وارتدى رداءا فى صفرة الذهب وأمسك بيده الصولجان المقدس وانتعل الحذاء العالى واعتلى العربة الباخية(*) ، فهكذا قاد انطونيوس موكب انتصاره فى شوارع الإسكندرية ممثلاً دور ديونيسوس أكبر آلهة العالم الهيللنستى تعبيرا عن المرح والتحرر والخلاص بل والفتوحات الضخمة ولاسيما فى الشرق ، وقد تلقت كليوباترا فى هذا الموكب نفس التحية كايزيس الجديدة [٢] كما حملت فى نفس هذا الموكب أيضاً صور وتماثيل لأنطونيوس على انه أوزيريس ــ ديونيسوس مما اتاح لكليوباترا الفرصة لأن تقيم له معبدا .

ويروى بلوتارخوس أنه فى الليلة السابقة لمعركة الإسكندرية الفاصلة وقعت الحادثة التالية : " يقال أنه عندما انتصف الليل وكانت المدينة في سكون بسبب الخوف والترقب لما سيقع سمعت بعض الأصوات الموسيقية الصادرة من كل انواع الآلات دفعة واحدة ، وسمع صراخ حشد من الناس مصحوباً بصيحات العربدة الباخية وقفزات ساتيرية كما لو كانت فرقة من المعربدين أتباع باخوس ترحل عن المدينة في ضجة كبيرة متخذة طريقها من وسط المدينة في اتجاه البوابة الخارجية التى تواجه الأعداء عندما أصبحت الضجة أكثر صخباً وعندئذ انطلقت خارجه ، وبدى للذين تدبروا ذلك الأمر أن الإله الذى كان أنطونيوس يتشبه به بوجه خاص وكان يربط نفسه (أى ديونيسوس) قد هجره[١] " وهجر الإله للمدينة كان معناه ان مدينة الإسكندرية على وشك السقوط فى أيدى الأعداء .

لذلك فإن الإله ديونيسوس كان صورة من الإله أوزيريس ، وأن الإغريق اعتبروا أوزيريس الصورة الأصلية لإلاهم ديونيسوس إله الخصوبة والخضرة فى الكون ، وكذا إله الخمر وراعى المسرح ، كما كان يعتقد أنه إله الموت والعالم الأخر وأن عليه تتعلق آمال البشر فى البعث والخلود ، ولذا فقد ناظره الإغريق بإله الموت والبعث والخلود المصرى الإله اوزيريس.

وهناك من الدلائل مايشير أن طقوس ديونيسوس الرئيسية ، كانت تقام فى عيده السنوى الذى يصادف وقوعه في عيد الربيع ، حيث يمثل الإله الصاعد من العالم السفلى فصل الخضرة والإنبات من بعده[٢] فديونيسوس كان فى حقيقته روح للإنبات التى تموت وتحيا فى كل عام ، مثله كأوزيريس الذى كان أيضاً إلهاً للإنبات التى تموت وتحيا فى كل عام مع الفيضان [٣] .

لذلك فإن الإله ديونيسوس كان صورة من الإله أوزيريس ، وأن الإغريق اعتبروا أوزيريس الصورة الأصلية لإلاهم ديونيسوس إله الخصوبة والخضرة فى الكون ، وكذا

إله الخمر وراعى المسرح ، كما كان يعتقد أنه إله الموت والعالم الآخر وان عليه تتعلق آمال البشر فى البعث والخلود ، لذا فقد ناظره الإغريق بإله الموت والبعث والخلود المصرى الإله أوزيريس [٤].

وقد أشار كل من هيرودوت وديودورس إلى ان الشعائر التى تقام لشرف الإله ديونيسوس فى مصر كانت تتوافق مع احتفالات الإله فى بلاد اليونان[١] ، وحيث أن الإغريق ناظروا الإههم بالإله المصرى أوزيريس ، لذا فإن مظاهر احتفال المصريين بالإههم كانت تشبه من جميع الوجوه احتفال اليونانيين بعيد ديونيسوس ماعدا الرقص والغناء اللذين كانا من مظاهر اعياد اليونانيين [٢] .

ولفهم قضية الربط بين كل من ديونيسوس وأوزيريس ، فيجب علينا هنا التركيز على أحداث حياة كل من الإله ديونيسوس والإله أوزيريس التى تشابهت إلى حد التماثل ، مما دفعت الكتاب القدامى إلى تشبيه الإله ديونيسوس بالإله أوزيريس نذكر من هذا التماثل مايلى : -

أولاً :

يركز ديودورس(٣) فى حديثه على التشابه او حتى التماثل بين أوزيريس المصرى وديونيسوس الإغريقى فيقول :

" ويطلق بعض كتاب الأساطير القدماء على أوزيريس اسم ديونيسوس Dionysus وقد يحرفون الاسم إلى سيريوس Sirios[٤] ومن بين هؤلاء يومولبوس Eumolpus إذ يقول فى قصيدته فى مدح باخوس Bacchus

" ديونيسوس لماع كالنجم ، نارى كالضوء "

وأرنيوس حين يقول :

" ولهذا يدعوه الناس فانيس(*) وديونيسوس "

ثانيا :

ويجمع ديودورس[1] بين أوزيريس من ناحية ، وديونيسوس من ناحية أخرى حيث يقول :

" وكان أوزيريس محبا للفلاحة أيضاً فقد ربى كابن لزيوس فى بلده نيسا Nysa فى بلاد اليمن بالقرب من مصر[2] . ولذلك يسمى عند اليونانيين ديونيسوس وهو لفظ مشتق من اسم أبيه ومن اسم هذه البلده ، ويحدثنا هوميروس فى أناشيده عن نيسا باعتبار انها تقع بالقرب من مصر وذلك حيث يقول :

" وهناك مدينة نيسا ، جبل عال ، كثيف الغابات "

" مبعده فى فنيقيه ، وقريبة من جداول مصر " .

ويقولون أن أوزيريس وجد الكروم بالقرب من نيسا ، وكذلك اكتشف طريقة عصر ثماره ، فكان أول من ذاق النبيذ وأول من علم الناس كافة غرس الكروم ، واستخراج النبيذ ، وقطف العنب وخزن النبيذ ، وقد لاقى هرمس على يديه تكريماً خاصاً دون سائر الآلهة لما أوتى من موهبة فذه فى استنباط ماعساه أن يكون ذا نفع فى حياة الناس جميعاً "

ثالثا :

يركز بلوتارخوس فى حديثه أيضا على التشابه بين الإله أوزيريس المصرى والإله ديونيسوس الإغريقى ، فيقول[3] : " وما أن استوى أوزيريس على العرش حتى انتشل المصريين من حياة الحرمان والتوحش ، فعلمهم كيف يزرعون الحب ، وسن لهم القوانين ، وعلمهم تبجيل الآلهة ، وبعد ذلك طواف بالأرض كلها ليمدن أهلها دون

ماحاجة إلى استعمال السلاح ، وإنما كان يستميل معظم الشعوب إليه بالإقناع والتهذيب ، ويسحرهم بجميع ألوان الغناء والموسيقى ، ولهذا يعتقد الإغريق أنه شبيه الإله ديونيسوس " .

رابعاً :

يجمع بلوتارخوس بين أوزيريس من ناحية ، وديونيسوس وسرابيس من ناحية آخرى[1] ، وكذلك أوكيانوس ، حيث يقول [2] :

" ويقولون أيضاً ان الشمس والقمر لايركبان مركبات كما هي الحال عندنا نحن الإغريق ، بل زوارق يبحران بها في مسالكهما (في الرطوبة أي في محيط السماء) ويلمحون بذلك إلى غذائهما ونشأتهما من الرطوبة ويعتقدون أيضا ان هوميروس مثل طاليس اخذ عن المصريين برأيه في الماء على أنه مصدر لجميع الأشياء واصلها ،. فأوكيانوس (اليوناني) هو أوزيريس ونيثوس هي إيزيس لأنها مربيه كل شئ ومغذيته فالإغريق يطلقون على إفراز المني " ابوسيا" (Apousia) ، وعلى المضاجعة سونيسيا أو سينوسيا (Synousia) ، وعلى الابن هويوس (husai) من الماء هودور أو هيدور (hydor) ومن المطر هياى أو هوساى (husai) وكذلك يسمون الإله ديونيسوس هويس (Hues) لأنه رب الطبيعة الرطبة وليس هذا الإله سوى أوزيريس هوسيريس (Husiris) ...."

ويستمر بلوتارخوس في شرح ارتباط الإله أوزيريس بالإله ديونيسوس سائلاً : [3]

" اما ان اوزيريس نفسه هو ديونيسوس (اله الخصوبة عندنا نحن الإغريق) فمن يعرف هذا احسن منك يا كليا ، يارئيسة العذارى في دلفي [1]؟ لقد جعلك أبوك وامك نذيرة لشعائر اوزيريس المقدسة ، فإذا كانت هناك حاجة في غيرك من الناس (اى من غير أصحاب اللقانه) إلى أن أسوق الأدلة والبراهين فلندع التعاليم السرية

وشـانها ، ولكـن مايفعلـه الكهـان علانيـة عند دفـن ابـيس عنـدما ينقلـون جثمانـه فـى نعش ، لايختلف فـى شئ عمـا يحدث فـى أعياد بـاخوس ، إذ يلفـون أنفسهم بجلـود الريم (nebridas) ويحملون صـولجانات بـاخوس (thyrsos) ، ويصـيحون صـيحات مدوية ، ويهتزون اهتزاز من أخذتهم الجلالة فى احتفال ديونيسوس الصاخبة ، ومن أجل ذلك ايضاً يصـور كثير من لاغريق ديونيسوس على شكل عجل[٢] ، وتتضرع نساء إليس إليه ان يدنو منهن بحافر عجل ، ويلقب ديونيسوس عند أهل أرجوس بإبن العجـل . يضـاف إلى ذلك أن حكايات التيتانيس وأحتفال بـاخوس الليلية تشبه مـايروى عن تبجيل بدن اوزريريس وبعثه ومولده الجديد " .

فالالــه ديونيـسيوس قتلــه التيتــانيس وهــو فــى هيئـة الجـدى أو الخـروف او الثور ، وقطعوه إلى سبع قطع والتهموه نيئاً فـالثور هو روح وتجسيد ديونيسيوس الإلـه الأكبر إله الخصوبة وهو فى مصر اوزيريس إله النيل المخصب .

والثور عند اليونان كان ذو قوة خارقة سحرية وخصوبة جنسية ففى أعياد اليونان الدينيـة للتضحية بـالثور تجرى مراسم وأول مانلاحظـه فـى ذلك محاولـة الهروب من جريمة قتل الثور فتقوم بعد التضحية محاكم صورية لتحديد علـى من تقع عليه مسئوليه ذبح هذا الحيوان المقدس فـى احتفـال ديوبوليا Deopoleia فيبرأ كل شـخص من العابـدين فـى هـذا الجمـع الـدينى ويقـع عقـاب الـذنب علـى السكين التـى قطعت حنجـرة العجل ، وفى مناطق أخرى كان المحتفلون يأتون بتيس (جدى) يمزقونه حياً ويأ كلونـه بدل الثور ، وذلك انطلاقاً من معتقد آخر يربط ديونيسوس بالماعز لابالبقر [١] .

ومن ضـمن الاحتفـالات الدينية فـى عبـادة زيـوس فـى أثينـا يقام احتفـال ديوبوليا Deopoleia وأهم مراسم هذا الاحتفال أن يذبحوا ثـورا Bauphania فيقيم العابدون فى ساحة الاحتفال مذبحاً من النحاس ويضعون عليه فطائرا وفولا وقمحاً ثم يـأتون بعدد من العجول المنتقاة[٢] يطلقونها فى ساحة الاحتفال والثور الذى يقترب من المذبح ويبدأ

فى أكل ماعلية يكون قد اختار لنفسه أن يكون الضحية فيفصلونه عن بقيه الثيران ويحيط به جماعه العابدين لتكريم الإله الكبير الثور (زيوس أب ديونيسيوس) ومن بين هذه الجماعة فتيات جميلات يدعون (حاملات المياه) فهن اللاتى يحضرن الماء ثم يوجد فى تلك الجماعة أيضاً رجال يكلفون بشحذ البلطه والسكين ثم يقوم احدهم بتقديم البلطة إلى رجل يسمونه (ذابح الثور)[٣] فيضرب بها الثور ضربه مميتة ثم يترك البلطة بجوار المذبح ويهرب إلى خارج ساحة الاحتفال فيأخذ رجل آخر سكينا يقطع بها رقبة الثور ثم يقومون بسلخ الثور ويفرق لحمه على العابدين كلهم . يأكلون نيئا[٤] ثم يحشون جلد الثور بالقش ويوقفونه على أرجله ويضعون على رقبته ناف المحراث كمهمته فى خدمة الأرض فى حياته وقد يشبه هذا تماما فى مغزاه تحنيط العجل بعد موته بمصر واستقرار دوره فى أحياء الأرض ، وإنباتها كما كان يحدث لاوزيريس بعد ان تمتصه الأرض ماء او حبا فينبعث منها نباتاً جديداً كما يذكر بلوتارخوس فكريه رمزيه للبعث البشرى [١] .

فالثور كانت طبيعته عند اليونانيين تشبه تماما طبيعة Osiris ، Adonis ، Attis and Tamuz أى طبيعة الآلهة التى تنطلق بالموت قواها لنفع البشر [٢] .

وفى مدينة أليس باليونان كان النساء فى المعبد يتوسلن إلى ديونيسيوس ان يحضر اليهن بارجل الثور رمز القوه الجنسية الخصبة وكانوا فى اليونان ـ كما ورد فى بلوتارخوس ـ يصنعون تماثيل الإله ديونيسيوس بشكل ثور[٣] ، فالإله يهب نفسه عن طريق الذبح ـ من أجل إحياء المخلوقات والطبيعة وهكذا كان اوزيريس يتحلل ويفنى فى الأرض وقد تجسدت روحه الحية بشكل الثور الإله الأكبر أو الفدو العظيم [٤] .

خامسًا :

فالإله ديونيسيوس قتله التيتانيس ومزقوا جسده إلى قطع سبع والتهموها نيئة ، والقطع السبع ترمز إلى درجات الموت السبع ثم أعيد بعثها فى جسد جديد وبعث ديونيسوس مرة اخرى ، والقطع السبع هى أيضاً نصف العدد ١٤ ، الذى قسم إليه جسد

أوزيريس بواسطة اخيه ست ، والتى أعادت زوجته وأخته الوفية جمعهما ثم نفخت فيهما الحياة[٥] ، لذلك كان من الطبيعي أن تتجسد فى الإلهين آمال الموتى فى بعث أو ميلاد جديد بعد الموت ، وأن تقوم حولهما العبادات التى تعد أتباعها بالخلود والسعادة فى حياة ما بعد الموت [٦] .

سادسًا :

أن رحلة ديونيسوس الطويلة فى أنحاء العالم المسكونة وتعليم أهلها أصول الحضارة وإعطائهم الشرائع والقوانيين وبناء المدن ، تكاد ان تكون نسخة مكررة عن أوزيريس ، مع فارق واحد يتعلق بالنبات الذى حمله كل إله إلى بنى البشر فبينما حمل أوزيريس القمح وعلم الناس آكل الخبز[١] ، حمل ديونيسوس الكروم وعلم الناس شرب الخمر [٢] .

وفى الحقيقة فإن النبات الذى حمله ديونيسوس هو الكروم رمز الخير ، لأن الشرائع والقوانيين التى مد بها ديونيسوس البشر ، والمدن التى بناها تدل على انتشار زراعة الكروم ، والاستقرار فى الأرض وبناء المستعمرات ، أكثر مما تدل على تعليم الناس الشراب المسكر [٣] .

والعقيدة الأورفية[٤] التى نشأت فى قلب ديانة الخصب الديونيسيوية ثم استقلت وحولت إلاهها ديونيسوس إله الخصب والكروم والخمر إلى إله مخلص ،ولكى نفهم فكرة الخلاص لدى الأورفية ، يجب علينا أن نفهم نظرية التكوين الأورفية فى خلق العالم وظهور الآلهة والبشر ، تقسم الأسطورة الأورفية تاريخ الكون إلى ثلاثة أدوار تماثل مع المراحل الثلاث التى مر بها الإله ديونيسوس منذ العماء البدائى ، إلى حادث موته وارتفاعه مخلصاً للبشرية [٥] .

١. ففي البداية كانت البيضة الكونية التي انشقت ليخرج منها ديونيسوس – فانيس ، أي ديونيسيوس المضئ أو حامل الضياء ، الذي كان ذكراً وأنثى في آن واحد ، وله رأس الثور وجناحان من ذهب وفي داخله بذور الآلهة وجميع مظاهر الكون التي مالبثت أن انبثقت عنه وفي هذه المرحلة كانت أسمائه " أيروس " و" دميثيس " وكانت الإلهة " نيكس " أي الليل أول ذريته ، التي أنجبت الأرض " جيا " والسماء " أورانوس " ثم " كرونوس " .

٢. يبدأ المرحلة الثانية والتي يحكمها ديونيسيوس أيضاً تحت اسم زيوس ، كان زيوس أعظم أحفاد ديونيسيوس فانيس ، لكنه لم يتوصل إلى السلطان إلا بعد ابتلاعه للإله البدائي " فانيس " ثم يضاجع زيوس ابنته " بيرسفوني " وينجب منها ديونيسيوس – زغروس، ويعهد إليه أبوه زيوس بحكم العالم الأعلي والعالم الأسفل معاً ، الأمر الذي دفع غيره التيتانيس ، كما يمتلك الخير متمثلاً في روح الإلوهية موروث ديونيسيوس الذي التهمه التيتان .

٣. أما المرحلة الثالثة المعروفة باسم دور ديونيسيوس – زاغروس المخلص ، فالإلهة أثينا التي كانت قريبة من مسرح الجريمة ، قد استطاعت انقاذ قلب الإله قبل أن يأكله التيتانيس والتي حملته إلى زيوس الذي شق فخذه وحضنه فيه حتي اكتمل جنيناً ثم أخرجه إلى العالم مره أخرى فكانت ولادة ديونيسيوس – ليسيوس مخلص البشرية ومحرر الأرواح ، فمع ديونيسيوس ترجع الكثرة إلى أصلها في الواحد الإلهي . (١)

وكما عاش ديونيسيوس ثلاث مرات في ثلاث مراحل ، كذلك هي روح الأنسان التي تعيش ثلاث مرات أيضاً متقمصة ثلاثة أجساد منها الحيواني ومنها البشرى ، قبل ان تتحرر من كثافة المد وتترك الجسد راجعه إلى مصدرها في العالم العلوى الإلهي الأزلي ، بمعونه ديونيسيوس الذى تصفه الأوزفية بأنه صياد الأرواح ، الذى يخرج أرواح البشر من سجن المادة إلى حرية الأبدية [١] .

ولقد آمن الفيثاغورثيون[٢] بخلود الروح وإمكانية فصلها عن الجسد لذلك عاشو حياه طابعها التقشف والحرمان من ملذات الحياة حتى يمكنهم السمو بأرواحهم وتخليصها من قيود سجلها الممثل في الجسد فكانوا يرتدون الملابس الخشنة ، واكتفوا بالقليل من الطعام ، وحرموا على انفسهم قتل الحيوان سواء لأكله أو لتقديمه كقربان لأنهم آمنوا بفكرة تناسخ الأرواح وتقوم نظرية تناسخ الأرواح ،على فكرة أن الروح في جوهرها ذات طبيعة واحدة سواء كانت لإله أو لإنسان ، ويقولون ان الروح في جوهرها ذات طبيعة واحدة سواء كانت لإله أو لإنسان ، ويقولون أن الروح كانت تسكن في البدء أعلى جزء في السماء ، ولكن لأن كل الأرواح لاتستطيع ان تمكث على هذا القدر من الارتفاع فقد سقط بعضها وكان لزماً عليها ان تسكن أجساداً لتعيش بداخلها .

وهكذا فإنه لايوجد فرق عند الفيثاغورثيين بين روح الإله وأرواح البشر سوى أن الأخيرة تسكن أجسادا مادية ، بينما الأولى بقيت في السماوات العلا [٣] .

ولقد أشار هيرودوت في كتابه الثاني إلى أن نظرية تناسخ الأرواح هي نظرية مصرية في جوهرها وكتب يقول :

" إن المصريين هم أول من قالوا بهذه الفكرة وأن روح الإنسان خالدة وأن جسده بعد أن يبلى فإن روحه دائما تدخل في جسم حيوان آخر ساعة ميلاده ، وعندما تنتهي الروح دورتها داخل كل المخلوقات البرية والبحرية والتي تطير ، فإنها تعود لتدخل من

جديد فى جسم إنسان آخر عند مولده وهذه الدورة تستغرق منها مدة ثلاثة آلاف عام ، ولقد تبنى عدد من الإغريق هذه الفكرة بعضهم من القدامى وبعضهم من المتأخرين وصوروها على أنها من ابتداعهم ورغم أننى أعرف أسمائهم لم أذكرها " [1].

ولقد تأثر أفلاطون كذلك بالفكرة الأورفية القائلة بأن الروح كائن علوى إلهى محبوس فى الجسد حبساً مؤقتا وهو يعتقد أن روح كل إنسان وجدت قبل مولده[2] وأنها بعد الموت ستقمص سلسلة أخرى من الحيوات فى أجساد جديدة[3] ، كما أشار فى محاورته لمصير الروح بعد الموت فكان يعتقد بأن الروح بعد تحررها من سجن الجسد ، فإنها تقدم للمحاكمة ليتحدد مصيرها [4] : فإمت من صلحت أعماله فسوف يحيا مع المنعمين ، فى حين يلقى الأشرار جزاء اعمالهم ، ويرسل بهم ليعاقبوا كل حسب ما اقترفه من ذنوب[5] ، وعندما تكفر الروح عن ذنوبها يسمح لها باختيار حياه جديدة [6] .

ملحق

وتحكي أسطورة ديونيسوس على النحو التالي : ـ

عندما جاءت الإلهة " ديمتر " بإخفاء ابنتها فى كهف قرب أحد الينابيع ، وكلفت بحراستها الثعابين الهائلين اللذين يجران عادة عربتها وفى ذلك الكهف جلست " بيرسفونى " تنسج وشاحاً صوفيا لتزخرفه بصورة للكون .

ويتمكن الإله " زيوس " من دخول الكهف فى هيئة ثعبان ، ويضاجع " بيرسفونى " التى تحمل وتضع فى المغارة ابنها " ديونيسوس " الذى تتولى رعايته فى نفس المكان[١] ، إلا ان زوجة " زيوس " " هيرا" تقوم بتحريض التيتانيس على قتل الإله الصغير ، ويتنكروا بطلاء أجسامهم ووجوههم بالجبس الأبيض ، وينقضون على الإله الطفل الذى أظهر شجاعة وذكاء فى الهروب منهم ، حيث حول نفسه إلى أسد فحصان فأفعى ذات قرون فنمر[٢] ، وأخيرا أمسكوا به وهو فى هيئة الثور أو الجدى أو الخروف[٣] وقطعوه إلى سبع قطع والتهموه نيئاً ، ومن قطرات دمه التى تساقطت على الأرض نبتت أزهار الرمان[٤] ، إلا أن الإلهة " أثينا " التى كانت على مقربه من مكان الحادث ، أنقذت قلب الإله وسلمته إلى أبيه الإله " زيوس " الذى أسرع إلى مكان الحادث ، فقضى على التيتانيس بصواعقه ، وأعطى قلب الإله الصغير إلى جدته الإلهة " ريا" التى لأمت أوصاله وأعادت ديونيسوس إلى الحياة [٥] .

وفى رواية أخرى للأسطورة نجد " ديونيسوس " ابناً " لسيميلى " زوجة الملك " قادموس " ملك طيبه ، التى يأتيها " زيوس " فى هيئة بشرية ويضاجعها خفيه عن زوجها ، فتحمل منه الإله " ديونيسوس "[١] وفى الشهر السادس من الحمل ، تعرف "

هيرا" زوجه " زيوس " بأمر العلاقة ، فتأتي إلى " سيميلى " فى هيئة جاره عجوز وتنصحها بأن تطلب من " زيوس " ان يظهر امامها فى هيئة الحقيقة ، لتتأكد من شخصيته الإلهية ، وعندما يأتى " زيوس " إلى " سيميلى " ليضاجعها تتمنع وتطلب منه الوقوف أمامها فى هيئته الإلهية فيوافق إلى أن صواعقه تحرقها فتهبط إلى العالم السفلى ، ولكن " زيوس " يستطيع إنقاذ الجنين من أحشائها بمساعدة الإله " هرميس " ويقوم " زيوس " بشق ساقه ووضع الجنين فيه ليتم فترة حمله [٢] .

وفى الشهر التاسع يفتح ساقه ، ويستولد منها " ديونيسوس "[٣] الذى يتسلق وهو طفل عرش أبيه ويلعب بصواعقه مقلداً كبير الألهة ، وخوفاً على الطفل من غيره وحقد " هيرا" فقد أخذ " زيوس" ابنه الصغير وسلمه أمانه للملك " أثماس " وزوجته بتربية الطفل فى جناح الحريم وألبساه الثياب النسائية ، زيادة منهما فى التمويه ، ولكن " هيرا " اكتشفت الأمر ، وعاقبت الملك وزوجته فضربتهما بالجنون ، مما دفع " زيوس " إلى تسليم ديونيسوس الطفل لعهدة حوريات " نيسا " حيث كبر واشتد عوده ويكتشف هناك زراعة الكروم ويصنع منها الخمر ، ورغم أنه كان فى مرحلة الشباب إلا أنه اكتسب هيئة أنثوية ، نتيجة للتربية التى خضع لها ، ومع هذا تتعرف " هيرا" على ملامح " ديونيسوس " ابن " زيوس " الغير شرعى ، فتضربجنون فيطوف فى البرارى دون جدوى . وعند الشفاء قرر الطواف فى جميع أنحاء العالم ورافقه معلمه الساتير " سيلينوس " إلى جانب مجموعة أخرى من الساتير الذين ساروا وراءه [١] .

زار ديونيسوس مصر وسوريه وبلاد الهند وبلدان أخرى ، فنشر فيها زراعة الكروم ووضع فيها الشرائع والقوانيين ، كما بنى المدن الكبيرة وأسس لعبادته فيها ، ثم عاد إلى جبل الأوليمبوس حيث شارك أبيه زيوس السيادة ، غير أن ديونيسوس لم ينسى أمه سيميلى التى ماتت قبل أن تلده فقرر الهبوط إلى العالم السفلى لاسترجاعها إلى

الحياه ، وهناك استطاع استرضاء بيرسفونى ببعض الهدايا ، ففكت سيميلى من سجن الموت ، وصعدت مع ابنها إلى السماء وانضمت إلى الآلهة فى الأوليمبوس [٢] .

الحواشي

(١) إن اسم ديونيسوس مؤلف من المقطعين " ديو " ، " ونيسا " ويعنيان اسم " زيوس من نيسا ويقول .

Robet Graves ، The White Goddess ، faber and faber ، London 1959 ، p236

إن نيسوس Nysosكلمة سراكوزية الأصل ، نعني " اعرج " ، ومن ثم قد تكون من أصل كورنثي " لأن Syracuse كانت مستعمرة كورنثية ، إلا ان اسم ديونيسوس ربما اشتق اسمه من Nyse او Nyssa أو Nysia وهي أسماء أطلقت على عدد من المعابد في تلك المنطقة التي أخذ فيها طابعاً قدسياً فهناك ثلاثة معابد تحمل Nyssa في آسيا الصغرى ، وثلاثة أخرى تحمل اسم Nysia في تراقيا ، وهناك Nyza في سوريا و Nisia في الجزيرة العربية (؟) حيث ولدت الإلهة إيزيس وربي ديونيسوس على حد قول كل من : _

(٢) Herodotus . II.، 146 ، Diodorus ، I، 15 and polybius .، V، XVI .، 21 . Polybius .، VXVI ،21 ، CF ، E ، Bevan ، A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty ، London 1927 ، p ، 108 .

(٣) أنظر : عبد المحسن الخشاب ، التياترو القديم ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٥٣ ـ ٥٤

(٤) Pluarchus ، De Iside et Osiride ، Mortalia ، V.، 13 .، CF . J Harrison ، Myths of Greece and Rome ، London 1932 ، p ، 74 .

(٥) S.، Reinach .، Cults ، Myths and Religions ، trans by E، Frost London ، 1912 ، p ، 34 ،

(٦) Herodotus ، II، 52

(٧) جاء هذا الإله ذو الأصول الشرقية ، من منطقة تراقيا شمال بحر إيجة ، المتاخمة لآسيا الصغرى والمتأثرة بها ثقافيا وحضاريا أنظر :-

H ، J Rose ، Ancient Greek Religion ، London 1946 ، pp ، 78 _ 79 . cf H Idris Bell ، cult and Creeds in Graeco _ Roman Egypt .، Liverpool Uni Press 1954 .، p.5

(١) Plutarchus ، 36 and 64 CF C.، Kerenyi .، Dionysos ، Archetypal Image of Indestructible Life ، translated form the German by Ralph Manheim ، London 1976 ، p، 34 .

(٢) plutarchus ، op ، cit ، 37

حيث يقول أن "هاديس وديونيسوس إله واحد " أما في فقرة (٧٨) فيقول : " ولكن عندما تتحرر الأرواح من الجسوم ، وتصعد إلى الملكوت غير المادى ، وغير المبصر ، وغير الشهواني ، الطاهر المقدس يصبح هذا الإله مرشدها ، ومليكها الذي ترنو إلى جماله ، وتتطلع إليه دون أن تشبع ، وذلك الجمال الذي يعجز البشر عن وصفه"

ولقد ربط أتباع العقيدة الأورفية بين ديونيسوس والإله هاديس أنظر :

W. K. C . Guthrie ، Orpheus and Greek Religion A Study of the Orphic Movement London 1952 ، p ، 55 CF ، L، R Farnell .، The Cults of the Greek States ، Vol ،III Oxford 1907 ، p ، 127 ،

(*) أنظر الملحق فى نهاية البحث

(٤) Arrian ، The Campaigns of Alexander ، Penguin book ، translated by J. R Hamiton ، London 1971 ، book five ، pp ، 255 ff ، mentioned that " In the country on Alexander 's route between the river Cophen and the Indus lay the city of Nysa ،supposed to have been founded by Dionysos ، at the time of his conquest of the Indians "

وانظر أيضاً : و، و تارن ، الأسكندر الأكبر قصته وتاريخة ، ترجمة زكى على ، مركز الشرق الأوسط ـ القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٤٢ و ص ١٧٢ .

(١) H. Idris Bell ، op ، cit ، p ، 18 ، CF M M . Austin ، The Hellenistic World fromAlexander to the Roman Conquest ، Cambridge Uni ، Press ، 1981 ،. P 357

(*) انشأ بطليموس الثانى فى الذكرى الأولى لوفاة والده عام ١٧٨ ق. م حفل الإسكندرية كل أربعة أعوام ويعرف باسم البطوليميا إجلالا لذكرى أبيه المؤله بطليموس المنقذ (سوتر) أنظر : إبراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٦ ، جـ ٢ و ص ٧٨ ومابعدها .

(٢) Theocr ، XVII ، 112 – 114 CF ، Diodorus ، I ، 22

(٣) Athenaeus ، V_ 198 C – D

(٤) E ، Bevan ، A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty ، London 1927 ، pp 192 – 193 .

(١) La Gloire d' Alexandrie ، 7 mai – 26 Juillet 1998 ، paris Musées .، Nos ، 182 ، 150 and 145

(١) أنظر : الحسين إبراهيم أبو العطا ، الأسباب السياسية لإعادة تتويج بطليموس الخامس ٢٠٥ـ ١٨٠ ق.م ، أوراق كلاسيكية ، العدد الرابع ، جامعة القاهرة ١٩٩٥ ، ص ٢٤٥ ـ ٢٥٩ .

(٢) SB 7266 (III B. C) SB – Sammelbuch Griechische Urkunden Aus Aegypten14 . Vols ، ed F، Preisigke and others (1915 – 1983) CF H. I. Bell .، op . cit .، p 39.

(١) H. I . Bell .، op .cit .، p . 18 and note No 52 .

(١) W.W .Tarn ، Hellenitic Civilization ، third ed London 1959 ، p ، 183 ، CF،P، Perdrizet Rev ، E ، A .، 1910 ، P 224.

(٢) P. Perdrizet .، Bull ، Soc ، Arch ، Alex ، n.s. III ،12 ، 1910 ، p 79 .

(٣) Plutarchus ، op ، cit ، (66)

حيث يقول " يسمون الخمر ديونيسوس" .

(٢) M، M ، Austin ،. Op.، cit ،. Pp ، 357 ff

(٣) O.G ، I، S = " Orientis Graeci Inscriptiones Selectae ، ed ،. W،Dittenberger Leipzig 1903 " 51 - 26 (III B. C) ((Ipmμns Eopτεν))

(٤) P،. Tebt ،. 887 . 102 (II ، B، C) .

(٥) SB 8854 = Vandoni ، Feste ، No.، 57 .، cf .، O .، G .، I .، S 36 (III ، B ، C)

(٦) SB 8854 = Vandoni ، Feste .، No ، 57 .، p ، Oxy .، 2338 .، 2467 (III ، A ، D)

(٧) SB 8854 .، Col .، I.، II = Vandoni .، Feste .، No .، 578

(٨) E، Bevan .، op .، cit .، p 350 and p ، 357 .

(٩) Plutarchus .، LX، 2_3
حيث يقول : " إن أنطونيوس اكتسب لقب " Dionysus Neos"

(١) Idem .، XXIV .، 3

(*) انظر هامش رقم (٨٤)

(٢) Plutarchus .، XXVI.، 1-4

(****) انظر الملحق فى نهاية البحث

(٢) Plutarchus .، Liv ،. 3-6
حيث يقول : وخاطبها الناس باسم " Nea Isis "

(١) Idem .، LXXV .، 3- 4

(٢) Plutarchus .، op .، cit .، 40
حيث يقول " أن الرواقيين يقولون أن الروح المخصب المغذى هو ديونيسوس " .

(٣) AL Hussein Abou EL Atta ، The Doctrine of Immortality in the Roman Alexandria ، (E .S.G.R.S.) Egyptian Society of Greek and Roman Studies ، Cairo 1995 .، pp .، 55

(٤) Herodotus .، II.، 42 .، 123 and 144 .، CF Plutarchus .، op .، cit .، 28
حيث يقول : " إن هاديس وديونيسوس إله واحد " .

(٥) Herodotus .، II.، 49 .، CF .، Diodorus .، I.، 96

(٦) Herodotus .، II.، 48 CF.، P، M ، Frazer .، Ptolemaic Alexandria ، Oxford 1972 .part .، I.، P 204 ، and p ، 310 .

(١) Diodorus .، I.، II .

(٢) تأثر ديودورس بما ساد العصر الهيلينستى ، بالتفسير الفلكي للأساطير الإغريقية على أذهان الناس ومن ثم يسميه (الإله Sirios) وهو نجم كلب الجبار باعث وبشير الفيضان ، وهو نجم الإلهة إيزيس . ايضاً المعروف باسم Sothis الكلب الجبار .

(٣) Robert Graves ،. Op .، cit .، p .،236

حيث يقول : " يعتقد اليونانيون القدامي أن Foeneus أبا أتالانتا كان أول من غرس شجرة الكروم فى اليونان ، وتقول الأسطورة إن فانيس هذا أو Oeneus كان ابن ايجيبتوس (مصر) والذى خرج وهام فى البرية ٤٢ سنة ،ثم اتجه شمالا إلى فلسطين ثم سوريا ، فاليونان ، ومما يذكر أن كلمة Foinos من أصل كريتى ومعناها الخمرة"

(٤) Diodorus .، I .، 15

(٥) انظر حاشية رقم ١ من هذا البحث وايضاً حاشية رقم ١١ " الإسكندر الأكبر "

(١) Plutarchus ، op ،. Cit ،. 13

(٢) Idem ، 28

(٣) Idom ، 34

(٤) Idom .، 35

(٥) (Klea) وهى كاهنة كانت تخدم فى معبد إيزيس ، حيث اعتبرها بلوتارخوس واحدة من أتباع إيزيس Isiakoi اى مجذوبة إيزيس ، ويسميها بلوتارخوس كذلك (٣٥) من نفس الكتاب : قائدة الثياديس Thyades فى دلفى ، أى أنها مكرمة لعبادة وطقوس أوزيريس من قبل والديها ، ويبدو

انها كانت كاهنة إيزيس وديونيسوس ، وإن كان ذلك لايعني أن معبد إيزيس كان في دلفي ، مع أن بعض النقوش في دلفي تحمل اسمها.

Plutarch's "De Iside et Osiride " edited with an Introduction Translation and Commentary by J. Gwyn Griffiths ، Uni OF Wales Press 1979 ، pp ، 253 _254

(١) Plutarchus ، op ، cit ،. 29

حيث يقول " أن ديونيسوس هو أول من جلب العجول "

(٢) F، Guirand ، Greek Mthology ، Hamlyn London 1963 pp ، 113 ff

حيث يقول " فمن ألقاب ديونيسوس الكثيرة (الذى يلبس جلد التيس) حيث كان يظهر في بعض المناسبات على هذه الهيئة مثل الساتير " .

(١) عن عملية انتقاء العجول انظر:

C. Kernui ، Dionysos ، pp ، 12 ، 84

(٢) Ibid ، p ، 173 ، 315 – 316

(٣) يوريبيدس (الكريتيون) يجرى على لسان الكورس من عبدة الثور أو العجل ويوجهون الشهادة إلى مينوس قائلين : أنهم قد رفعوا إلى درجة القداسة كما انهم شاركوا في احتفالات ولائم اللحم النيئ (١٣٢_ص١٢٤) .

CF ، H ، I ، Bell، op ، cit ،. P 103 cf . C ،Kereni ،. Op .، cit .، p 86

(٤) Plutarchus .، op .، cit .، 29

(٥) Arnold ،. J،.Toynbee .، Hellenism .، The History of a Civilization London 1958 ، p ، 99

حيث يقول : " لم يكن الهدف من الدراما تثقيف النظارة أو تسليتهم ، بل استدرار خصب الطبيعة بطريق السحر و الإيحاء " .

(٦) Plutarchus .، op .، cit .، 35

(١) Harold Cooks .، Osiris Study in Myths ، Mystriea and Religion ،. P 201 ، cf .، Plutarchus .، op .، cit .، 35

ويذكر أن بنداروس يقول : ليت ديونيسوس باعث السرور يكثر من ثمار الشجر ذلك السنى الوهاج لفصل الحصاد " .

(٥) Plutarchus .، op .، cit .، 18 .، and 54

(٣) Al Hussein Abou ELAtta ،. Op .، cit .، pp.، 55 ff

(٤) Plurarchus .، op .، cit .، 13

(٥) Robert Graves ،. Op .، cit .، "The Greek Myths ،. V.، I .، A pelican book - London 1985 ، p 107 .

حيث يقول : أن اليونانيين لم يكونوا هم اول من صنع الخمر ، بل كان يصدر إليهم من كريت في بادئ الأمر وأن مهده الأصلي كان الساحل الجنوبي للبحر الأسود ، وكان نبتا بريا ، ومن هناك انتقلت زراعته إلى جبل نيسا في ليبيا ، عن طريق فلسطين ، ومنها إلى كريت ، ثم إلى الهند عن طريق فارس وكانت طقوس شرب الخمر في آسيا الصغرى وفلسطين اعيادا باخوسية وهى في الأصل أعياد القرابين وأن نيسا تعنى شجرة " . بينما تقول

Tragedy وأن كلمة J. Harrison .، op .، cit .، pp .، 130 – 132
قد لاتكون من Trago التى تعنى الشعير الذى كان يصنع منه البيرة فى أثينا "

(١) Plutarchus ،. Op .، cit .، 13

(٢) وتنسب الأورفية إلى " أورفيوس" وتنسب إليه معظم الأشعار الدينية التى تبلورت من خلالها معالم هذه العقيدة ، حيث كان ذا موهبة فذه فى الغناء والعزف على القيثارة ، ويغلب الظن أن أورفيوس عاش فى مطلع القرن السادس قبل الميلاد ، ثم رفعه أتباع عقيدته التى أسسها إلى مصاف الآلهة ، وربما تعود شهرة أورفيوس كموسيقى ومغنى إلى أن التعاليم الأورفية كانت قد وضعت فى شكل قصائد شعرية تغنى بمصاحبة الموسيقى وتنسب إلى أورفيوس بشكل تقليدى وقد كان أفلاطون أول من اقتبس من هذه القصائد .

Willi Walter .، The Orphic Mysteries in " The Mysteries " Edited by J، Campbell Princeton ، New York 1978 p ، 67 ، cf ، f ، Guirand ،. Op .، cit .، p .، 149 cf also W، K، C ، Guthrie .، Orpheus and Greek Religion Methuen 1952 .، p .، 47 .

(٥) Diodorus ، I، 23

حيث يقول : عندما زار أورفيوس مصر، اشترك فى الشعائر الخفية والطقوس السرية لديونيسيوس "
وللشبه الكبير بين كثير من عناصر هذه النحلة والعناصر الهامة فى الديانة المسيحية أنظر: حسام محى الدين الألوسى ، بواكير الفلسفة قبل طاليس أو من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان وزراة الثقافة والإعلام بغداد ١٩٨٦ ، ص ٢٣٨ .

(١) H. J .Rose .، op .، cit .، pp .، 122- 123
(٢) Wili ، Walter .، op .، cit .، pp .، 70 – 75
(٣) وتنسب الفيثاغورثية لفيثاغورس الذى ولد بين سنتى ٥٨٠ _ ٥٧٠ فى جزيرة ساموس ، حيث عاش حتى بلغ مبلغ الرجال ، ثم هاجر منها إلى جنوب إيطاليا ويقال أنه ذهب إلى مصر وبعض بلاد الشرق ونهل من معارفها ، ثم عاد إلى جنوب إيطاليا مرة أخرى حيث أسس " الجمعية الفيثاغورثية " وهى جمعية فلسفية دينية جذبت إليها العديد من المريدين أنظر :
W، K ، C ، Guthrie .، History of Greek Philosophy ، Vol ، I ،. Cambridge .، 1978 .، P .، 173 cf Aronold J ،. Toynbee .، op .، cit .، p ، 65_ff
(١) W. K. C . Guthrie .، op .، cit .، p .، 167
(٢) Herodotus .، II .، 123 .
(٣) Plato : Timaues 34 EC
(٤) Idem : Phaedrus 249
(٥) W . K . C . Guthrie .، op .، cit .، p ، 202
(٦) Plato : Gorgias 525
(٧) Idem : Phaedrus 249

(١) Robert Graves ، The Greek Myths .، V.، I .، p ، 118 CF .، Sabine G.، Oswalt .، (١)Greek and Roman Mythology .، " Concise Encyclopedia " Collins _ Glasgow 1969 Pp .، 89 – 92.

(٢) Plutarchus .، op .، cit .، 25

حيث يقول : أن فرار ديونيسوس لايختلف عن شئ من أعمال أوزيريس " .

(٣) الدليل على اقترانـه بالثور او الجدى أو الخروف هو انـه ولد ولـه قرنـان ومن هنا كان الجدى Eriphus احد ألقابه حسب رواية Apolodorus وقد صوره الكريتيون على هيئة معزى برية بقرنين هائلين .

(٤) Robert Graves .، op .، cit .، pp .، 75 _ 76

حيث يقول : " ويعتقد كتاب الأساطير الإغريقية أن أول شجرة رمان ظهرت إلى الوجود نبتت من دم ديونيسوس الذبيح ، ولهذا السبب نساء أثينا من اكل حب الرمان فى عيد التيسموفوريا " Thesmophoria "

(٥) Joseph Campbell .، Primitive Mythology .، Penguin book .، London 1977 ، p 101

يقول " أن الإلهة أثينا وضعت قلب ديونيسوس " الإله القتيل " فى قالب من الجبس ثم نفخت فيه الحياة "

(١) Diodorus .، I 23 .، CF .، Jane Harrison .، Prolegomena .، to .، the Study of GreekReligion .، Uni .، Books .، London 1980 .، pp .، 220 – 221 .

حيث تقول : ان سيميلى هى إلهة الأرض والقمر الفريجية والتراقية ، وكانت عابدات القمر فى احتفال ال" لينايا " الذى يطلق عليه عيد النساء المتوحشات ، يضحين لها بثور يقطعونـه إلى تسع قطع يأكلونها نيئة .

(٢) Herodotus .، II .، 146

(٣) C.،Kerenyi .، The Gods of the Greek .، London 1958 .، pp .، 225 – 228 CF Sabine G.، Oswalt .، op .، cit .، p .، 90 .

(١) H.، J .، Rose .، op .، cit .، p 79 .

حيث يقول Satyrsوالـ Seilenoi وهى تجسيمات مصغرة لفكرة الخصب ، يظهرفيها الفريق الأول فى صورة أقذام من الذكور الشهوانيين الغريبى الخلقة الذين تتدلى منهم ذيول Nymphoiأن الـ " خيل والحوريات ويمثلن إناثا يسكن أو ينفثن الروح فى الأشجار والجبال ومجارى المياه وغير هذه من مظاهر الطبيعة " .

ولقد وصف لنا انتيباتير وصفاً دقيقاً لرقصة عابدات " باخوس "

See Greek Anth " Loeb " (Antipater of Sidon) LX.، 723 and XVI .، 197 .

(١) C.، Kerenyi .، op .، cit .، 225 _ 228 .، Cf .، Robert Graves .، op .، cit .، pp 104 _106.

مكتبات العصر الهللينستي

" مكتبات العصر الهلينستى "

تمهيد :

تتناول هذه الدراسة ، أهم مانشر عن المكتبات الهلينستية فى ربع القرن الأخير ، وربما تجدر الإشارة إلى نشأة المكتبات عموماً ، والتى يعود الفضل فى تأسيسها فى منطقة الشرق الأدنى القديم .

من المعروف أن السومريين كانوا يحتفظون بالألواح الكتابية الطينية فى اماكن خاصة داخل المعابد أو القصور أو المدارس كمخازن أو مكتبات وقد تم الكشف عن بقاياها في المدن السومرية المشهورة مثل أرك ولجش ونيبور ... إلخ ففى المدارس كانت الألواح الطينية خاصة بالكتابة والتعليم ، أما المعابد فقد وجدت فيها ألواح عبارة عن عقود رسمية وتجارية وعقود خاصة بالبيع إضافة إلى المقاييس والمكاييل ووحدات الوزن (١) .

وكما فى العصر السومرى فقد كان البابليون أيضاً يدونون وينسخون الألواح الطينية ويحفظونها فى المكتبات أو مراكز الوثائق ، التى كانت تنتشر فى المعابد والقصور، وقد تم اكتشاف مكتبات من هذا النوع فى المراكز الثقافية البابلية مثل كيش (٢) .

وفى بلاد آشور ، أسس الملك آشور بانيبال (٦٦٩ ـ ٦٢٧ ق.م) ـ دارس العلوم والثقافة ـــ مكتبته المشهورة التى كانت تحوى آلاف الألواح الطينية ، وخلال عام ١٨٤٥ـ ١٨٥١ تم الكشف عنها ، إلى جانب اكتشاف بقايا العاصمة الآشورية " نينوى " (٣) .

أما فى عام ١٩٧٤ كشفت بعثة الآثار الإيطالية عن مكتبة أو مركز للوثائق فى إيبلا فى حالة جيدة بحيث يمكن القول أنها أقدم مكتبة تم اكتشافها فى سوريا ، كما كشفت البعثة عن بقايا القصر الملكى فى إيبلا والذى كان يحوى قسمين خاصين بالكتب . (٤)

وتشير الوثائق التى ترجع إلى العصر الفرعونى إلى ان قدماء المصريين كانوا اول من فكروا فى تدوين أحداثهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، حيث كانوا يحفظون كتاباتهم فى اماكن اتخذت مسميات مختلفة لها مثل دار اللفائف ، مقر اللفائف ، ديوان اللفائف ، خزانة اللفائف ، دار اللفائف المقدسة ، بيت الكتابات ، بيت البرديات ، بيت البرديات المقدسة أو بيت الكتابات المقدسة ، أشهرها جميعاً كانت " دار الحياة " أو " بيت الحياة " (بر ــ عنخ) فهى أشبه بخزانة كتب كان يحفظ فيها كل سجلات البلاد المتعلقة بالأحداث التاريخية والأدبية والدينية ، وهذه المؤسسة " بيت الحياة " وجدت منذ الأسرة الرابعة الفرعونية وقد استمرت تؤدى دورها إلى جانب المعابد حتى نهاية العصرين اليونانى والرومانى (٥) .

ففى ١٣٥٠ ق.م تقريباً ، بنى أمنحوتب الرابع المسمى إخناتون مدينته " أخيت آتون " تل العمارنة ، وشيد بها معبداً لعبادة الإله الواحد " آتون " ألحق به " دار الحياة " وقد كانت هذه الدار أرشيفاً إلى جانب كونها مكتبة ، ومن المعروف أن هذه المكتبة كان يعمل بها أميناً وهو الوزير " رعموس " والتى وجد فيها حوالى مائتى رسالة من ملوك سوريا وفلسطين وبابل والحيثيين (٦) .

وبالاستناد إلى الوصف الذى خلفه لنا المؤرخ اليونانى ديودوروس الصقلى (القرن الأول قبل الميلاد) فقد ذكر " أنه يوجد في معبد الرامسيوم مكتبه خلف صالات الأعمدة ، وهذه المكتبة مقدسة وكتب عليها عبارة " علاج النفوس " وهذه المكتبة تعد من أشهر المكتبات المصرية القديمة .

والتى بناها رمسيس الثانى بمعبده الرامسيوم بعد انتصاره فى معركة قادش لكن الاكتشافات الأثرية فى المعبد لم تنجح فى العثور على هذه المكتبة وهى ذات المكتبة التى اعتمد عليها لوتشيانوا كانفورا فى دراسته عن " اختفاء مكتبة الإسكندرية " (٧) .

وفى معبد الإله حورس بإدفو ، اكتشفت قاعة بها رفوف داخل جدرانها لحفظ لفائف البردى ، بينما وجدت على أحد الجدران قائمة الكتب المحفوظة ، مما يؤكد أنها كانت تستخدم كمكتبة تحتوى على ٣٤ كتابا وجدت قائمة بها على جدران ، وتعد هذه القائمة أقدم فهرس للكتب يعثر عليه فى مصر، وهو يرجع إلى النصف الثانى للقرن الثالث قبل الميلاد (٨) .

مدخل :

تطلق فترة العصر الهللينستى فى الحضارة القديمة على القرون الثلاثة التالية لموت الإسكندر الأكبر، والذى توفى عام ٣٢٣ ق. م تاركا إمبراطورية شاسعة الأطراف تمتد مابين نهر النيل ونهر الجانج بالهند ويعيش فيها أجناس بشرية مختلفة وحضارات تفاعلت مع الثقافة اليونانية التى حملها الإسكندر معه إليها فى فتوحاته والذى اعتبر نفسه مبشرا بها .

وبعد موت الإسكندر اقتسم قواده الإمبراطورية فصارت آسيا إلى حكم ال سليوكوس Seleucus وعاصمتها أنطاكية Antioch ، أما بلاد اليونان ومقدونيا فقد صارت إلى أنتيجونوس Antigonus وعاصمتها " بيلا " أما مصر فقد صارت من نصيب بطليموس بن لاجوس وأسرته من بعده (٩) .

وتميزت الحياة السياسية فى العصر الهللينستى باختفاء الحواجز السياسية التى كانت قائمة بين سكان بلاد اليونان وآسيا الصغرى وأهل الحضارات الشرقية القديمة فانتشرت العناصر اليونانية فى كل جهات العالم تحمل ثقافتها معها فى البيئات الجديدة ، وفى ظل حكم خلفاء الإسكندر الأكبر أقيمت المدن على الطراز اليونانى

- ونشطت حركة التعمير والإنشاءات إذ عن الحكام بتجميل عواصم حكمهم فعنوا بإقامة المنشئات العامة من مسارح ومكتبات من أشهرها مكتبة الإسكندرية ومكتبة برجامون (١٠) .

ومن جهة أخرى زاد النشاط التجارى بين الممالك ، فأدى إلى تحسين طرق المواصلات التى تربط بين العواصم النائية ، كما ادى إلى العناية بتمهيد الطرق البرية وظهرت الحاجة إلى تحسين فنون الملاحة وتطور بناء السفن ، كذلك نتج عن الحروب المستمرة بين القوى السياسية المتصارعة تحسين كبير فى تصميم الآلات المستخدمة فى الحرب كل هذه الاحتياجات كانت فى الواقع السبب فى ارتقاء الصناعة والفنون العملية والدافع الرئيسى لنهضة علمية انتشرت فى أنحاء العالم الهللينستى وتميزت بوجه خاص فى الإسكندرية التى نعمت بقدر أكبر من الأمن الداخلى والاستقرار السياسى لابتعادها عن الحروب الدائمة فى آسيا وبلاد اليونان .

أسس ملوك الممالك الهللينستية لأنفسهم مكتبات فى عواصمهم وفى مقدمتها مكتبة الإسكندرية وكذلك مكتبة برجامون ومكتبة أنطاكية ومكتبة رودس ، هذه المكتبات لم يكن نشاطها قاصرا على حفظ الكتب المكتبة بمثابة " الخزانة الثقافية " Bibliotheke " والتى كان يعهد بإدارتها إلى متخصصين لامعين (١١) .

ومما لاشك فيه ان أفلاطون قد احتفظ فى مدرسته الاكاديمية Akademeia بمجموعات من الكتب أو المخطوطات العلمية التى استخدمها هو وتلاميذه . لكن سترابون يؤكد ويقول " أن أول من جمع الكتب كان أرسطو ، والذى أقام مدرسته " المشائية " التى عرفت باسم الليكيون Lykeion أو Lyceion بالقرب من أثينا (فى الجهة الشمالية الشرقية) إلى جوار الكهف المقدس للإله أبوللون لوكيوس Apollon Lykeios ولربات العلوم والفنون الموساى Mousai ، والتى استمد اسم المدرسة منها .

وفى هذه المدرسة جمع أرسطو العديد من الكتب والمخطوطات وأسس فيها مكتبته النادرة كما ألحق بها متحفاً يضم مجموعات من الحيوانات والنباتات استخدمها كوسائل إيضاح أثناء تدريسه ، وهذه المدرسة كانت تهدف إلى كل مايفيد الإنسان من علم وأدب وصل إليه العقل الإنساني في زمانهم (١٢) .

ويخبرنا سترابون (١٣) أن ثيوفراستوس (٣٧٠ ــ ٢٨٥ ق .م) تلميذ أرسطو قد ترك مخطوطات أرسطو لنيليوس من سكيبسيس بمنطقة طروادة فحفظتها ورثته تحت الأرض لحمايتها من سطو اتاللوس ملك برجامون وبيعت الكثير من هذه المخطوطات حوالى عام ١٠٠ ق.م إلى ابيلليوكون من تيوس Teos بعد أن عثر عليها مخبأه فى القبو ويقال انه قد سرق ما لم يستطيع شراءه ثم قام بنشرة بطريقة سيئة ، وفى عام ٨٤ ق .م نقل القنصل الرومانى سولا هذه المخطوطات إلى روما حيث نشرها تيرانيون الأكبر " النحوى " (أوائل القرن الأول ق . م) ثم عاد اندرونيكوس الرودسى فرتب مؤلفات وألف دراسة من خمسة كتب عن ترتيب هذه المؤلفات حوالى عام ٤٠ ق .م .

من المعروف أن مكتبة بيثينيا بالقرب من هيراكليا Heraclea أنشئت حوالى ٣٦٤ ق .م وهذه المكتبة كانت مكتبة عامة بأمر من الحاكم كليارخوس Clearchus وكان بالجزر الإيجية مكتبات اهمها (كوس ، ورودوس ، وكنيدوس) فالاكتشافات الأثرية فى كوس عثرت على نقش على حائط مكتبة يحوى عدد الكتب وأسعارها ، فقد ذكر ١٠٠ دراخما لـ ١٠٠ كتاب ، ونقش مشابه وجد فى جزيرة رودس مكتوب بنفس الطريقة السابقة ونقش آخر من نفس المكتبة عبارة عن فهرس لمكتبة صغيرة او مجموعة كتب مهداه (١٤) .

وهناك مايثبت أن المدارس gymnasia في أثينا كما في رودس وغيرها من المدن خلال القرن الثانى والأول قبل الميلاد كان بها مكتبة كبيرة ، فمدرسة بطوليمايون Ptolemaion التى أسسها بطليموس الثانى " فيلادلفوس " فى القرن الثالث قبل الميلاد والتى زارها كل من شيشيرون وباوسانياس حيث وصفها الأخير بقوله أن هذه المكتبة كانت مزينة بالأعمدة والتماثيل والرسوم (١٥) .

وكان لمدينة أثينا أرشيفاً رسمياً فى ال Metroon أو فى معبد " أم الآلهة " بالقرب من أبيداوروس كانت توجد مدرسة طبية ، هى اسكلوبيون ، والتى ازدهرت حوالى ٥٠٠ ق.م ، نزولاً حتى ١٠٠ بعد الميلاد ، وكانت معبداً مع كونها مدرسة ، ومبناها ضخم ، يحتوى على العديد من الحجرات للمعلمين والطلبة والزوار الرسميين ، وكان به صالات للمناسبات والاحتفالات وحمامات ومكتبة ، المكتبة كانت مهداه إلى الإله أبوللون ماليانيس Apollon Maleates والإله اسكلوبيوس ، رب الشفاء ، وهناك مدارس طبية أخرى معروفة كانت فى كوس ، كينيدوس ، برجامون ، رودس ، قورينى ، والإسكندرية ، وكل منها نعتقد انه كان بها مكتبة مناسبة وقد امر هيبوكراتيس بحرق مكتبة كنيدوس الطبية لرفض الطلبة متابعتة (١٦) .

أما الأسرة المقدونية السليوكية فقد أسست فى عاصمتها إنطاكية بسوريا مكتبتين ، الأولى أسند " انطيوخوس " الثالث لرئاستها " يوفوريون " من خالكيس فى يوبويا ، وقد كتب " هيجيسيناكس " فى نفس العصر عن قواعد اللغة والتاريخ ونظم قصيدة ملكية ، أما المكتبة الثانية فقد شيدت ما بين (١١٤ ق.م ــ ٩٢ ق.م) بأموال أوصى بها تاجر من أنطاكية اسمه " مارون " كان قد استقر فى أثينا ، وقد شيدت فى ساحة الأجورا والتى دمرت فى حريق عام ٢٣ \ ٢٤ بعد الميلاد (١٧). وكذلك أسس الحكام المقدونين مكتبتهم فى بيلا ، لكننا لانعلم عنها اكثر مما ذكر من أنه فى عام ١٦٧ ق.م نقل القائد الرومانى " ايميليوس باوللوس " (الملقب بالمقدونى لأنه أنهى الحرب

المقدونية الثالثة فى موقعة بيدنا عام ١٦٨ ق.م مكتبة الملك " برسيوس " إلى روما [١٨] ويحكى ان مكتبة الملك " ميثريداتيس " السادس Mitheridates VIاويوباتوره Pator Eu(١٢٠ - ٦٣ ق.م) التى كانت موجودة فى عاصمة بلاده بونتوس (الساحل الجنوبى للبحر الأسود) استولى عليها " لوكوللوس " حوالى عام ٧٠ ق.م ونقلها إلى روما [١٩] .

تأسيس الموسيون والمكتبة فى مدينة الإسكندرية :

هنــاك شـبه إجمــاع بــين المــصادر على أن بطليمــوس الأول (سوتير٣٢٣ــ ٢٨٢ق.م)هو الذى شرع فى إنشاء المكتبة والموسيون فى الإسكندرية ، بطليموس الإول كان عسكرياً محباً للثقافة اليونانية حتى انه ألف كتاباً عن الإسكندر الأكبر نفسه ، وتحقيقاً لمطامع بطليموس فى ان يوحد حكمة فى مصر فقد سرق جثمان الإسكندر الأكبر ليدفنه فى عاصمة البلاد بعد أن وضعه فى تابوت مصنوع من الذهب ، وبذلك اعتبر حامى جسد الإسكندر . [٢١]

من الناحية الأخرى أراد ان يبرز مملكته عن بقية الممالك الهللينستية فعقد العزم على أن يجعل من مدينة الإسكندرية عاصمة للبلاد ومكاناً قوياً يتمتع بالعلم والمعرفة ، ووجد ضالته المنشودة فى جعل الإسكندرية عاصمة ثقافية فى شخص ديمتريوس الفاليرى(Demeterius of Phalerum) وهو احد الفلاسفة المشائين الذين تتلمذوا فى مدرسة أرسطو اللوكيون Lykeion إضافة إلى أنه كان سياسيا تقلد الأمور فى أثينا بين سنتى ٣١٧ - ٣٠٧ ق.م أضطر بعدها إلى ترك أثينا ثم لجأ إلى مصر ، واستقر به المقام فى بلاط بطليموس الأول فى عام ٢٩٧ ق.م [٢٢] .

ساعد ديمتريوس الفاليرى بطليموس الأول فى تأسيس الموسيون Mouseion " دار العلم " والموسيون فى أصل نشأته Muses معبد التاسوع الإلهى لربات الفنون اللاتى كانت عبادتهن ترمز إلى التأمل والتفكير العلمى (٢٣) . وقد وصف سترابون الموسيون على الوجه التالى :

" تضم القصور الملكية هى الأخرى " الموسيون " الذى يشمل على ممشى وقاعة للمناقشات وفناء واسع كان علماء فقة اللغة يتناولون فيه طعامهم معاً ، كما توجد مخصصات عامة للأنفاق على هيئة العلماء وكاهن بعينه الملك للأشراف على " الموسيون " وهذا الكاهن بعينه " قيصر " فى الوقت الحاضر (٢٤) .

والهدف من إنشاء الموسيون فى أجمل أحياء الإسكندرية وأرقاها هو جعل الإسكندرية مدينة عظيمة تنافس مدينة أثينا فى العلوم والآداب والفلسفة ، فهو عبارة عن مركز أبحاث قد نشأ للعناية بالبحوث أكثر من التركيز على التعليم ، وتدل الأبحاث التى فى متناولنا حتى الآن على أن بطليموس الأول كان يهدف من وراء ذلك إلى توطيد مركزه ، فهو اعتبر حامى جسد الإسكندر الأكبر ومن المعروف أن أرسطو كان معلم الإسكندر ، ومدرسته كانت فى اللاوكيون و تخرج من هذه المدرسة ديمتريوس الفاليرى ، وبناء مدرسة على طراز لوكيون أرسطو فى الإسكندرية تشير إلى حماية علم الإسكندر عن طريق التقرب إلى أرسطو وبذلك تكون الإسكندرية ملاذ للعلماء (٢٥).

وضمن مجمع الموسيون وجدت المكتبة التى فاقت سمعتها سمعة ، دار العلم نفسه و الواقع أن المكتبة "Bibliotheke خزانة الثقافة " أعدت أول منظمة موحدة لاستعمال الكتاب وأهل الفكر ، وكانت أول مكتبة عامة فى العالم القديم على حد قول سترابون وأن تأسيسها فى الإسكندرية وجعلها تابعة " للموسيون " تعتبر خطوة هامة من الناحية الثقافية ، فقد اعتبرت النواة الأولى نحو ديموقراطية العلم التى تميز بها العالم الهللينستى (٢٦) .

وتشير معظم الدراسات الحديثة وتؤكد ان بطليموس الأول هو المؤسس الحقيقى للمكتبة ، لكن المصادر القديمة قد نسبت ذلك الفضل إلى ابنه بطليموس الثانى " فيلادلفوس " حيث أن الأخير قام بتطوير المكتبة حتى أصبحت أفضل كثيراً مما كانت عليه فى زمن بطليموس والده وحتى بلغت قمة مجدها ، مما جعل أمر التاسيس يشتبه على بعض المورخين ويجعلون بطليموس الثانى هو الؤسس الحقيقى للمكتبة ، ولقد اتفق الباحثون على أن المكتبة تأسست فى سنة ٢٨٥ ق. م على وجه التقريب (٢٧) .

وقد أطلق على هذه المكتبة عدة أسماء مثل الكبرى والرئيسية و أحياناً " المكتبة الأم " والتى تأسست فى حى البروخيوم Brucheium ومنه أخذت اسمها (٢٨) ولقد ارتبط تاريخ المكتبة برجال العلم والأدب الذين تعاقبوا على رئاستها Prostasia خلال العصور المختلفة ، فبالإضافة إلى ديمتريوس الفاليرى ، ووفقاً للمعلومات الواردة إلينا فى بردية وأوكسيرنخوس الشهيرة (٢٩) فتولتها الشخصيات التالية :

١- زينودتوس : Zenodotus of Ephesus

(ازدهر حوالى ٢٨٥ قبل الميلاد)

من المدينة افسوس على ساحل آسيا الصغرى ، وكان احد تلاميذ الشاعر فيليتاس من جزيرة كوس ، وكان ناقد لامع فهو أول من اخرج نسخة محققة ومنقحة من ملحمتى " الإلياذة " و" الأوديسية " لهوميروس بعد أن قارن عدة مخطوطات له ، وكذلك أخرج نسخة لقصيدة هيسيودوس " أنساب الألهة " (٣٠) .

وتذكر بعض المصادر التاريخية أن زينودوتوس كان أول رئيس للمكتبة Prostasia tes Bibliothekes وكان هذا المنصب يشغل من قبل الملك ، ويبدو أن شاغلى ذلك المنصب كان يختار من بين معلمي أمراء البيت المالك (٣١) .

٢ـ أبوللونيوس الرودسى (٢٩٥ ـ ٢١٥ ق.م) Apollonios of Rhodos :

ان أبوللونيوس هو الشاعر السكندرى الوحيد الذى ولد بمدينة الإسكندرية حوالى عام ٢٩٥ ق.م لكنه لقب بالرودسى لأنه امضى فترة طويلة من حياته فى جزيرة رودس ، ومن المحتمل أن هذه الجزيرة منحته حق المواطنة اعتزازاً به وبشهرته ، والأرجح أن تولى وشغل منصب رئاسة المكتبة خلفاً لزينودوتوس حوالى عام ٢٦٠ ق.م وظل يشغله حتى ارتقى بطليموس الثالث يورجيتيس العرش عام ٢٤٧ قبل الميلاد .

وأبوللونيوس هو مؤلف الملحمة المسماة (رحلة السفينة أرجو) الأرجوناوتيكا Argonautika وقد ألفها حوالى ٢٧٠ ق.م ولا تزال تقرأ حتى أيامنا ، كما ألف عدة قصائد عن تأسيس المدن مثل الإسكندرية وناوكراتيس وغيرهما وكذلك قصيدة بعنوان Kanobos [٣٢].

وفى عهد رئاسة " أبوللونيوس " لمكتبة الإسكندرية نظم الشاعر الغنائى " كاليماخوس " قوائم مكتبة الإسكندرية المشهور ، علماً بإن الأخير لم يتول رئاسة المكتبة ، وعلى الرغم من أننا لانعرف على وجه التأكيد كيفية تصنيف الكتب لكن بالاستناد إلى كتاب كاليماخوس المعروف باسم البيناكس Pinakes (القوائم) الذى يعتبر أهم أعماله [٣٣] ويعتبر هذا أول فهرس وأول عمل ببليوجرافى منظم فى التاريخ ، ولهذا يلقب كاليماخوس بأبى الببليوجرافيا ، ويتكون كتاب البيناكس من ١٢٠ مجلداً .

ويبدو ان الكتب فيه كانت مصنفة فى عشر مجموعات رئيسية :

١ـ الشعر	٢ـ المسرحية	٣ـ القانون
٤ـ الفلسفة	٥ـ التاريخ	٦ـ الخطابة
٧ ـ الطب	٨ ـ الرياضيات	٩ـ العلوم الطبيعية
١٠ـ المتفرقات		

كما قدم كاليماخوس لكل مؤلف نبذه عن المدارس التى تعلم فيها ثم يثبت مؤلفاته ثم بملاحظات حول صحة نسب الكتب إلى مؤلفيها ، وأخيراً يذكر عنوان الكتاب ومقدمته وعدد اسطره .

ولابد أن هذا الفهرس قد استخدمه العلماء والباحثين فى الموسيون وكان الأداة لاستخدام المكتبة ـ والسبب فى عمل هذا الفهرس راجع إلى كثرة اللفائف البردية (المجلدات) بالمكتبة وتشير بعض المصادر إلى أن كاليماخوس استطاع أن يكمل تسجيل ٢٠ % من محتويات مكتبة الموسيون (الإسكندرية) وبعد وفاته فى ٢٤٠ ق.م أكمل رسالته بعض تلاميذه من المكتبيين الذين أتوا من بعده وكان على رأسهم أرستوفانيس البيزنطى Aristophanes of Byzantium (١٩٦ـ ١٨٥ ق.م) ، واريستارخوس الساموثراقى Samothrace Aristarchos of [٣٤] .

٣ـ أراتوستينيس القورينى : **Eratosthenes of Cyrene**

(ازدهر حوالى ٢٣٤ ق.م)

وقد استدعاه بطليموس الثالث " يورجيتيس " لتولى هذه المهمة فى عام ٢٤٦ ق.م ، بعد ان ظل وقتاً يدرس فى مدينة أثينا ، وكان عالماً فى الرياضيات وعلم الفلك وعلوم اللغة بالاضافة إلى عدداً من القصائد الملحمية ، وكتب كتاب عن " الكوميديا القديمة " الذى لم يصل إلينا [٣٥] .

واهم اعمال أراتوسثينيس العلمية هما كتاباه فى الجغرافيا : وأولهما بعنوان " عن قياس الأرض " وفيه توصل إلى أعظم اكتشافات العالم القديم وهو قياس محيط الكرة الأرضية ، وقد اهتدى إلى ان محيط الكرة الأرضية يساوى ٦٦٢ ، ٢٤ ميلاً بفارق مائتى ميل عن محيطها الصحيح المعروف الآن ، ثانيهما " الجغرافيات " وهو مكون من ثلاثة كتب يبين المؤلف فى الأول خطأ مناهج من سبقوه فى الكتابة فى هذا المجال ، وفى الكتاب الثانى يشرح أراتوسثينيس نظرياته عن حجم الأرض وشكلها الدائرى وعن المحيطات وامتدادها ، أما الكتاب الأخير ففيه وصف جغرافى للأرض ومزود بخريطة للعالم المأهول بالسكان والمعروف على أيامه (٣٦) .

٤ـ اريستوفانيس البيزنطى : **Aristophanes of Byzantium**

(حوالى ٢٥٧ ـ ١٨٠ ق.م)

ولقد أخذ على نفسه عاتق نشر مؤلفات هوميروس وبنداروس وكتاب التراجيديا وأفلاطون فى طبعات علمية محققة ، وإلى جانب ذلك ألف كتاباً عن تدوين المعاجم Texeis وجمع مادتها ، وكتاب آخر فى علم النحو يشرح فيه ظاهرة القياس ، ويعتبر أرستوفانيس أول باحث علمى فى مجال الدراسات الأدبية وفى مجال تحقيق النصوص القديمة ونشرها فقد أوجد منهج علمى للعلامات المصاحبة للنطق ، كما بذل جهداً فى مجال تقنين العلامات المصاحبة للقراءة والتى تشتمل على علامات النقطة كعلامة للتوقف التام ، والنقطة العالية كعلامة على التوقف المؤقت ، والفاصلة وعلامة الاستشهاد أو الاحالة ويرمز لها بالنجمة ،إلى جانب علامتا التنفس أو النبرات التنفسية (٣٧)

٥ـ أبوللونيوس مؤلف الأنماط الأدبية : **Apollonius the Eidographos**

(ظهر قبل عام ١٨٠ ق.م) وهو كاتب غير معروف كثيراً ، من حيث التصوير الأدبي كان يدعى فى اليونانية " كاتب الأسوب " (٣٨) .

٦ـ أرستارخوس الساموقراقي : **Aristarchos of Samothrace**

(٢٢٠ ـ ١٤٥ ق.م)

لقد دون ارستارخوس تعليقات إضافية على أعمال الكتاب القدامى فيما يقرب من ٨٠٠ لفافة بردية وفى مجال علم النحو ارستاخوس أول من حدد أجزاء الكلام بثمانية : الاسم ، الفعل ، اسم الفاعل ، أو المفعول (المشارك) ، الضمير ، الأداة ، الظرف ، حرف الجر ، وأداة الربط .

وتعتبر النسخة التى أخرجها اريستارخوس للأشعار الهوميرية أكثر اتقاناً من نسخة زينودوتوس ، فكانت أكثر منها دقة من ناحية قواعد إخراج النصوص ، والتعليقات الإضافية لأعمال الكتاب القدامى والتى ضمت معلوماته ، تشهد على معرفته باللغة والنص معاً ، وأكدت أنه استحق لقب ، أبو البحث العلمى ، فى تحقيق النصوص ونقدها ونشرها (٣٩) .

وكدليل على أهمية منصب رئيس المكتبة Prostates فلقد أصبح تقليداً فى البلاط البطلمى أن يتولى أمر تربية أبناء الملك إلى رئيس المكتبة فقد تولى زينودوتوس تربية اولاد بطليموس الأول، وإشراف أبوللونيوس الروديسى على تربية بطليموس الثالث ، وعهد إلى إيراتوسثينيس بتربية بطليموس الرابع ، كما كان إريستارخوس معلماً لبطليموس الخامس (٤٠) .

كيفية الحصول على الكتب :

إن مكتبة الإسكندرية " خزانة الثقافة " لم تكن إلا جزءاً من موسيون " دار العلم " المدينة فالمكتبة كانت تعد بمثابة الأساس للموسيون، فمن البرديات التى فى داخلها عرف الباحثون تاريخ العلم الماضى ، وكانت الدافع الذى دعا إلى متابعة أبحاث أخرى فى كل ميدان من ميادين العلم . ويبدوا أن الملوك أدركوا هذه الحقيقة فعملوا على إثراء مكتبة الإسكندرية بالكتب والمخطوطات من شتى بلدان العالم المعروف (٤١) .

فقد وضع بطليموس الأول " سوتير " ميزانية ضخمة تحت تصرف ديمتريوس الفا ليرى لجمع مايمكن من كتب العالم سواء با لشراء أو بالنسخ ، وبذل قصارى جهده مايمكن لتحقيق رغبة الملك ، وعندما سأل كم من الكتب تم تجميعها ؟ فأجاب: أكثر من ٢٠٠ ألف كتاب، وسوف أبذل قصارى جهدى حتى يبلغ المجموع خمسمائة ألف كتاب (٤٢) .

ولقد استخدم البطالمة طرقاً ووسائل متعددة لتزويد مكتبتهم بالكتب والمخطوطات بعضها معروف لنا فى هذا العصر ، يذكر اثينايوس Athenaeus أن بطليموس الثانى " فيلادلفوس" كان يقوم بشراء الكتب من أسواق أثينا ورودس لمكتبة الإسكندرية . (٤٣) ويشير المرجونسون ومايكل هاريس (Elmer D.Johnson and Michael H.Harris)فى كتابهما (تاريخ المكتبات فى الغرب) أن بعضاً من كتب مكتبة آرسطو أو نسخا منها وصلت بطريقة أو بأخرى إلى مكتبة الإسكندرية (٤٤) .

إن بطليموس الثالث " يورجيتيس " كان شغوفا بالكتب لدرجة ان حكى عنه أنه اصدر أمرا بأن تحمل إليه الكتب التى فى حوزة جميع ركاب السفن الراسية (فى ميناء الإسكندرية) ،ثم بعد نسخها على ورق (بردى) جديد ان تعطى النسخ المنقولة إلى أصحاب هذه الكتب وأن تضم الكتب الأصلية إلى حوزته كى تودع فى المكتبات ، وكانت الكتب التى ترد عن هذا الطريق تعطى عنوناً خاصاً هو " من السفن " اما الكتب

الأخرى المدون عليها تصويبات او تعليقات فكانت تسمى " ذات التصويبات " أو تسمى باسم صاحبها فحسب ، ومـاان يفرغ الموظفون اتباع الملك من نسخ الكتب التى يتم الحصول عليها من جميع ركاب السفن وعنونتها باسم صاحبها او بمصدرها ، حتى يقومون بتخزينها فى المخازن ، حيث أنها لم تكن توضع مباشرة فى المكتبات فور الحصول عليها بل كانت تحفظ قبل ذلك على هيئة أكداس فى مخازن خاصة (٤٥) .

نستنتج مما سبق ذكره أن الكتب قبل إيداعها فى المكتبة كانت تحفظ لفترة فى المخازن الخاصة ، ثم تصنف بعد ذلك تصنيفاً مبدئياً وفقاً للمصدر التى وردت منه مثل الكتب التى أتت عن طريق السفن ، أو وفقاً للتصويبات المدونة عليها من صاحب التصويبات ومما لاشك فيه انه بعد إيداع الكتاب فى المكتبة كان يجرى تصنيفه مرة أخرى أبجدياً تبعاً لاسم المؤلف أو الموضوع ووفقاً للقوائم Pinakes كاليماخوس .

ويشير جالينوس ان بطليموس الثالث استعار أعمال كل من اسخيلوس ويوربيديس وسوفوكليس ونسخت فى مكتبة الإسكندرية بأفضل الطرق المتاحة فى هذا العصر ، وأمر بإبقاء الأصول لهذه الأعمال فى المكتبة وإعادة النسخ المنقولة إلى الأثينيين بعد أن دفع مبلغاً وقدره خمسة عشر تالنت من الفضة ، وهو الضمان المالى الذى قد دفعة فى مقابل أن يأخذ منهم أصول التراجيديات لمن سبق ذكرهم أعلاه من المؤلفين (٤٦) .

وهناك مايدل على اهتمام المشرفين على مكتبة الإسكندرية بالمؤلفات المدونة باللغات الأخرى غير الإغريقية أو الترجمة منها ، وبهذا الأسلوب فى حقيقة الأمر أزدادت حصيلة المكتبة من الكتب ، ويمكن أن نذكر المؤرخ والكاهن المصرى مانيثون السمنودى قد كلف من قبل بطليموس الثانى بتدوين تاريخ مصر القديم باللغة الإغريقية من البداية إلى عصر الإسكندر ، وقد قام بترجمته من سجلات ملوك مصر الفراعنة عن اللغة المصرية القديمة (٤٧) وهناك إشارة إلى أن هرميبوس Hermippos تلميذ

كاليماخوس ، ترجم إلى الإغريقية نصوصاً أدبية عن اللغة الفارسية [٤٨] ومن المحتمل أيضاً أن المكتبة كان بها كتاب تاريخ العراق القديم الذى ألفه بيروسيس Berosses كاهن الإله " بعل " كما يعتقد أنها ضمت مجموعة من الكتب الفينيقية مثل كتب ميتاندر الصورى ، وديوس هيباكراتس Dius Hypaicrates وغيرهم . كما يعتقد أنها حوت كتباً لبعض الهنود خاصة وأن ملك الهند اسوكا Asoka (٢٧٣-٢٣٢ ق.م) أرسل إلى بطليموس الثانى يدعوه لاعتناق البوذية [٤٩] .

ولدينا خطاب كتبه ارستياس Aristeas وهو يهودى كان يعمل فى خدمة الملك بطليموس السادس " فيلوميتور " (١٨٠ ــ ١٤٥ق.م) وقد أرسله إلى أخيه فيلوكراتيس Philokrates وقد ذكر كاتبه رغبة بطليموس الثانى فيلادلفوس " فى توثيق الروابط بين الإغريق واليهود وبناء على اقتراح ديمتريوس الفا ليرى ، أرسل إلى اليعازر Eleazar كبير كهنة أورشليم طالباً منه إرسال وفد من علماء الدين اليهودلترجمة العهد القديم (أشعار موسى الخمسة Penteteuch إلى اليونانية لتكون متاحة ليهود الإسكندرية . [٥٠] واختار اليعازر ٧٢ حبراً من الإثنتى عشرة قبيلة الى انحدر منها اليهود ، بواقع ستة أحبار من كل قبيلة ، ثم خصص لهم " فيلادلفوس " مكاناً منعزلا بجزيرة فاروس Pharos حيث أتموا الترجمة فى ٧٢ يوما ، ولهذا اشتهرت بالترجمة السبعينية. [٥١]

وجاء ذكر تلك القصة فى بعض المصادر التاريخية ومعظم المراجع الحديثة ، إلا انها تظهر رغبة بطليموس الثانى من جعل علوم العالم الأجنبى فى متناول أيدى العلماء الإغريق فى الإسكندرية وبلغتهم اليونانية .

مكتبة السيرابيوم :

ويطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى معبد الإله سيرابيس في حي راكوتيس Rhakotis (كوم الشقافة حالياً) التي وجدت فيه ، كما تسمي أحياناً " الفرعية " ، أو " الصغرى " ويطلق عليها مؤرخو المكتبات الغربيون المكتبة " الابنة " Daughter Library (٢٥).

كما سبق القول فإن المكتبة الرئيسية ازدهرت في عهد بطليموس الثاني وقد وصلت مجموعة المكتبة في نهاية حكم فيلادلفوس إلى ١٥٠٠ لفافة بردية ، بل إن إحدى الروايات توصلها إلى ٧٠٠ إلف لفافة " مجلد " أي بعد نصف قرن من إنشائها ضاق مبنى المكتبة الرئيسية في حي البروخيوم بما فيها من الكتب ، مما استوجب إنشاء مكتبة ثانية في معبد السيرابيوم ، عرفت بأسم المكتبة الابنة ، أو الصغرى ، تمييزاً لها عن المكتبة الكبرى ، وكان ذلك في فترة حكم بطليموس الثالث " يورجيتيس " (٢٤٦ ـ ٢٢١ ق.م) وقد زودت المكتبة الرئيسية المكتبة الصغرى " الابنه " بحوالي ٤٢ ألف لفافة " مجلد " من النسخ المكررة من المؤلفات التي كانت توجد في المكتبة الرئيسية في البروخيوم ولذلك يعتقد أن المكتبة الابنة في السيرابيوم كانت مجرد جزء من المكتبة الرئيسية ، وبذلك أتاحت هذه المكتبة الفرعية مكان في المكتبة الرئيسية للكتب الجديدة (٥٣) .

ويقوم مبنى المكتبة (الإبنة) على شكل ممرات سفلية نحتت في الصخر ومكسوة بالحجر الجيري (في المنطقة الغربية من عامود بومبي) وكانت الكتب وهي عبارة عن لفائف من البردي تحفظ في الفجوات الموجودة في جدرانها ، كما كان بها عدد من المقاعد ـ مازالت موجودة حتى الآن ـ كانت مخصصة للقراء . وقد أسست هذه المكتبة حوالي ٢٣٥ ق . م تقريباً ، وهي فترة حكم بطليموس الثالث ٢٤٦ ـ ٢٢١ ق.م وهي فترة رئاسة ايراتوسثينيس للمكتبة وفترة ازدهار اريستوفانيس البيزنطي (٥٤) .

وعلى أيه حال فقد ازدادت اهمية هذه المكتبة على مر الزمن وامتدت إليها الحركة العلمية حتى أن المحاضرات والدروس كانت تلقى فى أروقة معبد السيرابيوم وفى مبنى المكتبة وهذه المكتبة لعبت دورا هاما فى الحركة العلمية فى العصر الرومانى .

مجموعات المكتبة :

ويجب الإشارة هنا إلى مجموعات المكتبة التى ذكرها المورخين لكتب مكتبة الإسكندرية ، فقد اختلفت الروايات لعدد الكتب التى كانت تضمها كل من المكتبتين الرئيسية فى البروخيوم ، والابنة أو الصغرى فى السيرابيوم ، لكن اقرب من التقديرات إلى الحقيقة هو احتوائها فى نهاية حكم بطليموس الثانى إلى ٥٠٠ ألف لفافة بردية (مجلد) ويخبرنا **د . محمد حمدى إبراهيم** أن تزتزيس قال بإن المكتبة الصغرى كانت تضم ٤٢، ٨٠٠ كتابا (أى لفافة بردية) ، وبأن المكتبة الرئيسية كانت تحتوى على ٤٠٠،٠٠٠ ألف كتاباً (لفافة) اسماها Symmigeis (بمعنى مختلطة أو منوعة) وكذلك على ٩٠، ٠٠٠ الف كتاباً (لفافة) اسماها amigeis بمعنى غير مختلط ويستدل مما سبق على أنه كان بالمكتبة نوعين من الكتب إحداهما (مختلط) والثانية (غير مختلط أو مفردة) والمقصود بالمختلطة هى لفافة بردية تحتوى على عدة أعمال لمؤلف واحد او لأكثر من مؤلف أما الغير مختلطة او المفردة فهى لفافة بردية تحتوى على عمل واحد للمؤلف أو أجزاء من هذا العمل (٥٥) .

أما النص الثانى فهو لأحد الشراح القدماء لروايات ارستوفانيس وفى أحد هوامشه التى وجدت فى مخطوط عثر علية فى مكتبة روما ، وقد ترجمة الدكتور العبادى عن اليونانية كالآتى(٥٦) : -

" لان ذلك الملك بطليموس ، الذى كان على معرفة بالفلاسفة وغيرهم من المؤلفين المشهورين ، بعد أن اقتنى الكتب - ودفع ثمنها من الاموال الملكية - من أرجاء

العالم قدر المستطاع ، إنشاء مكتبتين واحدة خارج القصر (مكتبة السيرابيوم) والأخرى داخل القصر (المكتبة الملكية) وكان بالمكتبة الخارجية ٤٢ ، ٨٠٠ مجلداً ، وفى مكتبة القصر ٠٠٠ ، ٤٠٠ مجلداً مختلطاً و ٠٠٠ ، ٩٠ مجلداً مفرداً ومختصرات ، كما ذكر كاليماخوس أحد رجال القصر ورئيس المكتبة الملكية وايراتوستينيس رئيس المكتبة ذاتها من بعده بقليل " .

وترجع أهمية النص إلى ان كاتبة يستمد مادته من على لسان كاليماخوس الذى كان رئيساً للمكتبة وأعلم الناس بمحتوياتها ، ويستدل من هذا النص انه كان بالمكتبة ٨٠٠ ، ٥٣٢ مجلداً على وجه التحديد ، بل أن إحدى الروايات توصلها إلى ٧٠٠ إلف لفافة (مجلد) أثناء حريق المكتبة وقت حرب الإسكندرية الأهلية التى شنها يوليوس قيصر على الإسكندرية فى عام ٤٨ ق.م. (٥٧)

لابد من الإشارة إلى أن لفظ كتاب أو مجلد يعنى لفافة بردية وليس بمفهوم الكتاب المعروف لنا فى الوقت الحاضر ، فقد كان ورق البردى يصنع على شكل لفائف طويلة تنتهى عادة بأسطونة خشبية تلف عليها عند طرفيها ، وكانت هذه اللفائف محددة الطول ، وربما كانت أطول اللفائف البردية التى عثر عليها تبلغ حوالى ٣٥ قدماً ، أما اللفافة العادية فيبلغ طولها حوالى ٢٠ قدماً ، وعادة اللفافة المفردة كتاباً واحداً أما اللفافة المجزأة فتضم عدة مجلدات ، ولعل هذا هو السبب فى تقسيم المؤلفات القديمة إلى كتب ، فالإلياذة والأوديسية على سبيل المثال تنقسم كل منها إلى ٢٤ كتاباً بمعنى أنها كانت مدونة على ٢٤ لفافة بردى ، ومن المعروف ان الكتابة على لفافة البردى تتم ـ فى اغلب الأحيان ـ على وجه الورقة Recto الذى وضعت فيه الشرائح أفقياً ، ومن النادر أن يكتب على ظهر الورقة Verso حيث تكون الشرائح راسية (٥٨) .

إلى جانب ورق البردى فقد كان الرق Parchment من اهم مواد الكتابة فى العصر الهللينستى ، فقد تم التوصل ، فى مدينة برجامون إلى أسلوب جديد لمعالجة الجلود بحيث استخدمت كمادة جديدة للكتابة ـ يكتب عليها من الوجهين ــ بدلاً من ورق البردى الذى كانت عليه من جهة واحدة فقط ، ويرجع الفضل فى هذه الطريقة الى مدينة برجامون ، لدرجة أن الرق اشتق من اسم برجامون اسم Perhmine أو Parchment للدلالة على الرق. (٥٩)

وكان الجلد العادى مستخدماً فى حضارات الشرق الأدنى القديم كمادة للكتابة قبل أن يتم التوصل إلى إنتاج الرق ، فاستعمله المصريون القدماء وسكان بلاد مابين النهرين ابتداء من القرن الخامس عشر قبل الميلاد وقد أستعمله بنى إسرائيل بشكل خاص لكتابة أسفارهم المقدسة فاستعمال جلود الماشية كان معروفاً حتى ان اليونانيون أطلقوا علية اسم diphterai . (٦٠)

وفى الواقع لم يبدأ تجهيز الجلد تجهيزاً يجعله مادة صالحة للكتابة إلا فى القرن الثالث قبل الميلاد ، ولم يقم بدور يذكر قبل القرن الثانى قبل الميلاد وفى فترة حكم الملك ايومينيس الثانى (١٩٧ ــ ١٥٩ ق.م) وبعد أن أوقف بطليموس الخامس " إبيفانس " (٢٠٣ ــ ١٨٠ ق.م) تصدير ورق البردى إلى مدينة برجامون نتيجة للمنافسة بين الطرفين . (٦١)

أما ورق البردى الذى فرض نفسه كمادة للكتابة ، وكان رخيصاً نسبياً لكن الرق كانت له أفضلية فكان مادة متينة يمكن أن تصمد فى وجه الزمن وأنتجه فقط من يملك الحيوانات الصغيرة ، ولذلك كانت مصاريف إنتاج الرق أكبر بكثير بالمقارنة مع ورق البردى ، كما انه كان من الصعب تلبية حاجات السوق المتزايد من هذه المادة ، وبناء علية بقى الرق عاجزاً عن منافسة ورق البردى (٦٢) .

مكتبة الإسكندرية ومكتبة برجامون :

كانت مكتبة الإسكندرية أهم مكتبة وأشهر مكتبة فى العصور القديمة ، ولكنها ليست أقدمها أما المكتبة الثانية من حيث الأهمية فى العصر الهللينستى فقد كانت مكتبة برجامون ، فمن المعروف ان الاتاليين ـ شأنهم شأن البطالمة ـ انفردوا بالحكم فى آسيا الصغرى بعد وفاة الاسكندر الأكبر واصبحت برجامون عاصمة لهم ، وقد أسس مكتبة برجامون اتاللوس الأول " سوتير" (٢٤١ ـ ١٩٧ ق.م) التى ازدهرت فى عهد وريثة إيومينيس الثانى (١٩٧ ـ ١٥٩ ق.م) الذى أوجد لهذه المكتبة مبنى جديد ووفر لها الدعم حتى اصبحت مركز للنشاط العلمى والأدبى (٦٣) .وبفضل الاكتشافات الأثرية التى تمت فى الفترة الأخيرة فقد أصبحنا نعرف مظهر هذه المكتبة فقد كانت هذه المكتبة تقع فى القسم الشمالى من معبد الإلهة أثينا بولياس Athena Polias فهى تتكون من أربع قاعات ، القاعة الرئيسية وكانت تتميز بالعظمة ، وكانت الكتب موزعة على الرفوق الموضوعة على جدرانها وفى وسطها كان يوجد تمثال ضخم للإلهة اثينا ، تلك القاعة كانت توجد بها أيضا تماثيل للكتاب والشعراء القدامى (٦٤) والمكتبة فى برجامون اسست على نمط مكتبة الإسكندرية ولكى تنافسها ، وعندما شعر الملوك البطالمة بهذه المنافسة ، فقد قرروا منع تصدير ورق البردى المادة الرئيسية للكتابة كمحاولة منهم لتحجيم مكتبة برجامون ويجدر بنا الإشارة إلى رواية ربما لعبت دوراً فى حظر تصدير البردى إلى مكتبة برجامون تفيد إلى ان بطليموس الخامس " ابيفانس " (٢٠٣ ـ ١٨٠ ق.م) اتهم ملك برجامون إيومينيس الثانى بإغراء رئيس مكتبة الإسكندرية أرستوفانيس البيزنطى (الذى عمل فى مكتبة الإسكندرية من ١٩٧ ـ ١٥٨ ق.م) للحضور إلى مملكة برجامون للعمل فى مكتبتها ، وأن أمر هذه الدعوة اكتشف ومنع تصدير البردى اليها (٦٥).

وفى الواقع إن ملوك برجامون منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد جذبوا إليها مجموعة من الدارسين والعلماء إلا انهم لم يتمكنوا من ان يجمعوا عددا كبيراً كما فعل البطالمة ، من ناحية أخرى أهتم الفلاسفة والعلماء فى مكتبة برجامون بتحقيق الدراسات العلمية فبرعوا فى الدراسات اللغوية ، وكان أعظم علمائها النحوى الدبلوماسى كراتس من ماللوس Mallos الذى كان معاصرا لاريستارخوس، والذى ربما كان رئيساً لمكتبة برجامون لفترة من الزمن .

وقام كراتس ، مدير مكتبة برجامون ، بتأليف فهرس للمكتبة فى القرن الثانى قبل الميلاد ، كما وضع فهرساً آخر مكتبة فى رودس حوالى ١٠٠ قبل الميلاد ، ولقد كتب أرتمون من كاسندرا مؤلفاً من هذا النوع ومألفة سجلا دقيقاً من ١٢ مجلداً تحتوى على مؤلفات اهم معاصرية من الكتاب ، ولقد وزع بيلون الؤلفين فى مجموعات حسب التخصصات ، فقد أراد من عملة ان يكون دليلاً ببليوجرافيا من سوق الكتاب حينئذ .

ودفع هذا العمل كاتب آخر هو تيليجوس من برجامون أن ينجز مؤلفا فى ثلاثة مجلدات يحوى على قائمة نقدية تتضمن الؤلفين مع مؤلفاتهم كما انجز تيليجوس مؤلفاً ببليوجرافياً عن حياة كتاب المسرحيات ، إن ظهور المراجع البيد ببليوجرافيا بهذا الشكل يدل على ازدياد الحاجة إلى المعلومات فى المكتبات (المراكز الثقافية) فى شرق المتوسط (٦٦) .

وعلى آية حال يبدوا أن المنافسة بين مملكتى البطالمة وبرجامون قد انتهت بفعل التغيرات السياسية التى حصلت فى كلا البلدين ، ففى دولة البطالمة حدثت الانقسامات والخلافات مما دفعت بطليموس الحادى عشر " الزمار" اللجوء إلى روما لإعادته على عرش البلاد ، أما فى مملكة برجامون فبعد وفاة اتاللوس الثانى فى عام ١٣٨ ق.م وتنازل عنها اتاللوس الثالث للشعب الرومانى فى ١٣٣ ق.م ، أما نهاية العلاقات بين الإسكندرية وبرجامون فتتمثل فى القصة التى رواها بلوتارخوس ومفادها ان ماركوس انطونيوس اخذ ٢٠٠ الف لفافة (مجلد) من مكتبة برجامون وأهداها إلى كليوباترا ملكة

مصر كتعويض عن الضرر الذى ألحقه يوليوس قيصر بمكتبة الإسكندرية فى عام ٤٨ ق.م (٦٧) .

يوليوس قيصر وحريق مكتبة الإسكندرية :

تناول موضوع نهاية مكتبة الإسكندرية الكثير من الكتاب والباحثين لا إنها أهم مكتبة فى العالم القديم ، بل للظروف والملابسات التى أحاطت بتلك النهاية ، فهناك الكثير من الدلائل تشير إلى أن المكتبة الأم او الرئيسية فى حى البروخيوم قد دمرت كليا نتيجة للحريق الذى أحدثه يوليوس قيصر فى الأسطول المصرى الراسى فى الميناء فى عام ٤٨ ق.م فامتدت النيران إلى دار الصناعة وماجاورها من المبانى ، والتى كان من بينها جزءآ كبيرا من المكتبة الرئيسية ، ويؤكد ذلك ماوصلنا من المؤرخين القدامى ، منها :

١) قال سينيكا الفيلسوف (٤٠ ق.م ـ ٦٥ ق.م) فى مؤلفة " حرق فى الإسكندرية اربعون ألف مجلد " (٦٨) .

٢) قال لوكيانوس (٣٩ ـ ٦٥ م) فى كتابة الأخير عن الحرب الأهلية ، والأيام التى أمضاها قيصر فى مصر ، مايلى :

" لم تأت النيران على السفن وحدها ، وإنما امتدت إلى المنازل المجاورة للبحر ، وعادت الرياح على انتشار ألسنة اللهب فسرت فى سرعة كأنها النيازك والشهب " (٦٩)

٣) بلوتارخوس المؤرخ الإغريقى (٤٦ ـ ١٢٠ م) يقول ، وهو يترجم لقيصر " أن ألسنة النيران امتدت من أرصفة الميناء ، والتهمت المكتبة الكبرى " (٧٠) .

٤) لوكيوس فلوروس الذى تحدث فى كتابة الثانى عن إحراق السفن ولكنه لم يشر إلى حريق المكتبة . (٧١)

٥) اولوس جليوس (حوالى ١٢٣ـ ١٦٩ م) يقول فى آخر الكتاب السابع من " الليالى الإتيكية"مايلى : " كدس البطالمة فى مصر كميات هائلة من الكتب ، تقدر بنحو سبعمائة ألف مجلد ، لكن هذه الكتب جميعاً أحرقت أثناء النهب الذى تعرضت له الإسكندرية خلال الحرب الأولى ، ولم يكن ذلك عمداً، وإنما كان حدثاً عارضا (٧٢) .

٦) ديون كاسيوس البيثينى (حوالى ١٦٥ - ٢٣٥ م) قال " اشتعلت النيران فى اماكن كثيرة ، فالتهمت أحواض السفن ومخازن الغلال والكتب التى يقال إنها كانت عديدة وقيمة (٧٣) .

٧) اميانوس ماركيللينوس (النصف الأخير من القرن الرابع الميلادى) قال " وكان المعبد يحتوى على عدد من المكتبات ، وتؤكد الراويات القديمة أن سبعين ألف مجلد من المجلدات التى جمعها البطالمة قد أحرقت أثناء نهب المدينة أيام الدكتاتور قيصر" (٧٤) .

٨) أما المؤرخ اورسيوس (القرن الخامس الميلادى) فيقول " أن النيران التى أشعلت قيصر فى الإسطول قد امتدت إلى الشاطئ ، حيث التهمت أربعين ألف مجلد تصادف وجودها فى الأبنية المجاورة " (٧٥) .

ورغم هذه الأقوال فى المصادر التى تؤكد صحة هذه الرواية إلا أنها لم تسلم من الشك والتنفيذ ولعل عنصر الحقيقة فيها أن الحريق قد أصاب المكتبة بخسائر ، ومن المحتمل أن تكون هذه المؤلفات هى التى امتدت إليها الحريق ، ولعل هذا يفسره ــ وهو الأقرب إلى الصواب فى رأى الكاتب ــ أن يوليوس قيصر (حوالى ١٠٤ - ٤٤ ق.م) كانت لدية خطة لاقامة اول مكتبة إغريقية لاتينية عامة كبيرة تحت إشراف الكاتب الموسوعى " فارو " لكن الموت هو الذى لم يهمله تنفيذ مشروعة ؟

ويعتمد مؤرخو المكتبات والباحثون على كتابات المؤرخين القدامى ــ سالفى الذكر ــ ويشيرون إلى ان الحريق قد حدث لكنهم يحاولون إيجاد مبررات قد لاتكون مقنعة ، وعلى سبيل المثال ، المرجونسون ومايكل هاريس فى كتابهما (تاريخ المكتبات في العالم الغربى) يعتمدان على أقوال ديون كاسيوس ويشيران إلى أن الكتب أو بعضها احترقت فى أحد المستودعات التى كانت مخزنة فيها وليست المكتبة نفسها. (٧٦) ويشكك مايكل هاريس فى كتابه تاريخ المكتبات فى العالم الغربى أن تكون النار قد طالت المكتبة نفسها لبعدها عن مكان اندلاع الحريق (٧٧) اما الدكتور العبادى مكتبة الإسكندرية القديمة فيقول انهم يتحرجون من القول أن يوليوس قيصر ـ حتى على غير قصد منه قد تسبب فى تدمير واحد من أكبر معالم الحضارة مثل مكتبة الإسكندرية ويعتمدون فى ذلك بقولهم " أن صمت قيصر أبلغ دليل على عدم حدوثه " (٧٨) .

ولعل الأقرب إلى الصواب أن المكتبة الرئيسية فى البروخيوم قد طالها الحريق وقد أصابها بخسائر ، لكن يبدوا أن التدمير لم يكن كاملاً ولعل هذا ـ مايفسر لنا ـ السبب الذى جعل ماركوس انطونيوس بعد مصرع يوليوس قيصر ــ يهدى الملكة كليوباترا ــ ٢٠٠،٠٠٠ لفافة من كتب مكتبة برجامون (٧٩) .

كما أن المؤسسات العلمية والمكتبات فى الإسكندرية بقيت تؤدى عملها فى الفترة الرومانية ، بدليل نشاط الباحثين المتأخرين من امثال ديديموس Didmos وتريبون Trypon وثيون Theon فهو يظهر بوضوح انه كان تحت تصرفهم عدد وفير من المجلدات فى التخصصات المختلفة ، كما يدل على ان مكتبة الإسكندرية استطاعت تعويض خسارتها (٨٠) .

وبقدوم القرنيين الثالث والرابع الميلاديين تلزم المصادر الصمت عن مكتبة الإسكندرية والموسيون ودار العلم ، ولعل ذلك مرجعة إلى الدمار الذى حل بالمدينة

وبحى البروخيوم ، كان اولها فى عهد الإمبراطوركاراكلا (٢١١ ــ ٢١٧ م) فلقد قتل هذا الإمبراطورية كثيراً من سكان مدينة الإسكندرية أثناء زيارته لها فى ٢١٥ م وهدم الكثير من المبانى ، وألغى مكافات وامتيازات علماء الموسيون وعاملهم بقسوة [٨١] ولم تكن فترة حكم اوريليانوس (٢٧٠ــ ٢٨٥ م) بأحسن حالاً من فترة حكم كاراكلا . فعندما اتى لقمع ثورة " فرموس " التاجر السيلوكى فى الإسكندرية فى عام ٢٧٢ م احرق جزءا كبيراً من المدينة ونا ل حى البروخيوم بنصيب وافر من الدماروالخراب ، كما دمرت حوائط المدينة الشرقية ، التى كانت تجاوز ذلك الحى الراقى ،كان هذا التدمير من القساوة حتى أن علماء الموسيون فروا إلى خارج البلاد ، أما البقية الباقية فقد لجأت إلى معبد السيرابيوم [٨٢] .

نهاية مكتبة السيرابيوم :

لقد ازدادت اهمية مكتبة السيرابيوم بعد اختفاء المكتبة الرئيسية الملاصقة للموسيون ، ولاشك ان هذه المكتبة تمتعت بالحماية من الأحداث السالفة الذكروذلك لأنها كانت مقامة داخل أسوار معبد السيرابيوم معقل الفكر والثقافة الوثنية ، الذى أضفى عليها بالهيبة والاحترام ، لكن ذلك بدأ يزول تدريجياً مع انتشار الديانة المسيحية الجديدة ، وفقدت المعابد الوثنية هيبتها حيث أصبح الدين المسيحى ديناً رسمياً للبلاد .

ففى القرن الرابع امتدت الحركة المسيحية واعتبرتها الدولة ديناً رسمياً للبلاد ، وكنتيجة لذلك بدأ الصراع يحتدم وكان لابد من انتقام المسيحيين ممن اضطهدوهم من قبل ومحاربة الوثنية .

ففى سنة ٣٦٦ م يقال أن المسيحيين هدموا معبد القيصرون ودمروا مكتبته ، وقد بلغت حملات الاضطهاد ذروتها فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٧٨ ــ ٣٩٥) عندما قام أسقف البطريرك الإسكندرية ثيوفيلوس (٣٨٥ ــ ٤١٢)

باستصدار أمرا فى ٣٩١ بهدم معبد السيرابيوم المعقل الرئيسى للوثنية فى الإسكندرية ، وتذكر الرويات انهم أو أوسعوا المعبد حرقاً وتدميراً وسلباً ونهباً ثم حولوا المعبد إلى كنيسة (٨٣) والسؤال الأن : هل دمرت المكتبة مع المعبد ام لا؟

وللإجابة على هذا السؤال نجد ان هناك اختلافات فى الرأى بين المؤرخين حول مصير هذه المكتبة .

فبعضهم يعتقد ان نهاية المعبد تعنى أيضاً نهاية مكتبته . وآخرون يتبنون وجهة نظر مغايرة تماماً ومن تلك الآراء ما ذكره شعبان خليفة فى كتابة الكتب والمكتبات فى العصور القديمة ، حيث قال : " أن كتب المكتبة أرسلت إلى روما والقسطنطينية حيث كان الإمبراطور ثيودوسيوس يهتم بجمع الكتب لإنشاء مكتبة العظيمة " (٨٤) وسواء دمرت المكتبة مع المعبد أو نقلت كتبها إلى روما والقسطنطينية فالنتيجة واحدة وهى انه فى عام ٣٩١ لم يعد للمكتبة وجود .

المسلمون وحريق مكتبة الإسكندرية :

تؤكد الدراسات أن مكتبة الإسكندرية (الرئيسية والابنة) قد انتهت نهاية مفجعة كما اوضحت عن طريق الحريق ، ولكن هناك رواية أخرى تنسب إلى العرب المسلمين الاتهام بحرق مكتبة الإسكندرية ، عندما كان عمروبن العاص والياً على مصر من قبل الخلفية عمر بن الخطاب " رضى الله عنه " .

وبداية هناك اختلافات بين المؤرخين فيمن أورد هذه التهمة اولا فيرى لوتشيانو كانفورا فى كتابة " اختفاء مكتبة " (٨٥) يستند فى نسب الحريق إلى عمرو بن العاص على ماكتبه المؤرخ عبد اللطيف البغدادى المولود سنة ٥٥٧ والمتوفى ٦٢٩ هـ فى " الإفادة والاعتبار " وابن القفطى المولود سنة ٥٦٥ والمتوفى ٦٤٦ هـ فى " أخبار

العلماء بأخبار الحكماء " كما نقلها أبو الفرج المالطى (المعروف بابن العبرى) المولود سنة ٦٢٢ هـ والمتوفى ٦٨٤ هـ ، فى " مختصر الدول " .

وعبد اللطيف البغدادى طاف بمصر وكتب آثارها فى نهاية القرن السادس الهجرى ويقول حول هذا الموضوع فى كتابة " الإفادة والاعتبار والأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر " مايلى :

" ورأيت أيضاً حول عمود السوارى من هذه الأعمدة بقايا صالح وبعضها مكسور ، ويظهر من حالها إنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف وعمود السوارى عليه قبة هو حاملها ، وأرى انه الرواق الذى كان يدرس فيه ارسطوطاليس وشيعته من بعده ، وانه دار العلم التى بناها الاسكندر حين بنى مدينته وفيها كانت خزانه الكتب التى احرقها عمرو بن العاص بإذن عمر رضى الله عنه "

ومما ورد فى نص البغدادى يتضح الآتى : ـ

- أن ارسطو لم يحضر إلى الإسكندرية وانه توفى ٣٧١ ق.م قبل تأسيس مدينة الإسكندرية .
- ويبدو ان الأمر اختلط علية فجمع بين مدرسة ارسطو المعروفة با للوكيون Lykeion فى أثينا وبين الموسيون فى الإسكندرية وكلاهما ذو أروقة معمدة .
- وأن الاسكندر الأكبر لم يؤسس " دار العلم " الموسيون فى الإسكندرية ، بل الذى أمر ببناء الموسيون بطليموس الأول " سوتير" فى ٢٨٥ ق .م واكتمل البناء فى عهد بطليموس الثانى " فيلادلفوس " كما إشرنا من قبل (٨٦) .

وهكذا يتضح أن رواية عبد اللطيف البغدادى التى استشهد بها بعض المؤرخين الغربيين تفتقر فى جوهرها إلى الصحة .

اما القفطى الذى عاصر البغدادى ، فيعتقد انه اول نص للقصة ورد فى المصادر العربية هو نص القفطى فى معجم تراجم للفلاسفة بعنوان " تاريخ الحكماء " الذى ذكرفيه القصة عرضاً وذلك عندما تعرض لتعريف يحيى النحوى ، وتتلخص الحكاية فى انه وقت الفتح (عمرو بن العاص للإسكندرية) أن يحيى النحوى دخل على عمرو يوما وقال " انك قد أحطت بحواصل الإسكندرية وختمت على الأجناس الموجودة بها ، فأما مالك به انتفاع فلا أعارضك فيه مالا انتفاع لك به فنحن أولى به فقال له عمرو : ومالذى تحتاج إليه ؟ قال : كتب الحكمة فى الخزائن الملوكية فاستنكر عمرو ماذكره يحيى وعجب منه وقال له لا يمكننى أن آمر فيها إلا بعد استئذان امير المؤمنين عمرو بن الخطاب ، وكتب إلى أمير المؤمنين وعرفة بقول يحيى ، الذى ذكر واستأذنه ما الذى يصنعه فيها ، فورد علية كتاب عمر يقول فيه : وأما الكتب التى ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففى كتاب الله عنه غنى ، وإن كان فيها مايخالف كتاب الله ، فلا حاجة إليه ، فتقدم بإعدامها " فشرع عمرو بن العاص شفى تفرقتها على حمامات الإسكندرية وإحراقها فى مواقدها ، فاستنفدت فى ستة أشهر فأسمع ماجرى وأعجب (٨٧) .

" ويميل كثير من الكتاب الغربيين بشكل عام إلى تصديق رواية القفطى ومن بين من تناول هذا الأمر الذين يميلون إلى تصديقها المرجونسون ومايكل هاريس فى كتابهما " تاريخ المكتبات فى العالم الغربى " (٨٨) وهذا ماذهب إليه أخيراً الكاتب الإيطالى لوتشياذوا كانفورا فى كتابة " اختفاء المكتبة " (٨٩) لنفى تهمة إحراق مكتبة الإسكندرية عن أجداده الرومان وإلصاقها بالعرب .

أما أبا الفرج ابن هارون الملطى الشهير بابن العبرى مؤلف كتاب " تاريخ مختصر الدول " فقد نقل نقلاً حرفياً وإن كان لخص نصه وبدون أى تعليق أو تحليل .

براءة المسلمين :

تلك هى أذن اهم الأدلة التى يميل أصحابها إلى تصديق أن العرب المسلمون حرقوا مكتبة الإسكندرية ، أما الذين يرون أن العرب أبرياء من هذه التهمة فأنهم يقولون فى هذا الصدد مايلى :

١) ان العرب عندما دخلوا الإسكندرية سنة ٦٤٢ م لم تكن المكتبة الرئيسية فى البروخيوم أو المكتبة الابنة فى السيرابيوم أو حتى مكتبة معبد القيصرون موجودة ، ولو كانت موجودة لذكرها المؤرخون العرب المعاصرون للفتوحات من أمثال البلاذرى وابن الحكم واليعقوبى ، ولو أن هذه المكتبة كانت موجودة عند فتح العرب للإسكندرية فإن الهدنة التى عقدت بين المسلمين والمقوقس عظيم الأقباط فى شروط الصلح كانت تتيح للروم نقلها حيث أنه سمح لهم من نقل متاعهم وأموالهم فى مدة الهدنة وكانت المدة كافية لنقل مكتبة .

٢) أن يحيى النحوى الذى ذكره القفطى كان يقوم بالكتابة من سنة ٥٤٠ م فمعنى ذلك انه عند افتتاح المسلمين لمصر سنة ٦٤٢ م لم يكن موجوداً على قيد الحياة وان كان حياً لكان عمرة يصبح حوالى ١٢٠ سنة وهذا يكاد يكون مستحيلاً ؟

٣) إن المؤرخين الذين عاشوا فى القرنيين الخامس والسادس الميلاديين فترة الفتح الإسلامى لمصر لم يذكروا شيئا عن مكتبة الإسكندرية ومنهم روفينوس Rufinus ، وافثونيوس Aphthonius ، أورسيوس Orsius وكلهم أشاروا إلى الصراع بين الوثنية والمسيحية كما أشاروا إلى هدم معبد السيرابيوم .

٤) لم يذكر حرق مكتبة الإسكندرية فى كتابات المؤرخين الذين عاشوا فى فترة الفتح العربى ، ومنهم المؤرخ الأديب يوحنا النيقوسى ، الذى كان

يكتب فى أواخر القرن السابع للميلاد ، بل أن المؤرخين يوحنا مسكوس وسوفرونوس زارا مصر قبل الفتح الإسلامى وتحدثنا كثيراً عن المكتبات الخاصة بالإسكندرية ولم يذكر شيئاً عن المكتبة الرئيسية أو مكتبة السيرابيوم مما يدل عدم وجودها فى ذلك الوقت .

ولم تكن مكتبة الإسكندرية ـ الرئيسية والابنة ـ هى الوحيدة التى وجدت فى مصر اللهللينستية ، فقد وجدت فى مصر مكتبات أخرى عديدة وكان لها نصيبها من اهتمام الملوك ، فقد وجدت أيضاً مكتبات المعابد إلى جانب المكتبات الخاصة فاستمرت المعابد المصرية تؤدى دورها العلمى والدينى للمصريين الذين ظلوا متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم ، ومن خلال المعلومات القليلة التى وصلت إلينا يمكن أن نذكر أسماء بعض هذه المكتبات :

١ـ مكتبة القيصرون	٢ـ مكتبة معبد الإله خنوم
٣ـ مكتبة معبد الإله بتاح	٤ـ مكتبة معبد الآلهة إيزيس
٥ـ مكتبة معبد الإله خنسو	٦ـ مكتبة بيت الحياة بقفط
٧ـ مكتبة معبد دندرة	٨ـ مكتبة معبد إدفو

اما بالنسبة للمكتبات الخاصة فنذكر منها مكتبة " زينون الفيلادلفى " حيث عثر فى أنقاض بيت كان يملكه فى بطوليمايوس على بقايا مكتبة احتوت على بعض البرديات للأعمال الأدبية اليونانية مع بعض السجلات الشخصية ، كما عثر على مجموعات متشابهة فى كل من المدن الأتية : الفيوم ـ نيوقراطيس ـ ممفيس ـ طيبة ـ وكوم اسبو ـ ...... وغيرها (٩٠) .

الحواشي

(١) Nissen Hans Jforg ، Archaic Bookkeeping : Early Writing and Techniques of Economic Administration in the Ancient Near East ، translated by Paui Larsen and Robert K،Englund ، University of Chicago Press ، 1993 ،،P،،13 ff .

(٢) Knowlton Jack & Barton Harriett.,Books and Libraries, Harper Collins, 1991 . pp. 7ff .

(٣) الكسندر ستبتفيتش ، تاريخ الكتاب ، عالم المعرفة ١٦٩ ، القسم الأول ، الكويت ١٩٩٣ ، ص ٢٤ـ ٢٧ .

(٤) الفرد هيسيل ، تاريخ المكتبات ، ترجمة د . شعبان عبد العزيز خليفة ، الرياض ، دارالمريخ ، ١٩٨٠ ، ص ٢_٣ .

(٥) Johnson Elmer D.and Harris Michael H،History of Libraries in The Western World ،The Scarecrow Press ، 1976 ،، pp ، 27ff ..

(٦) السيد السيد النشار " دراسات في تاريخ الكتب والمكتبات " ، دار الثقافة العلمية ، الأسكندرية ١٩٩٨ ، ص ٧٧ ..

(٧) Canfora Luciano ، La biblioteca Scomparsa ،Palermo 1998 ،،p.86, p.169 .

(٨) عن هذه القوائم أنظر : السيد السيد النشار ، كتاب سابق ، ص ١٥٤ _ ١٥٧ .

(٩) Classical Oxford Dictionary ." Alexander (3) The Great " Third Edition ، Oxford Uni ، press ، 1996 ، pp ، 57 – 58

(١٠) Pfeiffer R،،op.cit ، p، 159

(١١) الكسندر ستيبتشفيتش ، كتاب سابق ، ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .

(١٢) أحمد عتمان ، عالم الكتب والمكتبات في العصر الإغريقي الروماني ، مجلة البيان ـ ١٦٧ ، الكويت ١٩٨٠ ، ص ٨٨ .

(١٣) Strabo ، XIII ، 1 ،54 .

(١٤) Harris Micharl H.، op، cit ،،pp، 41_42

(١٥) الكسندر ستيبتشفيتش ، كتاب سابق ، ص ١٣٢ ، أنظر : شعبان خليفة ، كتاب سابق ، ص ١٩٧ ، الذي يقول " إن بقايا هذه المكتبة يمكن رؤيتها في شارع ابولوس في أثينا ، وانها ماتزال تأخذ بالألباب " وأنظر : الفرد هيسيل ، كتاب سابق ، ص٨ .

(١٦) Ibid ، p، 50

(١٧) شعبان خليفة ، كتاب سابق ، ص١٦٣ .

(١٨) الكسندر ستيبتشفيتش و كتاب سابق ، ص ١٣٢

(١٩) أحمد عتمان ، المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٢١) مصطفى العبادى ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٠

Cf. M.EL .Abbadi ، The life and fate of the ancient library of Alexandria ، Unesco \ UNDP ، 1990 ، P ، 79

(٢٢) Andrew Erskine ، " Culture and power in Ptolemaic Egypt " The Museum and Library of Alexandria ، in Greece and Rome Oxford UniPress ، Second Series ، vol ، XLII ، 1995 ، PP، 38 - 48

(٢٣) محمد حمدى إبراهيم ، الأدب السكندرى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٥ ص ٣٥ ـ ٣٩ .

(٢٤) Strabo .، 17 . 1. 8 (Geographika ، 794) .

(٢٥) Andrew Erskine ، op. cit .، p . 47

(٢٦) انظر حاشية رقم (٢٢)

(٢٧) سعد بن عبد الله الضبيعان ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، " لمحة تاريخية " مجلة العصور ، المجلد الرابع ـ الجزء الأول ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .

(٢٨) Mostafa EL Abbadi " The Great Library and Mouseion : Intellectual Center of the World " Alexandria the site and the history Mobil Oil Egypt (Franco Maria Ricci) 1992 ،، p، 83..

(٢٩) P.Oxy .، X(1914) No . 1241

(٣٠) R.Pfeiffer ، " History of Classical Scholarship form the Beginnings to the End of the Hellenistic Age " Oxford at the Clarendon Press 1998 ، pp ، 105 – 122 .

(٣١) P.M Fraser :" Ptolemaic Alexandria " Oxford Uni Press . Vol ، III ، pp ، 309 and pp ، 321 – 323 .

(٣٢) R.Pfeiffer , op , cit ., pp , 141 ff and p 154 . C.f M,. Fraser , op ، cit ، pp ، 330 - 333 .

وأنظر : محمد حمدى إبراهيم ، الكتاب السابق ، ص ١٧٦ ومابعدها ،

(٣٣) Kallimachos :" The Alexandrian Library and the Origins Of Bibliography " Translated by Rudolf Blum _ Hans H.

Wellisch ، Univ ، of Wisconsin Press ، 1991 ، pp ، 9 ff

ويختلف المؤرخون فى أقسام البيناكس ، فيذكر المرجونسون ، ومايكل هاريس (تاريخ المكتبات فى الغرب ـ ص ٤٨) أن عددها ثمانية ، بينما يقول العبادى (المكتبة ص ١٨) أن عددها عشرة .

(٣٤) P.M.Fraser ، op ، cit ، p ، 330 and p ، 460 _333

(٣٥) R. Pfeiffer ، op ، cit ،، pp ، 152 ff

(٣٦) EL Abbadi ، The Great Library and Mouseion ، p ، 93

وانظر أيضا ; محمد حمدى إبراهيم : الكتاب السابق ، ص ٩٨ ومابعدها .

(٣٧) R.Pfeiffer ، op ، cit ،، pp ، 17 ff.

وانظر أيضا ، محمد حمدى إبراهيم ، الكتاب السابق ، ص ٢٢٩ ومابعدها .

(٣٨) R.Pfeiffer ، op ، cit ، pp ، 172 ff.

(٣٩) Ibid ، p 210ff.

(٤٠) P .M Fraser ، op ، cit ، pp ، 309 ff .

(٤١) الكسندر ستبتفيتش ، مرجع سابق ، ص ١٢٩

(٤٢) ٣٠٩ ff ، pp ، cit،op،P.M.Fraser

(٤٣) ٣ B .،Deipnosophistai ،(Atenaeus

وانظر أيضا ، مصطفى العبادى ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، ص ١٣ ومابعدها .

(٤٤) Elmer D.Johnson and Michael H.Harris , History of Libraries the in Western World , Scarecrow , 1976 , PP . 43 -44 .

(٤٥) محمد حمدى إبراهيم ، كتاب سابق ، ص ٤٤ .

(٤٦) Galen ،XVIP ، 603

(٤٧) Michael H.Harris ،History of Libraries in the Western World ،the Scarecrow Press ، 1995 ، p ، 47 .

(٤٨) R.Pfeiffer ، op ، cit ،، p 129 and p ، 150 – 151 .

(٤٩) سليم حسن ، " التاريخ " ، مصر القديمة ـ الإسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة فى مصر ـ ج ١٤ ، ١٩٩٤ ، ص ٢٦٧ ، وانظر : العبادى ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، ص ص ١٥ـ ١٦ .

(٥٠) انظر : سليم حسن ، الكتاب السابق ، ص ٢٥٠ .

(٥١) انظر ، العبادى ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، ص ١٦ .

(٥٢) M.EL Abbadi ، The life and fate ، op ، cit . p . 42 .

(٥٣) الكسندر ستبتشيفتش ، كتاب سابق ، ص ١٢٦ .

(٥٤) مصطفى العبادى ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، ص ١١ .

(٥٥) محمد حمدى إبراهيم ، كتاب سابق ، ص ٤٤ .

(٥٦) مصطفى العبادى ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، ص ١٢ .

(٥٧) Michael H.Harris ، op ، cit ، p . 45

(٥٨) الكسندر ستبتشيفتش ، كتاب سابق ، ص ٨٢ ومابعدها .

(٥٩) Susan A. Stephens " Book Production " in civilization of the Ancient Mediterranean (1988) edited by Michael Grant and Rachel Kitzinger .

(٦٠) R.Pfiffer ، op ، cit ، pp ، 235 - 236 .

(٦١) Ibid .236 .

(٦٢) Elmer D.Johnson and Michael H ، cf ، Michael H،Harris ،op ، cit P ،48 Harris ، op ، cit .، p . 48 .

(٦٣) R. Pfeiffer، cf ، Michael H،Harris ، op ، cit ، pp ، 47 - 48 op ، cit

P . 236 .

R Pfeiffer ، op cit ، p ، 236 . (٦٤)

وأيضاً الكسندر ستبتفيتش ، كتاب سابق ، ص ١٣٠ .

(٦٥) سعد بن عبد الله الضبيعان ، كتاب سابق ، ص ٢١ .

(٦٦) الكسندر ستبتفيتش ، كتاب سابق ، ص ١٠٥ .

Plutarchus ، Antonios 51 . (٦٧)

Seneca ، De Animi Tranquillitate IX، 5 . (٦٨)

Lucianus ، De Bello Civilil ، X ،498 _ 500 . (٦٩)

plutarchus ، Caesar .، 49 . (٧٠)

Florus .، II ، 13 ، 59 . (٧١)

Gell .، Noc ، Att ، VII، 17 ، 3 . (٧٢)

Dio Cass، XLII ، 38 . (٧٣)

Amm ، Marcel ، XXII ، 16 ، 13 . (٧٤)

Oros .، VI ، 15 ، 31 . (٧٥)

Elmer D، Johnson and Michael H،Harris ، op ، cit ، p ، 50 (٧٦)

Michael H.Harris ، op ، cit ، p ، 46 . (٧٧)

The life and fate of the Alexandrian Library ، op ، cit ،pp 146 _ 150 . (٧٨)

Plutarchus .، Anton .، 58 . (٧٩)

(٨٠) محمد حمدى إبراهيم ن كتاب سابق ، ص ٤٥ .

(٨١) مصطفى العبادى ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، ص ٣٥ .

Michael H.Harris .، op ، cit .، p . 47 . (٨٢)

(٨٣) مصطفى العبادى ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، ص ٣٥ ومابعدها .

(٨٤) شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب والمكتبات فى العصور القديمة ،" مجموعة البيليوجرافيا التاريخية " الدارالمصرية اللبنانية ص ٣٠٠ .

Luciano Canfora , La biblioteca Scomparsa , Palermo 1998,PP . 92-108 and no. xvi . (٨٥)

(٨٦) مصطفى العبادى ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، ص ١٤٧ .

(٨٧) مصطفى العبادى ، مكتبة الإسكندرية القديمة ، ص ٤٩ .

Elmer D.Johnson and Michael H.Harris ،op،cit ،P،50 . (٨٨)

Luciano Canfora ،op ، cit .، pp .92 ff . (٨٩)

(٩٠) أنظر السيد السيد النشار ، كتاب سابق ، ص ١٤٩ ومابعدها .

عبادة النيل فى العصرين اليونانى والرومانى

عبادة النيل فى العصرين اليونانى والرومانى

قدس الفراعنة النيل ورفعوه إلى مصاف الآلهة عرفانا بفضله عليهم فكانوا يسمونه الإله " حابى" حيث قاموا بتصويره متمتعا بالخصائص الذكرية و فمثل شابا قويا ذا لحية ، وفى نفس الوقت نفسه له ثديا امرأة ، ترمز صفات الإله الفرعونى الثنائية إلى كفاءته المزدوجة : ففى كل عام يخصب النهر نفسه ويلد ذاته وكان بمثابة الأم المرضعة للبلاد، ومصدر الخصب والنماء. (١)

وفيما يتعلق بالإغريق فإن تقديس وتاليه النيل فى تراثهم منذ ازمان بعيدة ، فها هو هيسيودوس يذكر النيل من بين الآلهة التى ظهرت مع بداية العالم بابن الأوقيانوس والإلهة ثيتيس Thetes كما ربط الإغريق بين النيل وإله المطر زيوس ، مما دفع الشاعر يوربيديس Euripides أن يقول " إن النيل أرض مصر بدلاً من امطار زيوس "

وفى عصر البطالمة وعصر الرومان أخذت اهمية إله النيل تزداد فى ثوبها الإغريقى وتبتعد تماما عن شخصية " حابى " فى العصر الفرعونى .

وقد استعرض إله النيل بالدراسة من خلال العديد من التماثيل إلا ان البحث سوف يتعرض بالتمثيل والدراسة على التمثال الذى قام فنانو الإسكندرية بإبداعه .

يبرز فى تمثال الإله نيلوس Neilos المحفوظ بمتحف الفاتيكان (وهذه النسخة نحتت لهيكل الإله إيزيس بروما) والتمثال المصغر لنفس الإله المحفوظ بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية ، كل الرموز المنحوتة في التمثال تسير إلى صفات الإله فالتمثال إذن ليس مجرد تصوير لإله من الآلهة ، بل هو تعبير عن موضوع النيل وما يرتبط به ثقافيا ودينيا ، وهو يمثل مفهوما يونانيا رومانيا لفكرة مصرية . (٤)

فالتمثال يظهر الإله مستلقيا عاريا ، وعلى الفخذ الإيمن طرف عباءة ويمسك بيده اليمنى باقة من سنابل القمح أو الشعير ، اما يده اليسرى فيستند بها على ظهر تمثال أبى الهول كما يمسك بها قرن الخيرات (Cornu – Copiae)ويحيط باتماثيل ستة طفلاً فى اماكن متفرقة من جسده

(أنظر الشكل رقم ١) .



تمثال الإله نيلوس المحفوظ بمتحف الفاتيكان

روية تفسيرية للتمثال :

أول مايحتاج إلى تفسير هو اسم صاحب التمثال ، فقد اختلف المؤرخون الإغريق والرومان على مصدر اسم نيلوس أو النيل ، ولم تتفق آرأوهم ، فها هو هوميروس (٥) يذكر فى ملحمة الأوديسية النهر باسم اجيبتوس Aegyptus بينما يطلق عليه هيسيودوس(٦) فى قصيدة أنساب الإلهة اسم نيلوس Neilos وقد ذهب ديودورس الصقلى (٧) بان " النهر كان يسمى آيتوس Aetus بمعنى النسر ، لأن مياهه كانت تتدفق بشدة كما ذهب إلى أن أقدم اسم عرفه لنهر النيل هو اقيانيس ويترجم إلى اليونانية بأوقيانوس ، ويقال : أنه سمى نسرا لما حدث من فيضان ، وقد أطلق عليه فيما بعد اسم

ايجيبتوس Aegyptus نسبه إلى ملك قديم من ملوك البلاد أما آخر اسم للنهر وهو مايعرف به الآن فقد اشتق من اسم الملك نيلوس Nilus[٨] وذكر اريانوس[٩] فقال : أن نهر النيل أهدى اسمه لبلده ولهذا كانت ايجيبتوس Aegyptusتسمية النهر ، أما الآن فهو معروف باسم النيل .

وجاء في القرار الذى أصدره الكهنة المجتمعون فى منف فى ٢٧ مارس عام ١٩٦ ق . م : أن النيل كان فيضانه منخفضاً فى السنة الثامنة من حكم الملك بطليموس الخامس : ابيفانس وذكر النيل بلفظ " ال" بمعنى النهر[١٠] وكان النيل عند المصريين يطلق عليه لفظ (ار)[١١] أو (ال) واستمر استخدام اللفظ (ال) فى الديموطيقية ، ثم أضيف حرفاً (النون) و(الواو) فأصبحت (ن – ال – و) للتعبير عن النهر[١٢] ، فهل اشتقت الكلمة اليونانية نيلوس من هذه الكلمة الديموطيقية نالو ؟

ثانى مايلفت النظر ويحتاج إلى تفسير هو الستة عشر طفلا المحيطون بالتمثال (انظر الشكل رقم ١) فنحن نعرف أن المصريين كانوا يعتبرون فيضان النيل مباركا إذ بلغ ارتفاعه ١٦ ذراعا ، [١٣] فإذا ارتفع إلى هذا المنسوب كان ذلك دليلا على أن الرخاء آت لامحالة ، وإذا كانت تقام الاحتفالات بهذه المناسبة .

فالإحتفال المعروف باسم العلامة " ηΣημαια " كان مرتبطا بوصول مياه فيضان النيل إلى علامة ١٦ ذراعا[١٤] ، وكان يتم تسجيلها فى صعيد مصر وأيضاً من خلال مقياس " منف " [١٥]فمجرد أن يصل النيل إلى هذه العلامة فإن السرور كان يتناول جموع المصريين وعادة مايكون شهر أغسطس هو الفترة الرئيسية التى تقام فيها مراسم هذا الاحتفال[١٦] ، والتى تشهد أناشيد الأهالى لفيضان النيل المبارك ،فكما قال لوكانوس "[١٧] أن الطبيعة الأم هى التى أمرت النيل بأن يتدفق على هذا النحو ".وكما

قال سينكا الفيلسوف "[١٨] ماابدع منظر مصر وقت فيضان نيلها على الأودية والحقول ".

ونظراً لأن هذه الأعياد قومية مقدسة ، فقد كان الملك البطلمى (أو نائبة) يحرص على حضور هذه الاحتفالات أسوة بفرعون مصر أو نائبه فيما قبل[١٩] ، ومن هنا نجد اهتمام بطليموس الثالث (يورجيتيس) بحضور أعياد النيل المقدسة ، كما أشار بذلك نقش قرار كانوبوس[٢٠] وكذلك حضور بطليموس الثامن وبطليموس التاسع " سوتير الثاني " هذه الاحتفالات .[٢١]

أما فى العصر الرومانى فقد احتفظت هذه الأعياد بقدسيتها ، ويتجلى هذا بوضوح فى حرص جنود الحامية الرومانية بألفنتين لحضور مثل هذه الاحتفالات .[٢٢]

وتصور لنا النقود السكندرية والتى ترجع إلى عصر الإمبراطور هادريان (١١٧ــ ١٣٨م) وأنطونينوس بيوس (١٣٨ــ ١٦١ م) وماركوس أوريليوس (١٦١ ــ ١٨٠م) إله النيل جالساً أو مستلقياً ومحاطاً بالأطفال الذين يرمزون إلى عدد الأذرع التى يرتفع بها ماء النيل وقت الفيضان ليكون ذلك مبشراً بالخير .[٢٣]

وفى الحقيقة ، فإننا نفتقر إلى وجود تفاصيل خاصة بأعياد النيل وطرق تنظيمها وطقوسها فى العصر البطلمى ، وذلك على العكس من العصر الرومانى الذى تشير وثائقه بوضوح إلى إقامة الحفلات والمآدب تعبيراً عن الفرحة ، لأن مجئ الفيضان بمعدل ال١٦ ذراعاً يعنى الخير الوفير واستبعاد حدوث مجاعات فى البلاد .

ولدينا بداية ترجع إلى عام ١٦٢ \ ١٦٣ م تقريباً من تبتونيس تشير إلى أن احد ملاك الأراضى الزراعية أعطى شخصاً يدعى نيكاريوس Nikarios نصف أردب شعير لصنع الجعة بمناسبة عيد النيل الذى يقع فى شهر كهيك (٢٧ نوفمبر ــ ٢٦ ديسمبر) عام ١٦٣ م وتبلغ قيمة هذه الكمية (٢١ دراخمة) ويتضح من البردية أيضا ان

نيكاريوس قام بتسليم أردب من الشعير إلى القائمين على تنظيم الحفل في ٢٣ مسرى (١٦ اغسطس) بمناسبة عيد النيل ، والمقصود بالعيد هنا هو عيد " العلامة " . (٢٤)

ونلاحظ استمرار المصريين في إقامة الاحتفال بالنيل المقدس وإقامة ولائم الطعام في القرن الثالث الميلادي وهناك بردية مؤرخة بسنة ٢١٥ م من كرانس بالفيوم تشير إلى قائمة المبالغ المدفوعة لوليمة حضرها ٣٠٠ شخص وبلغت قيمة تكاليفها ٣١٢ دراخمة بمناسبة عيد النيل المعروف باسم عيد " العلامة " فحواها ٥٠ دجاجة ١٠٠ دراخمة ، ٣٠ طبق طعام ، ٤٨ دراخمة ١٦ ديك ، ٦٤ دراخمة ، ٣٠٠ بيضة ٢٠ دراخمة ، ساكبي الخمر ٨٠ دراخمة . (٢٥)

ثالث مايدعو إلى التأمل ، أن الإله يستند على ظهر أبي الهول ، أو تمثال أسد برأس إنسان Androsphinx (انظر شكل رقم ١ ، ٣) ومعروف أن الأسد كان رمزاً للشمس والقوة والسيادة ، واعتقد المصريون ان الشمس عند أول اتصالها ببرج الأسد Leo يظهر نجم الإله إيزيس Sothis(الشعرى اليمانية) كبشير وباعث للفيضان ، ولذا كان المصريون يكرمون الأسد ويزينون أبواب معابدهم برأس الأسد رمز الفيضان والماء الخصب إذ أن النيل يفيض عندما تكون الشمس في فلك الأسد على حد قول بلوتارخوس . (٢٧)

واتفق جميع المؤرخين ، على أن ظهور النجم المذكور أعلاه يوافق ابتداء الفيضان(٢٨) ، وبناء على ذلك يكون أبو الهول هنا رمز للفيضان الذي هو حياة المصريين جميعاً وله واقع فلكي .

ويقول بلوتارخوس أن أوزوريس هو الشمس صراحة ، ويسميه اليونان سيريوس Sirius نجم الكلب الجبار (الشعرى اليمانية) كبشير وباعث للفيضان أيضاً (٢٩) وتبعه في هذا الرأي تيبولوس(٣٠) الذي قال " أم أيضا كيف نهر النيل بمياهه الطبيعية ، حينما

يغرق الحقول الظمأى نجم سيريوس؟ فالصلة بين أوزوريس والشمس (أبو الهول) وبين سيريوس (الشعرى اليمانية) باعث الفيضان وأصبحت واضحة .

والإله أوزوريس كان فى الفكر المصرى القديم يمثل عنصر الحياة ممثلاً فى الخضرة ، وحيث أن الخضرة لاتحيا إلا بالماء فقد اتحد مع الماء وبهذا كان ميلاد أوزوريس يمثل صورة النيل يفيض على الأرض وينشر فيها الخضرة(٣١) ، ومن ثم كان أوزوريس يمثل الإله " حابى " وهو إله النيل المصرى القديم ، ونظراً لأن أوزوريس ارتبط بالزراعة فقد علمها للبشر ، والمعلوم ان الماء شرط للزراعة ، وأن النيل هو مصدر الماء ، ولذا أصبح النيل صورة مجسدة تمثل الإله أوزوريس(٣٢) ، وعلى حد قول بلوتارخوس " كانوا يعدون النيل سيل أوزوريس " .(٣٣)

وفى العصر البطلمى ابتكر بطليموس الأول " سوتير " ديانة الثالوث السكندرى وقام بدور الأب فى الثالوث الإله سيرابيس الذى حل تماماً محل الإله أوزوريس(٣٤) وبناء على هذا ارتبطت عبادة سيرابيس بالخضرة والماء الذى مثله النيل ، ومن ثم نجد تمثال الإله نيلوس رمز الخصوبة ومصدر الرخاء يقترب فى شكله من صورة الإله سيرابيس (**انظر الشكل رقم ١ ،٣**)

ولما كان الإله سيرابيس صورة من الإله أوزوريس ، وكان من الطبيعى أن تكون إيزيس إله الخصب المصرية زوجة له ، وطبقاً للأفكار الدينية فإن الإله ايوثينيا Euthenia زوجة الإله نيلوس أصبحت مماثلة للإله إيزس (**انظر الشكل رقم ٢**) حيث نجدها تتكئ على ابى الهول أيضاً الذى به معنى فلكى ، وقد عبدت كإله خصب إلى جوار رب الدولة (بلوس) وصارت تمثل دور الأم التى أنجبت الزرع والحيوان والإنسان .

ويصفها ديودوروس قائلاً إن الإله إيزيس تهيئ الحياة والنماء لكل شئ بواسطة فصول ثلاثة هي الربيع والصيف والشتاء ، وتتم دورتها فى اطراد غير ملحوظ ، ومع

هذه الفصول الثلاثة تختلف فى طبيعتها اختلافاً بيناً إلا أنها تكمل السنة فى انسجام تام "[٣٧] فهذه هى الإلهة التى يسميها معظم الناس " صاحبة الأسماء التى لاتحصى " لأنها بقوة العقل (لوجوس) تستطيع أن تتقبل كل أنواع الأشكال والصور على حد قول بلوتارخوس .[٣٨]



الشكل رقم ٣



الشكل رقم ٢

المتحف اليونانى الرومانى

ونجم الإله إيزيس يسمى Sothis (الشعرى اليمانية)، وهو يشير الفيضان الخصيب ، وعلاقته بالشمس واضحة واتصاله بها دائم[٣٩] ، وحسب الفكر المصرى القديم فإنه يكون فى السماء قرب الشمس فى فصل الصيف ليعلن عن بداية السنة الجديدة ويعلن ايضا عن بداية موسم الفيضان[٤٠] وهذا له معنى رمزى ، فشروق نجم إيزيس يشير إلى عودة الحياة وتجددها ، لأن أرض مصر (إيزيس) تبدأ فى استقبال دورتها الزراعية الممثلة فى فصل الفيضان ، ثم فصل القمح ، يليهما فصل الصيف .[٤١]

وكانوا يحدون جسم إيزيس وليس كله ، بل مايغمره النيل منهما فقط فيختلط بـه أو يعلوه على حد قول بلوتارخوس[٤٢] ، رمزا لسيدة الأرض المزروعة ، وكانت علاقتها بالشمس قوية ، حيث تنتظم دورتها السنوية بدورة الزرع مابين الخصب والجدب ، أو بين الشتاء والصيف وبناء على دوران النجم Sothis فى السماء فإن علاقتها بالنيل وبمائه الخصب قوية (وهذه العلاقة بالطبع مرتبطة بزواجها من أوزوريس ممثل النيل الذى يأتى بالحياة بوفر فى المحصول ورغدة فى العيش) .

رابع مايجذب الانتباه فى هذا التمثال ، هو ان الإله يمسك بيده اليسرى قرن الخيرات أو ال Cornu – Copiae (**أنظر الشكل رقم ١ ، ٢ ، ٣**) وهذا القرن عبارة عن قرن ثور أو عجل ، وكان يستخدم رمزاً للخصوبة والبركة ، وذلك لأن الثيران والعجول أقوى وأقدر لإنتاج زراعى أوفر .[٤٣]

ولايفوتنا أن عبادة الثور أو العجل كانت تقوم على تقديس الخضرة أى الزراعة ، لأن الثور أو العجل يلعب دوراً هاماً فى دفن الحبوب في الحقل ، ويساعد فى تقليب التربة وحرثها كما أن روثه مخصب طبيعى مهم ، فمن هنا ارتبط دوره بالخصب والخضرة والزرع والحياة المتصلة بالماء ، وأصبح رمزاً من رموز إله الخصب ، ولما كان الزرع يحييه (أوزوريس) فإن العجل اندمج معه ، وجعلت الروح الحية لأوزوريس وهذا الاندماج يجعله مرتبطاً بالنيل وفيضانه لإخصاب الأرض الزراعية ولهذا قال بلوتارخوس[٤٤] " إن روح أوزوريس الحية هى عجل أبيس " الذى كان يسميه اليونانيين Epaphos على حد قول بلوتارخوس .[٤٥]

وقال بلينيوس[٤٦] : أن العجل (أبيس) يحمل علامة تدل على موعد الفيضان الذى هو حياة المحاصيل ، وهذه العلامة تظهر على فرائه فى هيئة بقعة بيضاء على شكل هلال على جانب العجل الأيمن ، وهذا دليل على صلته بالقمر أو بالسماء كرمز

فلكي ، كما ذكر أن العجل يحمل علامة أخرى عبارة عن عقدة تختبئ تحت لسانه تأخذ شكل الجعران . رمزاً للإله خيبرى الذى هو بدوره رمز للشمس[٤٧] ، وهذا دليل آخر على الرمز الفلكى فى عبادة العجل ، وعلى انتماء العجل إلى الشمس ، وأنه مرتبط بالدورة الفلكية الشمسية ، ولأن الشمس ـ فلكيا ـ عندما تكون فى برج الثور تكون رمزاً للإخصاب ويرتبط بتوقيتها تغيير الفصول الزراعية والنيل وفيضانه ،[٤٨] فلذلك ـ كله ـ نجد قرن الخيرات أو ال Copiae – Cornu ممثلاً دائما مع إله النيل . .

أما خامس مايثير الفكر ، فهو أن الإله يمسك بيده اليمنى باقة من القمح أو الشعير (**انظر الشكل رقم ١ ، ٣**) . فمن المعروف أن الإلهة إيزيس بعد أن اكتشفت القمح ، وأعطت باقاته الأولى لأوزوريس (نيلوس) الذى تكفل بتعليم زراعته للبشر[٤٩] ، وقد ابتدأ أوزوريس مهمته فى أرض مصر فأبطل العادات الهمجية القديمة ، وعلم الناس كيفية صناعة الأدوات الزراعية واستعمالها فى استنبات القمح والشعير ، وعلمهم أكل الخبز وشرب النبيذ وبناء البيوت واستخدام الآلات الموسيقية ، كما أنه أسس الديانة الأولى وعلم البشر عبادة الآلهة . .[٥٠]

وبناء على ماسبق فإن تأليه النيل (أوزوريس ـ سيرابيس) كان الدافع من نفع الفرد ، فكان ينظر إليه كإله مفيد للإنسان[٥١] تتصل به سائر العبادات والأسرار التى تتصل بالزراعة فهو الذى علم الفرد الاستقرار فى الأرض ، كما علمه الزراعة ، وعرفه بالفصول ، فلقد كان بمثابة الخبرة اليومية لعامة الشعب ، وكان لهذا الإله عادات مفهومة ، وفيضانه هو المرتجى الذى يبغيه الأنسان ، ولذلك صار النيل سيد البلد الذى يمثل نوعاً من معجزة متكررة بين الجدب والفيضان .

والتمثال (**الذى فى الشكل رقم ١**) يقدم لنا صورة الإله المسيطر على العناصر الأربعة للكون المتمثلة فى : (النار) (الهواء) (الماء) و(الأرض)[٥٢] فإله النيل (أوزوريس ـ سيرابيس) كإله للخصوبة يمثل الشمس " النار "[٥٣] واقترانه

بإله الشمس ودورتها التى ترتبط بها الأرض الزراعية Euthenia إيزيس (زوجته) التي تمثل الأرض الطينية (٥٤) (انظر الشكل رقم ٢) .

هي في الفت تمثل الهواء النقى الطاهر(٥٥) ، وقوة الخلق التى كانت متجسدة فى إله النيل (أوزوريس ـ سيرابيس) تمثل ماء الفيضان الذى تمتصه الأرض كى ينبت الزرع والثمار من اجل حياة الأنسان والحيوان . (٥٦)

نتائج البحث :

١) إن تمثال الإله نيلوس ليس مجرد تصوير لإله من الآلهة ، بل هو تعبير عن النيل نفسه وما يتصل به فى الثقافة والدين .

٢) اسم نيلوس اشتق من الكلمة الديموطيقية نالو .

٣) الستة عشر طفلاً المحيطون بالتمثال إشارة تعبرعن فيضان النيل وإرتفاعه إلى ١٦ ذراعاً .

٤) الاحتفال المعروف باسم العلامة ηΣημαια عادة مايكون فى شهر أغسطس ، وكان مرتبطاً بوصول مياه فيضان النيل إلى علامة ال١٦ ذراعاً .

٥) يشير استناد الإله نيلوس على ظهر أبى الهول (او أسد براس إنسان) إلى الشمس عند اتصالها ببرج الأسد يفيض نهر النيل بعد ظهور نجم الشعرى اليمانية .

٦) أن نيلوس صورة من صور الإله أوزوريس المصرى ، وكان الإله سيرابيس (فى العصر البطلمى والرومانى) صورة من الإله أوزوريس وبالتالى فالعلاقة واضحة .

٧) ان الإله ايوثنيا "Euthenia " زوجة الإله نيلوس مماثلة الإلهة ايزيس المصرية .

٨) نجم الإلهة أيزيس يسمى سويثس Sothis = (سيريوس Sirius) الشعرى اليمانية ، وهو يشير الى الفيضان .

٩) ان الإلهة ايزيس هى الارض المنزرعة وعلاقتها بالشمس قوية كما ان علاقتها بالماء (الفيضان) واضحة أيضاً.

١٠) الإله يمسك بيده اليسرى قرن الخيرات يشير إلى الخصوبة والبركة ، فهو رمز يعبر عن عبادة الثور أو العجل وكانت تقوم عبادته على تقديس الخضرة (الزراعة) .

١١) الإله يمسك بيده اليمنى باقه قمح يشير إلى اكتشاف زراعة القمح وتعليم زراعته للبشر .

١٢) ان النيل كان بمثابه الخبره اليومية لعامة الشعب حيث علمه الاستقرار والزراعة ودراسة الفلك عن طريق طريقة نجم الشعر اليمنية ، وكان فيضانه هو المرتجى الذى يبغيه الانسان .

١٣) الإله نيلوس يعتبر مسيطراً على العناصر الأربعة للكون المتمثله فى " النار " و" الهواء" و " الأرض " .

الحواشى

١_ انظر : جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ترجمة لفيف من العلماء ، دار المعارف بدون تاريخ ، جـ ٦ ص ١٦٠ حاشية ٢٢ وص ١٧٦ .

٢_ انظر: Hesidus .، Theogony .، 337 .

٣_ انظر : Euripides .، Hel .، 2 .

٤_ أنظر : ابو اليسر فرح ، النيل فى المصادر الإغريقية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، القاهرة ١٩٩٥ م . قام الباحث فى كتابه بدارسة شاملة ، حيث أن كل ماذكر فى المراجع والأبحاث العلمية المختلفة ماهى إلا إشارات موجزة ومتفرقة جاءت فى سياق العرض التاريخى ولم تعالج معالجة وثائقية شاملة ، وان دراسة هذا الموضوع له أهميته بالنسبة لنا نحن المهتمين بالدراسات اليونانية والرومانية فما زالت المؤلفات العربية فى هذا المجال محدودة .
لكل ماسبق كان اهتمامى بدراسة هذا الموضوع " عبادة النيل فى العصرين الإغريقى والرومانى" الشائق والشائك والذى يمس صميم الحياة فى مصر فى العصر الإغريقى الرومانى ، لكى أتقدم به من زواية أخرى جديدة تتضح بالرؤية التفسيرية لتمثال الإله نيلوس المحفوظ بمتحف الفاتيكان ، والنسخة المحفوظة بمتحف الإسكندرية لنفس الإله.

٥_ أنظر : Homeros ، Odyssey .، XIV، 257 _8 and 477 .

٦_ أنظر : Hesiodos .، Theogony .، 338 .

٧_ أنظر : Diodorus .، I .، 19 .

٨_ قال استرابون (١،٥) " اطلق القدماء اسم مصر على الأرض المأهولة التى برويها النيل فقط " ويرى ديودوروس الصقلى (١_٣٧) وأيضاً بلينى (٥_ ٥٣) أن النهر اتخذ أسماء أخرى خارج مصر فكان يسمى Astapaus بمعنى القادم من الظلام " ويقول أحمد أمين فى كتابة قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، النهضة المصرية ١٩٥٣ ، ص ٤٠٤ " وقد سمى النيل نيلاً من اسم نيلوس ، أحد الفراعنة القدماء ، لما قام به نحو النيل من جلائل الأعمال "

٩_ انظر: Arrian .، The campaingns of Alexander ، Penguin book .Translated By J. B . Hamilton London 1971 .، pp . 263 _264

١٠ _ أنظر: E، R. Bevan .، A History of Egypt Under The Ptolemaic Dynasty ، London . 1927 .، pp ، 265 _ 266

١١_ استخدم اللفظ (ار) او (ايرو) فى اللغة العبرية والقبطية على السواء ، للتعبير عن النهر العظيم (النيل) ، انظر : ابو اليسر ، مرجع سابق ص ٥٧ .

١٢_ انظر : على عبده وتقديم محمد عبد القادر حاتم ، النهر الخالد ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ ص ١٣ ، وأيضاً وليم نظير ، الثورة النباتية عند قدماء المصريين ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٥ _ ١٧ .

١٣_ ان معرفة منشا فيضان النيل مسألة شغلت أفكار المؤرخين مدة طويلة حيث حاولوا مراراً أن يعللوا لهذه الظاهرة ، واتفق العديد منهم على ان فيضان النيل يبتدى فى زمن انقلاب الشمس فى الصيف ، وان ظهور نجم الشعرى اليمانية يوافق ابتداء الفيضان .

والسبب الوحيد فى فيضان النيل ذكره ديودورس الصقلى (٤١) وقال " إن امطارا كثيرة تنزل فى كل السنين ابتداء من الصيف حتى يتعادل الليل والنهار فى فصل الخريف ، ومن المعقول جدا ان ينخفض النيل فى الشتاء ، ويزداد فى الصيف من تهاطل الأمطار التى تهبط عليه ، فهى التى تأتى دائما إلى مصر من اثيوبيا فتملأ فى الصيف مجرى النهر " .

وعن ظاهرة فيضان النيل وأسبابه أنظر : بلوتارخوس ، الآراء الطبيعية _ الفقرة الرابعة راجعها على أصولها اليونانية وشرحها عبد الرحمن بدوى ، النهضة المصرية ١٩٥٤ م ، ص ١٥٥ _ ١٥٦ وقال :

١ _ طاليس يرى ان الرياح الشتوية إذا هبت بمصر من امامها تزيد فى حجم النيل وفياضانه وتضخمه بما ينصب إليه من الملح الذى يجرفه .

٢ _ فإنه يرى أن النيل يمتلئ من فيضان أوقيانوس Euthymenes Massiliensis وأما والبحر الخارج وهو بحر حلو .
(وهو من مرسيليا اليوم وقد ألف كتاب بعنوان :
(وصف رحلة بحرية) وكان يرى أن فيضان النيل يأتى بسبب تأثير الرياح " الأتيزية " الشتوية " من الشمال إلى الجنوب " التى تدفع مياه النهر بقوة ، وكان يرى أن النيل ينبع عند الشاطئ الشمالى الغربى لإفريقيا من المحيط الأطلنطى وهو يرجع إلى نهاية القرن السادس قبل الميلاد

٣ _ واما انكساجوراس فيرى ان فيضان النيل يأتى من الثلوج التى فى أرض الحبشة : والتى تتجمد فى الشتاء وتذوب فى الصيف

٤ _ وأما ديمقرطيس فإنه يرى أن الثلوج التى فى آخر الأرض الشمالية تذوب بعد الانقلاب الصيفى وتفيض الى ناحية الجنوب والى مضرب الرياح الشتوية ، فيكون منها امطار شديدة وتمتلئ منها البقاع والبرك ونيل مصر .

٥ _ وأما هيرودوتوس فيرى أن الأنهار تفيض الى النيل فيضانا متساويا فى الصيف والشتاء ، إلا أن فيضانها يظهر فى الشتاء ظهورا أقل ، لأن فى هذا الزمان تقترب الشمس من الأرض ولاسيما من أرض مصر فينتزع من النيل بخار تنقص به المياه .

٦ _ وأما ايفوروس (ولد بين ٤٠٨ _ ٤٠٥ ق.م فى kyne بآسيا الصغرى) صاحب الاخبار التاريخية فيرى أن مصركلها تذوب عرقاً بفعل الصيف فيفيض منها ماء غزير، وأن أرض أربيا وأرض لوبيه تساعدان على هذا نظراً إلى كون التربة مسامية ورملية

٧ _ وأما يودكسوس فإنه يحكى عن الكهنة أنهم يقولون إن مياه الأمطار وفصول السنة تكون عندنا ونحن نسكن فيما يلى المنقلب الصيفى صيفا ، وتكون عند الذين يسكنون المنقلب الشتوى شتاء ، وبهذا تجمعت المياه هنالك وفاضت على النيل فتلك زيادة النيل ونقصانه كما يحدثنا سينيكا عن ظاهرة الفيضان حيث يقول : إن الطبيعة خلقت هذا النيل فى أفضل صورة ، وأطلعت عليه عيون البشر فتدفق على مصر فى ذلك الوقت الذى تسحب فيه الأرض _ ذات الحرارة المتوهجة _ المياه الشديدة العمق ، لتستفيد منها وتعوض بها النقص فى سنوات الجفاف أنظر:

Seneca ، Naturales Quaestiones ،، 4a ، 2، 1

ويرى لوكانوس فى توقيت ارتفاع منسوب مياه النيل مظهرا من مظاهر العناية الإلهية ، فالنيل يرتفع فى الصيف على وجه الخصوص _ من أجل صالح الأرض والإنسان فيقول : " إن النيل لايرتفع شتاء حيث تكون الشمس بعيدة وتمتنع مياهه عن أداء وظيفتها ولكنه عندما أمر بان يمنح السماء الشديدة الحرارة طقساً معتدلا تدفق فى منتصف الصيف ، مع الهواء الحار ، حتى لاتذيب الحرارة الأرض فلقد خلق النيل (لصالح الكون) .

Nec tumet hibernus ، cum longe sole remoto officiis caret unda suis ، Dare iussus iniquo temperiem caelo modiis aestatibus exit sub torrente plaga ، neu terras dissipet ignis Nilus adest mundo contraque incense Leonis ،

انظر: Lucanus ، Pharsalia ، 10، LL ، 229 _233 .

١٤ _ عن الاحتفال بهذا العيد انظر :

P، Mich ، inv ، 5084 verso = Abdullatif Ahmed Aly ، " Some Michigan papyri from Karanis " Annals of ، Ain Shams Univ Fac ، of Arts Vol ،، II(1952) ، no ، 8 = account of expenses for Festivals (II_III ، A، D) PP ، 23 – 27 = SB 1538 . (SB= Sammelbuch Griechische Urkunden Aus Aegypten ، 14 Vols .، ed F، Preisigke and others (1915_ 1983)CF .، Daniell Bonneau ، La Crue du Nil ، divinite Egyprienne a travers mille dans d` histoire ( 332 av _ 641 ap ، j ، c ) Paris 1964 ،، pp ، 361 ff ، CF، Ibid .، " Les Fétes de la Crue du Nill " Revue d` Egyptologie ، 23 (1971) ، pp ، 50 ff .

في مصر كانت تقام مظاهر عبادة الإله نيلوس ، وتؤدى الصلوات وتحدثنا الوثائق البردية التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادى عن أنواع هذه الإحتفالات المقدسة فالاحتفال الأول بالإله نيلوس تحدثنا بالأشياء التي أعدت للتضحية إلى أعظم الآلهة " نيلوس" في ٣٠ بؤونة (٢٢ يونية) ونقرأ فيما يلي :

" عدد واحد عجل – ٢ إناء من الخمر ذات النكهة الطيبة – ١٦ قطعة من الحلوى -١٦ إكليلا من الزهور – ١٦ وعاء للشرب -١٦ كعكة – ١٦ من سعف النخل الأخضر – ١٦ عود من القصب بالإضافة إلى الزيت والعسل وجميع مواد العطارة فيما عدا البخور "

وانظر : P. O.

OXX١٢١١ حيث كان هناك عيد آخر يعرف باسم Kataxut pia بمعنى عيد الفيضان ، وكان يحتفل به في شهر أبيب (١٩ يوليو) وعن الاحتفال بهذا العيد في منطقة سايس (صاالحجر _ محافظة البحيرة) أنظر :

P. Hib ، 27 .، Col .، XII .، 165 _ 196 and 174 _ 176 .

ونقرا فيما يلي :

٢٥ من شهر برمهات (٢١ مارس) الرياح تبدأ في الهبوب والنهر في الزيادة (سطر ٢٥) ، وفي ٢٣ من شهر أبيب (١٧ يوليو) النهر يعطي إشارات عن فيضانه (سطر ١٦٥) ونقرأ العبارة نفسها في (سطر ١٧٥) وهذا يدل على ترقب ارتفاع مياه النيل إلى المنسوب الضروري الذى يسبق احتفال ٢٥ من شهر أبيب .

وعن الإحتفال بهذا العيد في منطقة الفيوم

انظر: P. Cair . Zen ،. 59176 .، 39 (255 B، C ،)

ونعرف منها أن شراب الإحتفال كان الجعة ، وهذا العيد هو بدء ظهور نجم الشعرى اليمانية Sothis – Sirius في الأفق قبيل طلوع الشمس ، واعتبره المصريون القدماء علامة فلكية يبدأ معها ماء النيل في الإرتفاع إلى المنسوب الا ضرورى الذى يبشر بالخير ، أنظر :

Posener ، A Dictionary of Egyptian Civilzation ، (English _ Trans by A، Macfarlane) 1962 pp ، 44 ،، ff and 189 _ 190 .

وأنظر : تاريخ العلم ، ترجمة لفيف من العلماء ، دار المعارف جورج سارتون جـ ١ ص ١٣٦

وأنظر : نجيب ميخائيل ، الزراعة ، تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني ، بدون تاريخ ، ص٤٩٢ ، لمعرفة مدى ارتباط الزراعة في مصر القديمة بالنجم (سوبد) أو (سوثيس) .

١٥_ عن مقاييس النيل التى عرفت في مصر خلال العصر اليونانى الرومانى أنظر:

Danielle Bonneau ، le Fisc et le Nil ، Incidences des irrȩgularitȩs de la cure du Nil sur la fiscalitȩ foncíȩre dans I `Egypt gerecque et romaine ، paris 1971 ،، pp ، 25 – 39 .

١٦_ أنظر :

O.G.I.S . " Orientis Graeci Inscriptiones Selectae .، ed .، w .، Dittenberger Leipzig 1903 " .، 168 (115 B .C.)

وقد اقيم هذا الاحتفال في عهد بطليموس التاسع في الفنتين في الفترة من ١٧ أغسطس و ١٥ من شهر سبتمبر عام ١١٥ ق.م ورغم عدم اكتمال هذا النقش لكن يمكننا قراءة العبارة الآتية (سطر٦) وترجمة أيها النيل العظيم الذى بلغ أقصى (العلامة) ارتفاعه وكان يشرف على تنظيم هذه الاحتفالات مجموعة كبيرة من الإداريين أنظر:

D ،Bonneau .، Op .، cit .، (RdE) .، 23 .، pp .، 59 ff . (II – III ، A ، D .) CF، P ، Michinv ، 5084 verso – SB 1538 .

١٧_ انظر : Lucanus .، X.، L .، 38

حيث يقول " Sic Iussit natura parens discurere Nilum "

١٨_ أنظر: Seneca ، Naturales Quaestiones ، 4a ، I، .

١٩_ أنظر : D، Bonneau .، op .، cit .، (RdE) .، 23 . p . 59 .

وكانت هناك مناسبات أخرى للاحتفال ، فعلى سبيل المثال اعتبرت مياه النيل وسيلة تطهيرية ويشير أيسخولوس في مسرحيته برومثيوس مغلولا :

"The sacred Nile pours his salubrious flood .، "

ونجد أن فضل النيل وصفاته الطبيعية قد Good for drinkingفنجده يذكر أن كلمة معناها حرفيا: ذكر كثيرا في المصادر القديمة فنجد في مسرحية (الضارعات بيت ٥٥٦) يطلق أيسخولوس على ماء النيل بمعنى لايصيبه المرض ، وفي البيت ٨٣٥ يقول أيسخولوس عن النيل :

(The nurturing river that makes the blood flow more buoyantly)

انظر :

John Stuart Blackie ، The lyrical Dramas of Aeschlus ، Note on Prometheus Baound No ، 46 Every man `s Library ، p .، 401 .

٢٠ _ وقرار كانوب أصدره مجمع الكهنة فى الرابع من شهر مارس عام ٢٣٨ ق.م وهو مكتوب الهيروغليفية ، والديموطيقية ، واليونانية ، وقد وصلت إلينا ثلاث نسخ من الحجر لهذه الوثيقة ، وقد عثر على النسخة الأولى فى عام ١٨٦٥م فى مدينة تانيس القديمة ، ووجدت النسخة الثانية فى عام ١٨٨١ م وهاتان الوثيقتان محفوظتان بالمتحف المصرى فى القاهرة ، أما النسخة الثالثة فهى محفوظة بمتحف اللوفر ، وهذا النقش منشور .

انظر: O.G.I .S .، 56 (238 B. C)

pp . ٢٠٨ ff . ، cit .، op .، R . Bevan ,، E.،CF.

٢١ _ انظر: O .G . I .S . 168 . (115 B . C.) .

CF .، E .، R . Bevan .، op .،cit ، pp .، 337 ff .

وايضا هامش رقم (١٥)

٢٢ _ كان من المهام الإدارية للجيش الرومانى ملاحظة وصول فيضان النيل جنوب الشلال الأول أنظر:

O . G. I . S . 654. (I ، B، C) ; CF ، D ، Bonneau ، op ، cit ، (RdE) 23، P 50

٢٣ _ وهذه الاحتفالات تعبر عن احتفالات محلية انظر:

D،Bonneau ، op ،. Cit ، (RdE) ، P ، 55 .

وهناك إشارات إلى معابد شيدت للنيل فى مدينة أنتينوبوليس (الشيخ عبادة _ المنيا) والتى اسست بعد غرق الشاب انتينوس فى ٣٠ اكتوبر عام ١٣٠ م وقد صكت عملة بهذه المناسبة تمثل قدس إله النيل المشيد فى هذه المدينة عام ١٣٤ \ ١٣٥ وفيها يظهر إله النيل على عمودين بمصاحبة التمساح أنظر:

Dattari Nummi Augusti Alexandrini ، 1956 .، nos .، 3050 – 3051 and 3052

٢٤ _ انظر: P. Milan ، 28 ، col ، II ، 46 and Col ،، III 79 .

٢٥ _ انظر: P ، Mich ، Inv .، 5984 Verso (215 A ،D) – SB ، 9245 .

٢٦ _ انظر: فيليب سيرنج ، الرموز فى الفن ، الأديان ، الحياة ، ترجمة عبد الهادى عباس دارلمشق ١٩٩٢ ، ص ٨٦ _ ١٠٣ .

٢٧ _ انظر: Plutarchus ، De Iside et Osiride ، Moralia v .، 38

٢٨ _ انظر:

Pliny .، Natural history ، V.، 56 – 57 .

" cum eo tractu absumantur umbrae – plerisque e diverso opinatis Largiorem – fluere ad septentriones sole discedente ، quod in cancro et leone evenit ، ideoque "

CF.، Lucretius .، De Rerum Natura ، 6 ، 415 .

CF، J ohm Ball ، Egypt in the Classical Geographers ، Ministry of finance Cairo 1942 ، p 75 ، CF .، Posener ، op ، cit .، p .، 44 .

بالنسبة لتاريخ بدء ظهور نجم الشعرى اليمانية Sothis أو Sirius فهو ١٩ يوليو (٢٥ أبيب) ويظهر هذا النجم فى هذا التاريخ قبيل طلوع الشمس و اعتبره المصريون القدماء علامة فلكية يبدأ معها ماء النيل فى الارتفاع إلى المنسوب الذى يبشر بالخير .

٢٩_ انظر: Iutarchus ، op ، cit ،. 43

" ويعتقدون أيضا أن مظاهر فيضان النيل ذات علامة معينة بأوجه القمر : فأعلى فيضان له عند الفنتينا يبلغ ثمانية وعشرون ذراعا ، وهذا عدد أيام سطوعه التى يستغرقها فى إنجاز دورته الشهرية ، أما أقل فيضان له عند منديس ، وخويس (Chois) فستة أذرع ، وهذا يوافق تربيعة الأول ، وأما أرتفاع فيضانه المتوسط عند منف يبلغ عندما يكون فيضانا عاديا أربعة عشر ذراعا وهذا يوافق طلوع البدر " .

٣٠ _ تيبولوس ، القصيدة السابعة حيث يقول :

"Cum findit Sirius a rgos Fertilis aestiva Nilus abundant aqua "

٣١_ انظر : plutarchus ، op ، cit .، 32 .

٣٢ _ انظر Ibid .، 13

٣٣_ انظر : Ibid .، 36 and 38

٣٤_ أنظر : الدكتور لطفى عبد الوهاب يحى ، عصر البطالمة ، دراسات فى تاريخ مصر الحضارى ، مركز التعاون ، الأسكندرية ١٩٨٠، ص ١٨٥ ، حيث يقول :

" وقد ساعدت على انتشار هذه العبادة ظروف معينة كانت قد بدأت تظهر بشكل واضح فى ذلك الوقت ، وكان من الطبيعى أن يدركها البطالمة ويجعلوا منها إحدى نقط الانطلاق لدعايتهم السياسية التى كان أصلح مكان لتوجيهها هو الاسكندرية بموقعها المتوسط ذى الاتصال بكافة أرجاء العالم المتأغرق " .

٣٥_ انظر : أبو اليسر فرح ، مرجع سابق ، صـ ٦٠ .

٣٦ ـ الربة إيزيس كانت الأرض الصالحة للزراعة فإذا جاء الفيضان (اوزوريس) امتصته إيزيس ويفنى أوزوريس ثم تعود الحياة من جديد وهى حورس (حاربوقراطيس) عندما ينبت الزرع وتخلق السنابل انظر :

Plutarchus .، op .، cit ،. 32 .

٣٧ _ انظر : Diodorus ، I ، 11 .

٣٨_ انظر: Plutarchus .، op .، cit .، 53

٣٩_ انظر: Ibid .، 61

٤٠_ أنظر: Ibid .، 9 and 38

٤١_ أنظر: ويقول ديودورس الصقلى ان الربة إيزيس تهبى . Diodorus " I.، ،، ١١ الحياة والنماء لكل شئ بواسطة فصول ثلاثة هى الربيع والصيف والشتاء ، تتم دورتها فى اطراد غير ملحوظ ، ومع أن هذه الفصول الثلاثة تختلف فى طبيعتها اختلافا بينا إلا تتم السنة فى انسجام تام " .

٤٢_ أنظر : Plutarchus .، op .، cit ، 38

٤٣_ انظر : فيليب سيرنج ، مرجع سابق ، صـ ٤٩ _ ٥٥ .

Herodotus .، III .، 28 .، CF ، Strabo .، 17 .، I. 31 .

وانظر : CF، Strabo . 17 . I ، 31 .

٤٤ _ أنظر : Plutarchus ، op ، cit ،. 43

٤٥ _ أنظر : Herodotus ، III ،. 28

حيث يقول : (وابيس هذا المسمى إبافوس عجل صغير لاتحبل أمه بغيره والمصريون يقولون إنه ينزل عليها برق من السماء ، ومن هذا البرق تحبل بالإله أبيس ، وهذا العجل الصغير الذى يسمونه ابيس يعرف ببعض علامات فيكون شعره أسود وعلى جبهته بقعة بيضاء مثلثه ، وعلى ظهره صورة نسر ، وتحت لسانه جعران ، وشعر ذيله مضاعف) .

بناء على ذلك ، فإن الرمز القمرى لأوزوريس يتجسد في ثوره المقدس (أبيس) الذى يعتبر روح اوزوريس الحية على الأرض ، والذى ولد من بقرة أخصبها شعاع القمر حيث تعتبر من خصائص أوزوريس القمرية ، فهو قد عاش ٢٨ عاما ، إشارة إلى دورة القمر الشهرية المؤلفة من ٢٨ يوما .

وعندما قتله أخوه (ست) قطع جسده إلى ١٤ قطعة ، بعثرها فى أماكن متفرقة وفي ذلك إشارة إلى أجزاء القمر التى يفقدها يوما بعد يوم أثناء هبوطه ، خلال فترة التناقص إلى ١٤ يوما ، ثم استعادته لتلك الأجزاء خلال فترة التزايد (وهى الفترة التى جمعت فيها إيزيس أجزاء جسمه ونفخت فيها الحياة)

انظر: Plutarchus ، op .، cit .، 41 and 42

وام هذا العجل هى أيو Io من مدينة ارجوس في اليونان وزويوس قد حول أيو Io بقرة كى يتجنب انتقام هيرا منها وذلك لغيرتها على زوجها زيوس ، وقد وضعت في النهاية إيبافوس Epaphos في مصر أوعجل ابيس ، وذلك قبل تحويل زيوس Io من بقرة إلى امرأة ، وهذه الخرافة اليونانية تتشابه فيها أيو Io وهى بشكل البقرة مع إيزيس Isis أى حتحور وقد وفق الشاعر موسخوس (١٥٠ _ ٤٣ ق.م) فى تصويره الشعرى لأسطورة أيو Io : وذلك لعلاقتهما الوثيقة بقصة أوروبا ، وعند تحويل الإله زيوس لأيو Io من بقرة إلى امرأة تصل إلى أرض مصر ، إذا قال : وعلى الجانب الآخر (من سلة أزهار أوروبا) صور زيوس بن كرونوس وهو يلمس يد البقرة ابنة إيناخوس بجانب النيل ذى الأفرع السبعة وقد حول ذلك مخلوق ذا القرون الجميلة من بقرة إلى امرأة وقد صور مجرى النيل من الفضة ، والبقرة من البرنز وزيوس من الذهب .

انظر: Moschus .، II .، 50 _ 52

وأيضا أوفيد " مسخ الكائنات " سبق ذكره صـ ٤٦ حاشية ٣٠ ، وأنظر أيضا توماس بلفينش ، مرجع سابق ، صـ٥٥ .

٤٦ _ انظر Pliny .، op .، cit .، VIII .، 71

٤٧ _ يعتبر الجعران رمزا لإله البعث ، ويمثل القوة الخفية التى تدفع الشمس عبر السماء من المشرق إلى المغرب . أنظر :

Strabo .، 17 .، I.، 31.

CF .، E ، A . Wallis Budge ، Egyptian Magic ، Routledge & Kegan Paul ،. London .، U. S،A .، Reprinted in 1981 .، p .، 36 .

٤٨ _ أنظر : فيليب سيرنج ، مرجع سابق ، صـ ٤٩ _ ٥٥ وأنظر أيضا ياروسلاف تشيرنى ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة ، أحمد قدرى ، هيئة الآثار المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، صـ ٤٠ _ ٤١ .

٤٩ _ أنظر : Diodorus .، I .، 14

٥٠ _ أنظر : plutarchus .، op .، cit .، 13 :
CF ، Diodorus ، I ، 17 – 18 ، and 20

ويقول ديودوروس I _ ١٤
إن الربة إيزيس " فقد ساعدت زوجها وأخاها في إدخال الحضارة للبلاد فعلمت النساء طحن الحبوب وغزل الكتان والنسيج للملابس ، وعودت الناس على الحياة العائلية بإنشاء الزواج ، وبقيت في مصر حاكمة لها ، وحكمت بالصدق والحكمة " .

٥١ _ إن سكتوس إمبريقوس من فلاسفة المدرسة السوفسطائية ، وهو صاحب النظرة التشاؤمية في الحياة وبحث عن الأصل في نشأة فكرة الألوهية عند الإنسان وصلة ذلك بالمجتمع وكيف عرف العقل البشري وجود الآلهة ، وانتهى إلى كل الأشياء النافعة للصحة والمفيدة للنفس ، كان ينظر إليها كآلهة في العصور القديمة ، فكما عبد المصريون القدماء النيل وعدوه إلها .
أنظر : أميرة حلمي مطر ، الفلسفة اليونانية ، النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨١ _ صـ ١٣٣

٥٢ _ أنظر : الدكتور يوسف كرم ، الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥٨ ، صـ٤٢ _ ٤٣ حيث يقول " إن أنا كساجوراس هو بلا شك أول موحد بين الفلاسفة ، وربما كان أول من اتهم بالإلحاد ، وذلك راجع إلى أن أنا كساجوراس بعدما أكد أن العقل منظم الأشياء جميعا ، عاد وفسر كل الموجودات الطبيعية بالعناصر الأربعة وردها إلى النار والهواء والماء والتراب ، مما جعل سقراط يصفه بالإلحاد في محاورة (الدفاع) لأنه عد الآلهة كالحجارة" .

٥٣ _ أنظر : هامش (٢٥) .

٥٤ _ أنظر Plutarchus .، op .، cit 32Diodorus .، I.، 12.،

٥٥ _ أنظر :
حيث يقول " أما عن الهواء فيقال / إنهم أطلقوا عليه اسما يقابله في اليونانية Athena وإنهم اعتبروا أثينة ابنة لزيوس ، وتصوروها عذراء ، لأن الهواء في حالته الطبيعية نقي طاهر ، ويشغل المحل الأرفع من العالم بأسره ، ومن هنا جاء في الأساطير أنها خلقت من رأس زيوس " وعن العلاقة بين الإلهة أثينا والإلهة إيزيس انظر الحسين أبو العطا ثالوث الاسكندرية في المفهوم اليوناني ، مجلة الجمعية الكلاسكية ، تحت النشر الكتاب السادس .

٥٦ _ انظر Plütarchus ،. Op .، cit .، 32 :

فن الإسكندرية

فن الإسكندرية
فى العصر البطلمى

(عمارة ونحت) :

أبرزت البحوث الأخيرة حقيقة للفن فى مدينة الإسكندرية البطلمية وهى ان هناك مايمكن ان يعد فنا سكندرياً قومياً ، يتخذ طريقة مستقلاًعن التأثيرات اليونانية التى لم يمتزج فيها امتزاجاً تاماً وإذا أردنا أن نعرف أصل هذا وجب علينا أن نبحث عنه نبحث عنه فى منطقة الإسكندرية المجاورة لمصر (على حد تعبير بريتشيا)[1] وعلى الرغم من ان هذه المنطقة قد استمدت ثقافتها من اليونان فى المقام الأول كما انها تأثرت بأصول الحضارة المصرية فإنها قد سارت على نمط فنى خاص بها منذ القرن الرابع قبل الميلاد .

فإن اليونانيين الذين هاجروا إلى مصر بعد أن تم فتحها على يد الإسكندر الأكبر فى خريف عام ٣٣١ ق.م إقامة حكومة مقدونية فيها مهما بلغت اعدادهم فإنهم كانوا أقلية بالنسبة للسكان الوطنين علماً بأن مصر فى هذه الفترة فتحت أبوابها على مصراعيها أمام يونانى بلاد اليونان وآسيا الصغرى ولكثير من العناصر الشرقية والآسيوية اقام هؤلاء المهاجرون الجدد فى نوقراطيس وفى الإسكندرية التى أصبحت عاصمة البلاد [2] ورغب اليونانيين فى إقامة منازل لهم ومعابد لألهتهم على النمط اليونانى وفى نحت تماثيل يونانية الطراز كى تزين العاصمة الجديدة ومعابدهم بغض النظر عن قلتهم خاصة لأنهم سيجدون العون المادى ، والتقدير الأدبى من قبل البيت الحاكم[3] ولكن إلى اى مدى استطاع اليونانيون تحقيق ذلك ؟ ومن ناحية اخرى .

هل استطاع اليونانيون المهاجرون ومعهم آلهتهم وعادات عباداتهم ان يضيفوا شيئاً جديداً ؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة يلزمها عدة مؤلفات متخصصة تعتمد على المصادر الأدبية سيان أكانت يونانية أم مصرية ومن ثم فنحن سنعالج هذا من ناحية المصادر الأثرية المكتشفة فى مدينة الإسكندرية وهذه المصادر متعددة وتتيح لنا دراسة عمارة الإسكندرية فى العصر البطلمي وأسلوب النحت من خلال هذه المصادر المتعددة والتى ترجع لهذه الفترة التاريخية .

أولاً : العمارة

٣. المقابر :

اكتشفت مقابر الإسكندرية البطلمية فى المناطق الشرقية والغربية خارج أسوار المدينة القديمة فى فترات متفاوتة ومناسبات مختلفة (انظر لوحة الاكتشافات فى اخر المقالة) ومن المعروف انه كانت بالمدينة البطلمية جبانتان كبيرتان الأولى تقع إلى الشرق من المدينة ويطلق عليها الجبانة الشرقية وكان يونانيو الإسكندرية يفضلون دفن موتاهم فيها أما الثانية فتقع إلى الغرب من المدينة ويطلق عليها الجبانة الغربية وكان المصريون يدفنون موتاهم فيها وذلك لقربها من الحى الوطنى حيث كانوا يسكنون [٤]

والجبانتان سيان الشرقية أم الغربية لقيتا اهتمام العديد من الدارسين والباحثين فى الآثار اليونانية والرومانية من أمثالى بوتى J .Botti[٥] وبرتشيا E.Breccia[٦] وادريانى A.Adriani[٧] وغيرهم ، ففى الجبانة الشرقية تم اكتشا ف مقابر الشاطبى ـ الحضرة ـ الإبراهمية ـ (تيجران ـ رومانية) سيدى جابر ـ مصطفى باشا ، اما فى الجبانة الغربية فاكتشفت مقابر مينا البصل ـ القبارى الورديان ـ المكس (ومقبرة كوم

الثقافة ـ رومانية) وفى جزيرة فاروس إلى الشمال من المدينة القديمة اكتشفت مقابر الأنفوشى ورأس التين فى جزئها الغربى شكل رقم (١)[٨] وبالرغم من أن الدفن والحرق قد استعملا فى هذه المقابر إلا أن الدفن كان الوسيلة الشائعة فيها ففى منطقة الحضرة ، إلى الجنوب من منطقة الشاطبى (حول المستشفى اليونانى " المواساة " وأسفل كلية الهندسة حاليا) اكتشفت مجموعة من المقابر احتوت على أوانى فخارية جنازية ملأت برفات المتوفى بعد حرقه وعلى سطح بعض هذه الأوانى كتب اسم المتوفى وعام وفاته ، وهذه الأوانى السكندرية عرفت باسم اوانى الحضرة Hadara Veses نسبة إلى مكان اكتشافها (وسوف نتحدث عنها بشئ من التفصيل فيما بعد)[٩] علماً بأن مقابر الشاطبى والإبراهمية ، إلى الشمال مباشرة من مقابر الحضرة (كما فى باقى مقابر الإسكندرية البطلمية) وقد استعملت طريقة الدفن وليس الحرق ، ووجدت بها مجموعة كبيرة من التماثيل الفخارية المصغرة والملونة والمعروفة باسم تناجرا Tanagra لإدخال البهجة والسرور على المتوفية والتى أرخت فيما بين القرن الثالث والأول قبل الميلاد[١٠] (وسوف نتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد) .

ومقابر الإسكندرية البطلمية ، يمكن تقسيمها إلى قسمين :ـ

الأول : وهو أقدم المقابر المستخدمة بالمدينة والمعروفة باسم Pit Tombs فهى تتكون عادة من حفر بسيطة حفرت فى الأرض ، أو نحتت فى الصخر ، وكان يدفن فيها المتوفى أو توضع فيها رفاته بعد حرقه ، ثم تغطى هذه الحرفة بالتراب أو بالحجارة فيتكون عليها بعد ذلك مايشبه الكوم الذى يعلو سطح الأرض ، وفى بعض الأحيان كان هذا الكوم يبنى من الحجر فيأخذ شكل هرم مدرج ، أو تلصق به شاهد قبر مزخرف أو ملون وينحت فيه أو يكتب اسم صاحب القبر عليه .

ومما لاشك فيه أن هذه المقابر تستخدم بواسطة الفقراء ، ونجد امثال هذه المقابر البسيطة فى مختلف أنحاء العالم اليونانى . (١١)

اما القسم الثانى : وهو عبارة عن مقابر نحتت بأكملها فى الصخر (باطن الأرض) وتتكون من ممرات وحجرات جنازية للدفن ، ومن طريقة الدفن المتبعة في هذه المقابر فيمكن ان نقسم هذه المقابر إلى نوعين :

أحدهما يطلق عليه اسم مقابر العيون Loculi وتتكون عادة من ردهة طويلة ضيقة أو حجرة وكانت العيون تنحت وتحفر فى جدرانها الجانبية ، الواحدة بجوار الأخرى ، وأحياناً فى صفوف بعضها فوق بعض وهذه العيون كانت تسد بألواح من الحجر الجيرى ، بعد دفن المتوفى او وضع آنية الرماد بعد حرق صاحبها فيها ، وهذه السدادات الحجرية كانت تزخرف أو تلون على هيئة أبواب وهمية فى الغالب ، يمتزج فيها عناصر الفن اليونانى بالمصرى ، وهذا النوع من المقابر (المعروفة باسم Loculi) كان يستخدم بواسطة الطبقة المتوسطة بمدينة الإسكندرية ، واستخدمت عادة الدفن فى العيون Loculi طوال العصرين البطلمى والرومانى . (١٢)

والنوع الثانى ويطلق عليه اسم مقابر الأرائك Kline أو السرير الجنزى ، وكان مخصصاً ومستخدماً بواسطة الطبقة الأرستقراطية بالمدينة وتتألف مقابر هذا النوع - غالبا من صالة أو فناء مكشوف وغرفتين إحدهما أمامية ويطلق عليها اسم " بروستاس " Prostas أو بستاس Pastas ، والأخرى خلفية وتسمى " أويكوس " Oikos وهى حجرة الدفن الرئيسية فى المقبرة وفيها يدفن الميت ، وغالبا ماكانت تحوى التابوت الصخرى المنحوت على هيئة أريكة او سرير جنزى Klime(١٣) مما دفع شريبر الألمانى أن يقول : " إن السكندرى قد بنى مقبرته على طراز مسكنه " (١٤) .

ويقودنا ذلك للبحث عن أصل هذه المقابر التى تشبه فى شكلها وتخطيطها منازل الأحياء و فمن المعروف أن قدماء المصريين قاموا بنحت مقابرهم لشابه منازلهم فى تخطيطها منازل الأحياء ، فمن المعروف أن قدماء المصريين قاموا بنحت مقابرهم لشابه منازلهم فى تخطيطها ، وكانت المقابر فى اعتقادهم المنازل الخالدة لأرواح الأموات ، وعلى هذا لونت جدران مقابرهم بمناظر مأخوذة من الحياة اليومية للمتوفى ومن ناحية أخرى فإن مقابر الأشراف والنبلاء من الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين الفرعونيتين بمنطقة العساسيف بالضفة الغربية لطيبة ذات ملامح رئيسية يمكن أن تكون الأصل لمقابر الإسكندرية فى العصر البطلمى ، فهى تتكون عادة من فناء أو صالة مكشوفة (وفى بعض الأحيان محاطة بأعمدة مكونة بذلك بريستيل Peristyle كما هو الحال فى بعض مقابرالإسكندرية) منحوتة فى الصخر على نفس مستوى الحجرات المخصصة للدفن (١٥) ، ويؤكد عبد القادر محمد ان هذه " الأفنية أو الصالات قد نحتت فى الصخر حتى يمكن على إحدى جوانبها من نحت واجهة مناسبة للمقبرة(١٦) .

ولكن مما لاشك فيه أن مقابر الاسكندرية البطلمية مثل مقابر الملوك بنيابافوس بقبرص قد نحتت فى الصخر على نمط المنازل الهلينستية ، التى كان يعيش فيها الأفراد وهم أحياء فهى يمكن أن تكون مصرية الأصل لكنها يونانية فى عمارتها وزخرفتها .

٢. المنازل :

لم تؤدى الحفائر التى قامت بمدينة الاسكندرية حتى الأن عن اكتشاف اى من المنازل التى ترجع الى العصر البطلمى " لاسيما المكتشفة بمنطقة كوم الدكة " وربما يرجع ذلك الى أن المنازل بنيت من مواد لم تقو على فعالية الرياح الرطبة والشمس ومياه البحر لذلك فان دراسة المنازل البطلمية تعتمد اساسا على مقابر المدينة البطلمية والتى صممت على نمط منازل الاحياء التى ترجع لنفس الفترة التاريخية وعلى بقايا المنازل البطلمية والرومانية المكتشفة فى منطقة الفيوم ودراسة الأوراق البردية وعلى منازل العصر الهلنيستى المكتشفة على الأخص فى رينى وديلوس .

اذن فالمصدر الهام لدراسة عمارة منازل الاسكندرية البطلمية هى مقابرها فتخطيطها يطابق تخطيط المنازل التى أكتشفت فى العالم اليونانى من العصر الهلينستى وبالذات منازل القرن الثالث قبل الميلاد (١٧) أو منازل القرن الثانى قبل الميلاد والتى أكتشفت فى ديلوس وهى من نوع " البريستيل " (١٨) كما أن زخرفة وتلوين المقابر تحاكى نفس أسلوب الزخرف والتلوين الجدارى الذى كان مستخدما فى هذه المنازل (١٩) .

ونبدأ أولاً بمنازل مدينة برمينى (بالأناضول) الهللينستية ، فإن غالبية منازلها ترجع إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد ، وتتكون من صالة أو فناء مربع أو مستطيل الشكل فى الجانب الشمالى عادة له توجد حجرة تفتح على الصالة ، وعند مدخل الحجرة يوجد عمودان In antis وخلف هذه الحجرة تكون الحجرة الرئيسية للمنزل ـــ وهاتان الحجرتان الواحدة تلو الأخرى يمثلان " الميجارون " اليونانى ، فالحجرة الأولى هى البروستاس اما الحجرة الثانية أو الرئيسية هى الأويكوس ، وعلى جوانب الصالة أو الفناء الذى يضئ المنزل توجد مخازن المنزل . (٢٠)

واكد العديد من الباحثين والدارسين العلاقة بين عمارة المنازل التى ترجع إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد (من برينى) وبين المقابر السكندرية البطلمية ، فنجد ان تخطيط مقابر الورديان ـ الانفوشى ـ الشاطبى ـ سيدى جابر تحتوى على عناصر المنزل اليونانى فهى مكونة من فناء Aule ، وحجرة أمامية Prostas أو Pastas ، وحجرة دفن رئيسية Oikos كلها محفورة فى الصخر على محور واحد وهى صفة من صفات منازل برينى ، بل ويؤكد أن هذا النوع من المنازل كان مستخدماً فى الإسكندرية البطلمية .[٢١]

أما النوع الثانى من المنازل وهو من النوع البريستيل Peristyle واكتشافات المدرسة الفرنسية فى ديلوس اعطتنا صورة واضحة عن منازل هذا النوع والتى ترجع إلى القرن الثانى قبل الميلاد ، فالمنزل فى ديلوس يتكون من صالة اوفناء مركزى محاط عادة بأعمدة دروية من جميع الجوانب وهو المعروف باسم بريستيل ، ووزعت الحجرات حول هذا الفناء من جميع جوانبه الأربع ، ويمكن الوصول إلى هذا الفناء المحاط بأعمدة من خلال ممر يفتح على الشارع مباشرة [٢٢].

وقام ادرياتى Adrinai بدراسة وافية ودقيقة لهذا النوع من المنازل الهلينستية [٢٣] ، ووجد ان تخطيط مقابر الإسكندرية البطلمية مثل مقابر أنطونيادس ومصطفى باشا رقم (١) ورقم (٤) ـ المكس ـ وزفت المتين ـ وكاب زفريون يطابق تخطيط المنزل الهلينستى من ديلوس الذى يرجع إلى القرن الثانى قبل الميلاد .

فهذه المقابر تتكون من صالة أو فناء محاط بأعمدة من جميع الجوانب ومن نوع البريستيل محفور فى الصخر ، كما أن حجرات الدفن موزعة حول هذا الفناء من جميع الجهات ، فهذه المقابر مثل مقابر الملوك فى نياباقوس[٢٤] يتكون فناؤها من أربعة أعمدة (وانصاف أعمدة كما فى مصطفى باشا رقم (١) دورية Doric فى كل جانب من جوانبها الأربعة ، منحوت فوقها العارضة Architrave و ويعلوها الإفريز Frieze

الدورى Doric المزين بلوحات مربعة Metopes والدعامات الثلاثة وهى ال Triglyphs ، وكل هذه العناصر مفحورة في الصخر على جوانب الفناء الأربعة لتزينه من الداخل .

وعلى ذلك فيمكننا تقسيم منازل الإسكندرية البطلمية من خلال أشكال مقابر المدينة على النحو التالى :

(١) نوع الايكوس Oikos type

وهذا النوع تمثله مقابر سيدى جابر ـ الورديان ـ الأنفوشى ـ مينت البصل رقم

(١) ـ مصطفى باشا رقمى (٢) (٣)

(٢) نوع الإيكوس ـ بريستيل Oikos _ Peristyle type

وهذا النوع يظهر فى مقابر الشاطبى ، ومصطفى باشا رقم (٤)

(٣) نوع البرستيل : Peristyle type

ويمثل هذا النوع مقابر كاب زفيرون ـ انطنيادس ـ والمكس .

(٤) نوع بريستيل غير كامل : Pseude _ Peristyle type

ويظهر بوضوح فى مقبرة مصطفى باشا رقم (١) ونقول إنها من نوع شبه برستيل ، حيث إن فنائها المربع الشكل تحيط به بواكى تحملها أنصاف أعمدة على الطراز الدورى Doric لكن نوع البرستيل فيتكون من اعمدة حرة قائمة ، مافى المقبرة فإن أنصاف أعمدتها مسنودة على جدران منحوتة فى الصخر ، وبمنطقة كوم الدكة توجد صالة مماثلة لفيلا من العصر الأوغسطسى [٢٥] .

ويؤكد بريتشيا E . Breccia [٢٦] أن مقبرة الشاطبى التى ترجع إلى النصف الأول من القرن الثالث أى حوالى عام ٢٦ ق.م وأنها تحوى كل عناصر المنزل اليونانى

من مدخل ودهليز paradomis ، وفناء Aule وحجرة أمامية Prostsas ، وحجرة دفن رئيسية Oikos كما أنها تشبه بيتآ إغريقيا ذا زخرفة مكونة من عناصر معمارية تتألف من انصاف اعمدة وأيونية بينها نوافذ وأبواب وهمية .

ونحن قد وصلتنا برديتان يتعلق موضوعهما بالمنازل البطلمية ، فنجد أن المنزل البطلمى من خلال وصفه على ورق البردى يتكون من حجرة معيشة Tpix ivos وحجرة أمامية Prostas ، ثم حجرة رئيسية Tamietov ومن هذا الوصف نجد ان المنزل يتشابه فى تخطيطه مع منازل القرن الثالث والمعروف لدينا من برينى (٢٧) .

اما مجموعة زينو من البردى ، فهى تشير بوضوح إلى شكل المنزل فى منطقة ثيادلفيا بالفيوم ، فنجد ان المنزل يتكون من حجرة أمامية " بروستاس " وحجرة خلفية " أويكوس " وهو النوع المعروف لدينا من برينى ويرجع إلى القرن الرابع والثالث قبل الميلاد ، ويجب هنا أن نشير إلى مجموعة زينو للبردى اكتشفت عام ١٩١٥ وهى ترجع إلى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد (٢٨) .

٣. المعابد :

اما المعابد اليونانية فلم يبق منها شئ يستحق الذكر ، على الرغم من ان الإسكندر الأكبر (كما تحدثنا المصادر القديمة) والبطالمة قد شيدوا معابد للآلهة اليونانية فى الإسكندرية وبطوليميموس ومنف لقد بنيت معابد لكل من زيوس وهيرا وبوسيدون وبعض الآلهة اليونانية .

لكن لسوء الحظ لم تكشف الحفائر الأثرية عن أى معبد يونانى كبير وإن كانت أزاحت الستار عن معبد دورى صغير لم يتأثر بالعمارة المصرية ، وقد كشفت الحفائر عن بقايا كل الطرز اليونانية (دورية ـ ايونية ـ كورنثية) وعن التيجان للأعمدة تختلط

فيها عناصر العمارة اليونانية بالعمارة المصرية ـ لكننا نشك فى ان هذا النوع الأخير المركب قد استخدم فى معابد يونانية ، حيث أن اليونانيين حرصوا على أن يكون طابع معابدهم يونانياً خالصاً . . (٢٩)

وقد أضاف البطالمة ـ مقلدين فى ذلك فراعنة مصر القدماء ـ من المبانى إلى المعابد المصرية ، ففى معبد الأقصر أقيمت مقصورة على الطراز المصرى من عهد الإسكندر الأكبر وفى معبد الكرنك بنيت مقصورة على الطراز المصرى أيضاً أيام فيليب أرهيدايوس باسم الإسكندر الرابع . وفى شمال المعبد بنى بطليموس الثالث الباب الخارجى لمعبد بتاح ، كما بنى بطليموس الثالث بوابة معبد خنسو وشيد بطليموس السابع معبد الآلهة أبيت بالقرب من معبد خنسو (٣٠) .

ولكن البطالمة بنوا معابد كبيرة فى دندرة ودير المدينة (البر الغربى بالأقصر) ، واسنا ، وكوم أمبو ، وأسوان ، وفيلة ، وهذه المعابد أقيمت للآلهة ، وكانت مصرية صميمة فى تخطيطها وعمارتها وزخرفتها وامتازت أعمدتها بزخرفة تيجانها المركبة والتى بدأ المصريون فى استخدامها ابتداء من العصر الصاوى .

ثانياً : النحت

على الرغم من أن الآثار التى وصلتنا من حفريات الإسكندرية قليلة إلا أنها تؤكد على قيام نهضة فنية فى مدينة الأسكندرية البطلمية فحكمت مصر أسرة البطالمة التى استمرت حتى عام ٣٠ ق.م وكانت الأسكندرية ، عاصمة البلاد ، فكانت أكثر من غيرها من المدن المصرية ثقلا للحضارة اليونانية التى لم تكن جديدة على مصر فعن الاتصال بين الحضارة المصرية والحضارة اليونانية بدأ قبل تأسيس مدينة الإسكندرية بزمن طويل ، لكن من المعروف ان اليونانيين حضروا إلى الإسكندرية واستقروا بها منذ بداية عصر البطالمة وحملوا معهم عاداتهم وتقاليدهم وآلهتهم ، ويسر ملوك قدوم الفنانين إلى

الإسكندرية ، العاصمة الجديدة كما شجعوا على حضور كل من العلماء والأدباء إليها ، بل والبقاء في البلاد ، عن طريق تيسير سبل العيش لهم ، ولما كانت عاصمة البلاد مدينة جديدة وقد على نظام المدن اليونانية ، أراد الملوك البطالمة الأوائل تزيينها وتجميلها كي تضاهي المدن الأخرى في أنحاء العالم اليوناني القديم ، لذلك حضر للمدينة العديد من الفنانيين طلبا للرزق وقد رحب الملوك البطالمة بهم [٣١] .

وغالبية هؤلاء الفنانيين الذين جاءوا للمدينة درسوا أصول الفن في بلاد اليونان ، ومنهم من تتلمذ أو تأثر بأسلوب فناني بلاد اليونان في القرن الرابع قبل الميلاد امثال براكسيتيليس* وسكوباس** وليسبوس*** وغيرهم .

فلدينا العديد من التماثيل التي تظهر إلى أي تأثر فناني الإسكندرية الأوائل بمدارس الفن ببلاد اليونان في تلك الحقبة التاريخية ، فمن الأعمال التي تأثرت بمدرسة براكسيتيليس رأس من الرخام لكاهنة (محفوظة بالمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية) يمثلها أمامياً وهي تميل برأسها قليلاً إلى اليمين لإعطاء الحركة ، والجزء الأعلى من الجبهة وشعر الرأس مغطى بغطاء للرأس تظهر الرشاقة في النحت إلى جانب الجمال الهادئ وهما من خصائص براكسيتليز الفنية ، ولدينا مثال بمتحف افسكندرية أخر ينتسب لنفس المدرسة الفنية ، وهو تمثال نحت من الرخام للأله ديونيوس (مفقود الرأس) ويلاحظ أن الجسم متكئاً على رجل واحدة بينما تبدو الرجل الثانية منثنية عند الركبة ، كما ظهر تأثير تلك المدرسة في تماثيل التناجرا (وسوف نتحدث عنها فيما بعد) المصغرة .

أما الأعمال التي تأثرت بمدرسة سكوباس ، فإن راس الشاب الرياضي (والموجودة بالمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية) بما فيها من وقار ثم إظهاره عن طريق استدارة الوجه ، وامتلاء الخدود ، ونحت العينين العابستين ، إلى جانب الحافة البارزة قليلاً لإظهار قوة المشاعر والعواطف الإنسانية .

والفنـان الثالـث الـذى تـأثر بـه الفـن فـى مدينـة الإسـكندرية البطلميـة هـو ليسبوس (ومحفوظ بـالمتحف اليونـانى الرومـانى بالإسكندرية رأسـان) رأس يقـال أنـه للإسكندر الأكبـر اكتشفت فـى أبـى قير وهـو مـن الجرانيـت الـوردى ، الـشعر الطويل والعينـان مجوفتـان (ممـا يـدل علـى انهمـا كانتـا مزججتـان Inlaid) وهـذه الـرأس وإن كانت متأثرة بالفن المصرى من حيث المادة وأسلوب العينين إلا أنهـا دليل علـى أثـر هذا الفنـان الـسكندرى وتوجـد رأس أخـرى بـالمتحف مـن الرخـام الـبيض للإسكندر تظهـر بوضوح أسلوب ليسبوس الفنى [٣٢] .

إذن فقد كانت بمدينة الإسكندرية البطلمية مدرسة للنحت تدين بـالفضل لفنـانى بـلاد اليونان من القرن الرابع قبل الميلاد ، غير أن هذه المدرسـة (الإسكندريـة) الفنية مالبثت أن اكتسبت طابعاً فنيـاً خاصـا ، ويتلخص هذا الطـابع ، فـى أن تماثيلهـا فـى بـادئ الأمـر كانت صغيرة الحجم ، وفى عدم إظهار الوجه والجسم أو تفـصيلات الـشعر ، إلـى جانـب ان السطوح كانت تـصقل صـقلاً تامـاً ، وهـو مـايطلق عليـه Sfomato أى التفاعل بين الظل والضوء ، فمن المعروف أن التماثيل بعد نحتها تلون بالألوان المناسـبة فمثلاً رأس تمثال الأله اسكليبيوس (المحفوظة بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية) تظهر فيها قوة التعبير ، بالرغم من اختفاء اللحية التى كانت مصنوعة غالبـاً من مـادة المـصيص أو الجبس لتكمل رأس التمثال ثم تلون فتظهر كاملة ، فالفنان السكندرى كان يرمـى لإظهـار قوة التعبير [٣٣] .

وتشير الدلائل إلى أنه بجانب الفن الرسمي وهو فن نـحت تماثيل الآلهـة اليونانيـة وتماثيل الملوك والملكات مـن البطـالمة ، والذى كـان اتجاهـه نـحو إظهـار المثاليـة وهـى كانت متوفرة في الأصول اليونانية ، ظهر في الإسكندرية البطلميـة فن واقعى يمكن أن نطلق عليه الفن الشعبى ، حيث اهتم بنحت المرء بجنسه وطبعه ومهنته ، فمن المعروف أن أجناساً متباينة وفدت إلى البلاد وهذه الوفود استرعت انتباه الفنانين ، ممـا كـان حـافزاً

لهم بتصوير هم كما هم ، فنجد فى المتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية تماثيل أو رؤس تماثيل لنوبيين وأحباش ، وليبيين وأشخاص أسيويين أيضا (٣٤) .

ومما لاشك فيه أن الفن الشعبى قام به مجموعة الحرفيين أو الصناع وليس فنانون بالمعنى الصحيح ، حاولوا تصوير البيئة السكندرية فى هذه الفترة التاريخية كما هى ، واستخدموا مادة رخيصة الثمن وهى الطين المحروق Terra _ Cotta كى يستخدمها فقراء المدينة فى تزيين منازلهم بها وليس الأغنياء الذين كانوا يفضلون تزيين منازلهم بتماثيل من الرخام أو الذهب أو الفضة أو البرونز .... إلخ ولذلك قام هؤلاء الصناع بتقليد تماثيل الآلهة اليونانية والمصرية ، وبتقليد أوجه الحياة المختلفة ولذلك من خلال هذه القطع الفنية من الطين المحروق يمكننا التعرف ودراسة الحياة الاجتماعية بمدينة الإسكندرية البطلمية ، ومن اجمل ماأنتج هذا الصانع السكندرى التماثيل الفخارية الملونة الصغيرة الحجم والمعروفة باسم " التناجرا " (نسبة إلى مكان ثورها بمدينة تناجرا بإقليم بوشيا ببلاد الثونان) ، والتى انفردت بتقديم سيدات المجتمع فى العصر الهلينستى مرتديات الملابس اليونانية اليهماتيون Himation والخيتون Chiton إلى جانب الاهتمام بتسريحات الشعر فى ذلك العصر ، وتمتاز تماثيل السيدات هذه بأنها ترتكز أجسامهن غالبا على الساق اليسرى ، وملابسهن تغطى الجسم كله وتنساب ثنياتها إلى أسفل فى ببساطة وهى تجمع (أى الملابس) بين اللونين الأزرق والروز الفاتح ، أما تسريحات الشعر المختلفة فقد لونت غالبا باللون الأحمر ، وقد صنعت هذه التماثيل المصغرة بالقوالب واستخدمت بواسطة الأحياء لتزيين منازلهم ، وبعد الممات توضع فى القبر مع المتوفى ، لإدخال السرور على الموتى ، فهل هذه العادة أخذت من المصريين القدماء الذين اعتادوا على وضع تماثيل الجاويين بمقابرهم والمعروفة باسم Oshabti أوشابتى أو شاوبتى ؟ (٣٥)

ويمتاز فن النحت السكندرى بتصويره لأطفال البشر ، على الرخام والطين المحروق (الأمثلة متعددة بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية) فقام الفنان بتصوير الأطفال فرادى وهم فى أوضاع مختلفة فمنهم من يلعب مع البط او الأوز أو يركب البط أو الكلب أو الدرفيل إلى جانب أمثلة عديدة من تماثيل كيوبيد الطفل كما قام الفنان بنحت تماثيل للأقزام والممثلين إلا أنه وصل إلى حد المبالغة فحاول إظهار عيوب الجسم البشرى فمثلاً قام بعمل تماثيل للأحدب ، والنساء البدينات كما بلغ فى إظهار الأنف والشفاه لحد السخرية لذلك يمكن أن نطلق على هذا النوع الأسلوب الكاريكاتورى . وهذا الأسلوب امتداد لتصوير الآلهة أيضاً فى الصورة قبيحة الهيئة والمنظر ، كالآله بس Bes وزوجته الإلهة بيسا Bessa فإن الفنان السكندرى وجد فى هذا الآله وهذه الآلهة موضعا للدعابة ، فصورهما يرقصان أو يضربان على طبلة صغيرة ، والجسم كان مشاها قصيرا سمين ــ ذى خدود ممتلئة ــ ولسان عريض متدل خارج الفم ــ الأعين كبيرة ــ يعلو الرأس تاج من الريش ، والآله يحمل عادة فى يده اليسرى خنجر أو سيف قصير ، وقد نحتا على هذه الصورة فهما لطرد الأرواح الشريرة ، وبالذات على الحبالى أو الأطفال حديثى الولادة إلى جانب إدخال البهجة والسرور . (٣٦)

لكن الآثار المتبقية تدل على ان الفنان اليونانى لم يحتكر فن النحت فى العصر البطلمى ، كما لم يفرض على المصريين فنونهم بل ظل الفنان المصرى يزاول نشاطه وينتج فنه حسب تقاليده الموروثة منذ زمن ليس بقصير ، سواء أكان ذلك فى نحت التماثيل أو فى النحت على جدران المعابد أو على الشواهد الجنازية لكن مما لاشك فيه العناصر اليونانية امتزجت مع العناصر المصرية ويبدوا ذلك واضحا فى قطع العملة ، فنجد فى العملة السكندرية البطلمية على سبيل المثال قرص الشمس وزهرة البشنين (اللوتس) وهى عناصر مصرية لكن أسلوب العملة يونانى (٣٧).

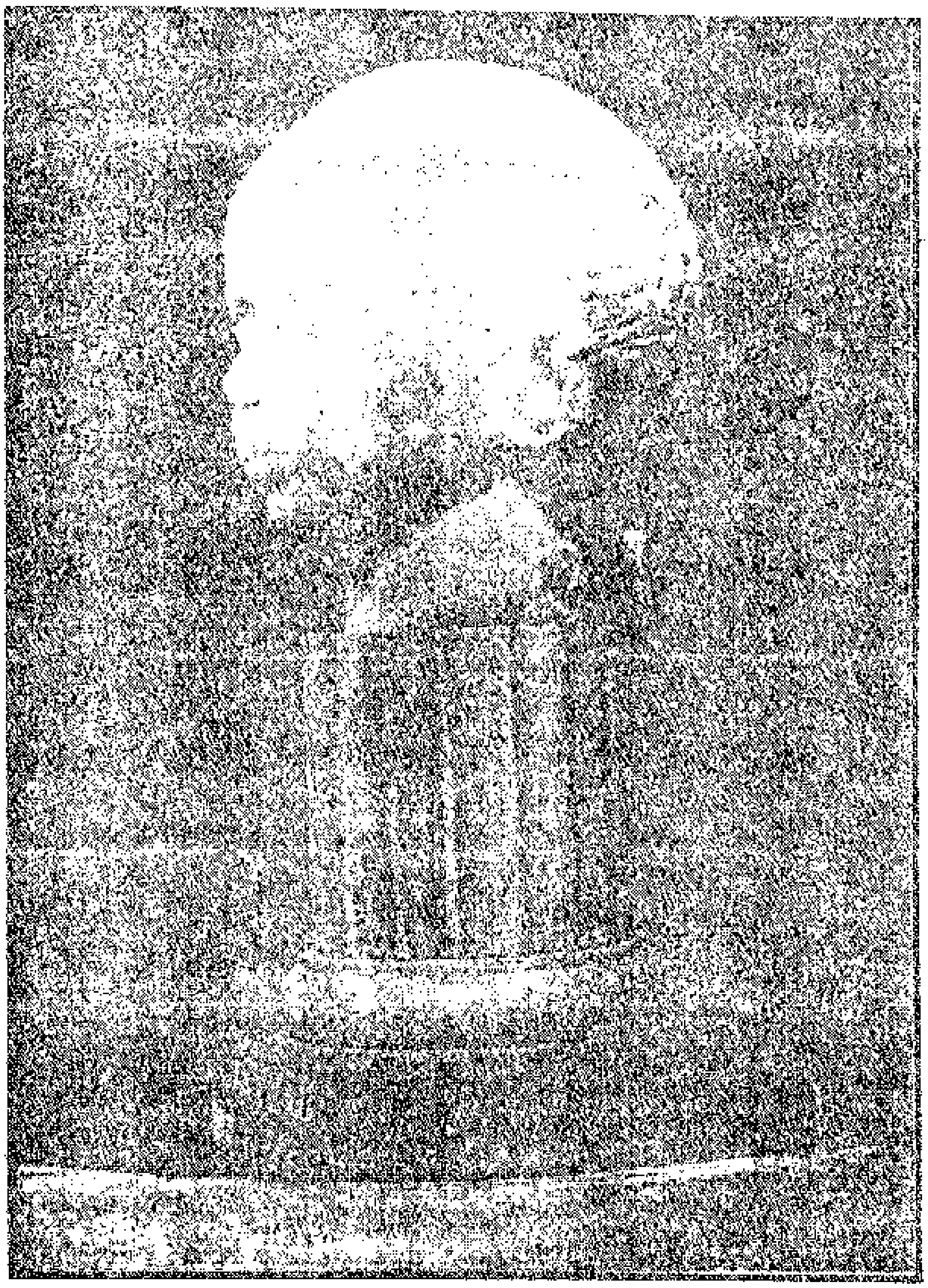
ولم يقف الامتزاج عند هذا الحد بل تعداه إلى المنحوتات ، فاستخدمت الأحجار المصرية الصلبة كالجرانيت وغيره فى نحت تماثيل للإسكندر الأكبر من الجرانيت لكن الأسلوب يونانى (كما رأينا) ، وقطع أخرى تصور بطليموس الرابع من الجرانيت الوردى ، والأسلوب مصرى ماعدا خصلات الشعر فقدمت باسلوب يونانى ، وقطعة ثالثة تصور بطليموس الخامس من الجرانيت أيضاً وأسلوب النحت يجمع بين الأسلوب المصرى واليونانى وهناك تمثال أخريصور ملكة من أسرة البطالمة بطراز مصرى (وهذه القطعة محفوظة بمتحف الإسكندرية) ويرجع ذلك المزج الفنى فى استخدام المادة والعناصر والأساليب الفنية إلى التعايش الذى تم بين يونانى الإسكندرية والمصريين (علما بأن الأسلوبين المصرى واليونانى قد امتزجا فى قطع قليلة ولم يكن هذا شائعا) فهذا الامتزاج لم يكن موفقاً إذ كان كل من الفنانين اليونانيين أو المصريين مهتما بحضارته ، وأسلوبه الفنى لإعلاء شأنها لذلك عندما تدهور حكم البطالمة تدهور فنهم ، وعندما قويت وطنية المصريين بعد معركة رفح فى عام ٢١٧ ق.م نهض فنهم مرة آخرى ويمكن القول أن الفن المصرى عاش جنبا إلى جنب مع الفن اليونانى وكل منهما متميزا عن الآخر فى أسلوبه . (٣٨)



(شكل ١) رأس زنجى من انتاج مدرسة الإسكندرية



(شكل ٢) رأس لرجل من بلاد الغال بالمتحف المصرى بالقاهرة



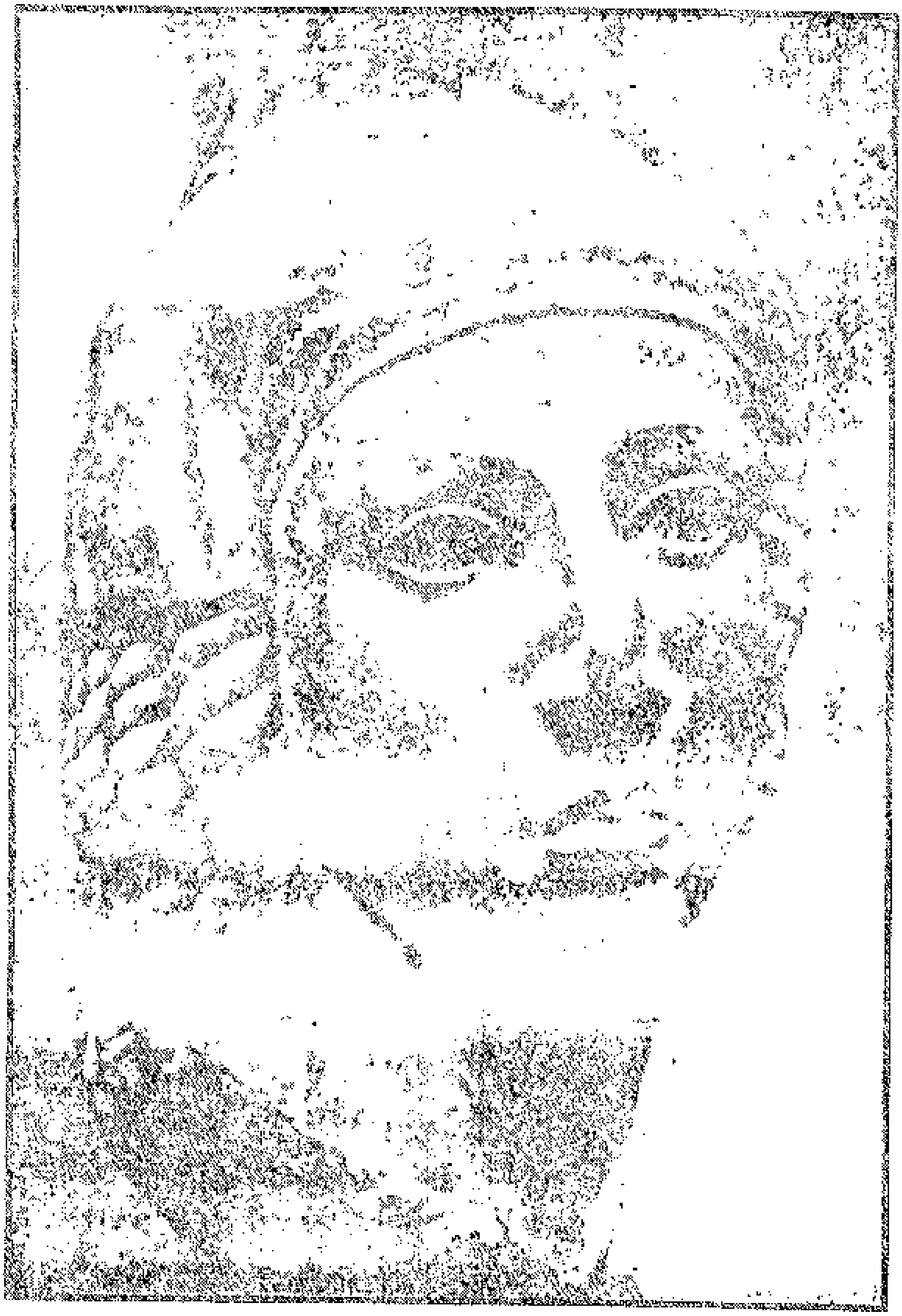
(شكل ٣) رأس طفل من الرخام بمتحف كلية الآداب بالإسكندرية



(شكل ٤) تمثال من مجموعة تماثيل التناجرا بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية



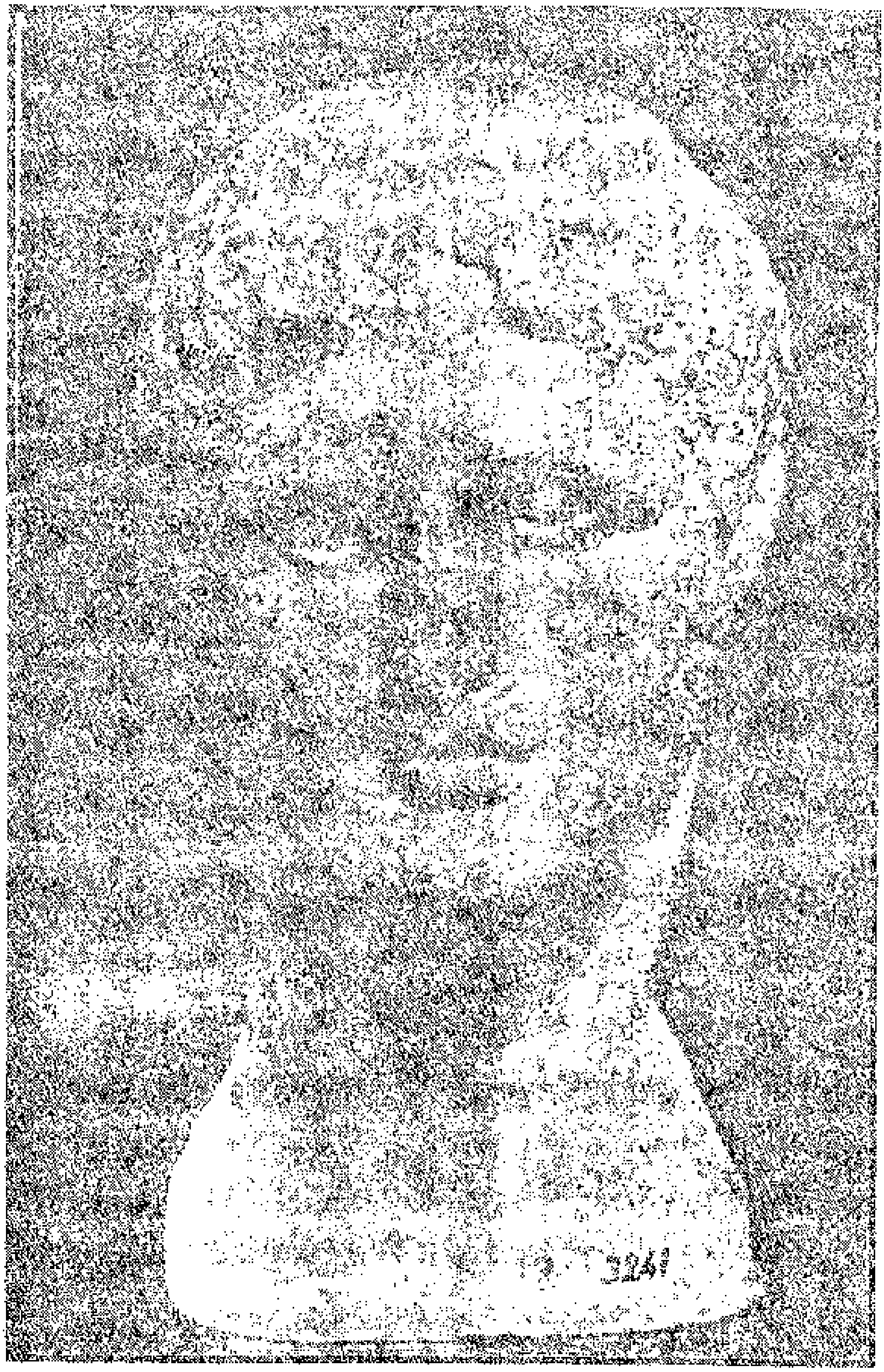
(شكل ٥) كاريكاتور مضحك من انتاج مدرسة الإسكندرية
بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية



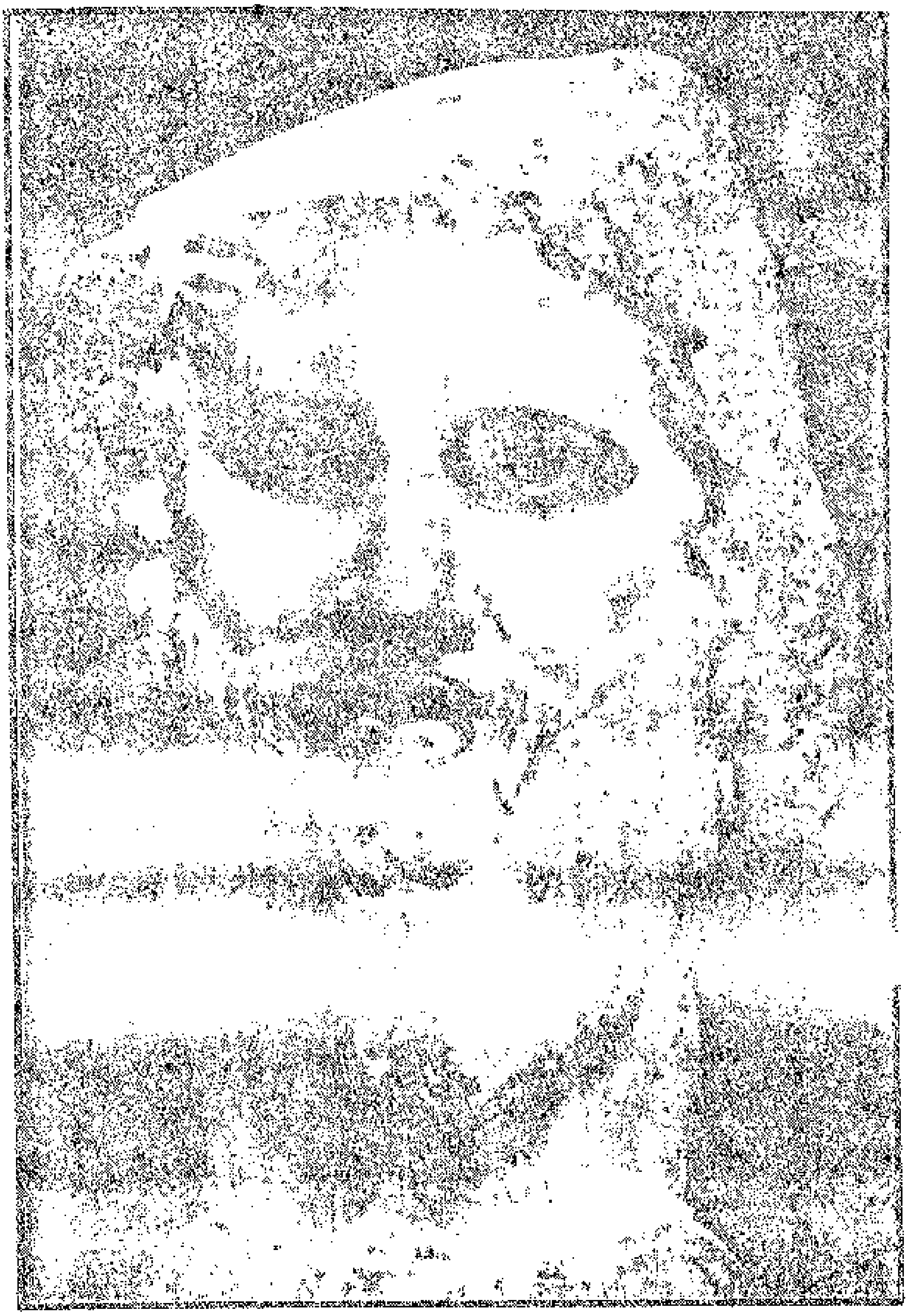
(شكل ٦) " كاهنة " بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية



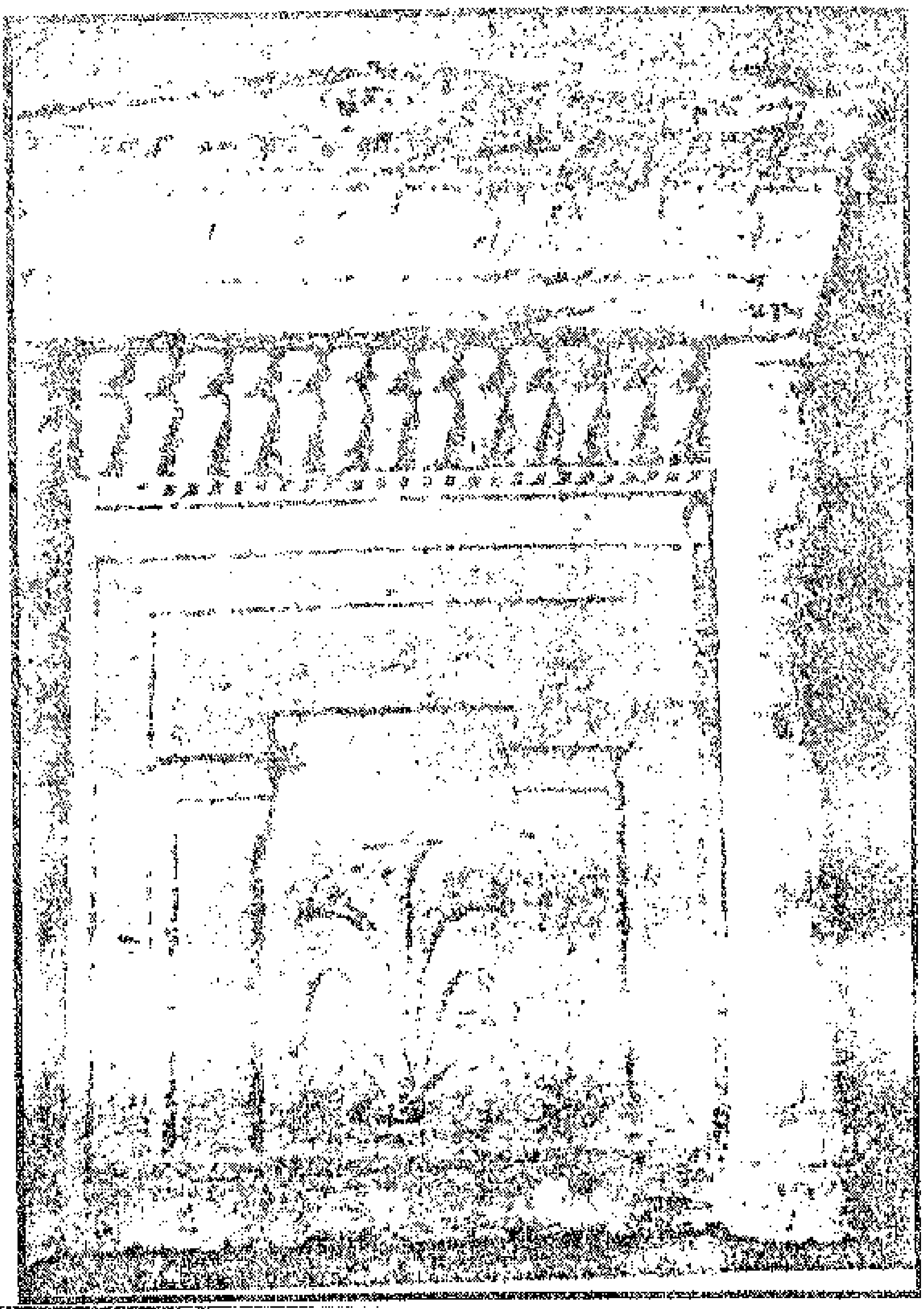
(شكل ٧) رأس لسيدة من العصر البطلمي يبدو في ملامح وجهها الشعور بالالم بالمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية



شكل (٨) رأس شاب يبدو فيه آثار مدرسة سكوباس ، بالمتحف



(شكل ٩) رأس للإله اسكليبيوس توضح اقتصاد الفنان الاسكندرى فى استخدام الرخام بالمتحف اليونانى الرومانى بالإسكندرية



(شكل ١٠) شاهد لمقبره يونانية على طراز المعابد الفرعونية بالمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية .

Footnotes

(١) E. Breccia ، Alexandria ad Aegyptum ، Bergamo 1922 ، p ، If .

(٢) عن الاسكندرية فى العصر البطلمى انظر ، دكتور لطفى عبد الوهاب ، كتاب تاريخ الاسكندرية منذ أقدم العصور ـ اسكندرية ١٩٦٣ .

(٣) أنظر : هـ . ايدرس بل ، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ' ترجمة د. محمد عواد حسين ، ودكتور عبد اللطيف احمد على ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٦٣ وبعده .

(٤) P.M.Fraser , Ptolemaic Alexandria , oxford ١٩٧٢ ,١،١٢-٣،٣١-٤

(٥) وكان مدير المتحف اليونانى الرومانى فى المدة من ١٨٩٢ الى ١٩٠٧م

(٦) وكان مدير المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية عن المدة ١٩٠٨ الى ١٩٣٤ م

(٧) وكان مدير المتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية من ١٩٣٥ الى ١٩٥٣ م

(٨) عن المقابر الاسكندرية انظر رسالة الدكتوراة للدكتور الحسين ابو العطا بعنوان

The Origins of the Alexandrian ptolmaic Hypogea .

من جامعة وارسو عام ١٩٨٣ والدكتور ابراهيم نصحى ، مصر فى عصرالبطالمة جـ ٤

(٩) عن اكتشافات الحضرة Adriani ,AMGR,1935,6 SF.;CF

Adriani ، amgr 1940 _50 If ، cf ، A،C ، Merriam ، Vases ، A،J،A،I، 1885 ،18F

(١٠) E، Breccia ، La necropoli di Sciatbi ، Cat ، general des Antiquites Egyptienne Musee d` Alexandrie ، Service des Antiquites de I`Egypte ،Caire ، 1912 .

(١١) عن هذا النوع من المقابر الذى وجد فى تورينه انظر :

A، Rowe ، The round ، rectangular ، stepped and rock _cut tombs at Cyrene ، Cyrenaican Expedtion of the university of Manchester 1952 ،6f ;J،Cassels ، The Cemeteries of Cyrene papers of British School in Romem Vol ،XXIII ، London ، 1955 ، 17 .

(١٢) انظر د. ابراهيم نصحى ، الكتاب السابق ، والدكتور هنرى رياض آثار الاسكندرية فى العصر البطلمى فى كتاب تاريخ الاسكندرية منذ أقدم العصور ١٤٤ وبعده .

(١٣) انظر د. ابراهيم نصحى ، الكتاب السابق

(١٤) Th . Schreiber ، Ex، Er ،s،15 ، 3 F.

ان السرير الجنزى أو الاريكة قدمت كثيرا على الاختام وعلى الجدران الملونة أو منحوتة وعن تاريخها فى مصر الفرعونية وبلاد اليونان أو فى حضارة الاتروسكيين والرومان

انظر : S . Reinach Repertioire de peintures، ، grecques et romains ، Paris ، 1922 ، p ، 316 .

(١٥) M. Bietak ، E،Reiser _Haslauer ، Das Grab des Anchoh Hor I، en – Amun .

(١٦) M. A.Oader Muhammed ،Two Thebian Tombs Kyky and Bak _en Aumn ASAE ، Lix 1966 ، 169 F.

(١٧) M، Nowicka ، La Maison Privee dens L ،Egypt Ptolemaique ، 69

(١٨) روبرتسون أكد أن البريستيل كان مستعملا فى قصور برجامون والاسكندرية ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد D.S .Robertson , A Handbook of Greek and Roman Architecture , Cambridg 1929 ,P.300

(١٩) ان فن التلوين الجدارى فقد نسبت للاسكندرية أغلب الأساليب المعروفة باسم طرز بومبى مدينة بومبى دمرها بركان فيزوف عام ٧٩م " فاطراز الاول البومبى يقتصر على تصوير الرخام والأشكال الهندسية يظهر بوضوح فى مقبرة الأنفوشى رقم (٢)فنجد الحجرة الأمامية Prostasوالمواجهة لسلم المقبرة قد غطيت جدرانها ولونت من أسفل الى أعلى فنجد

كورنيش فى الجزء السفلى يعلوه افريز يحاكى فى تلوينه الرخام ويعلوه شريط يحمل اعلاه الافريز آخر لون ليحاكى قطع الحجارة المربعة أو المستطيلة على التوالى كرقعة الشطرنج ثم يعلوه السقف المقبب الذى لون مكون من مثمنات مرسومة تحصر بنيها مربعات أما الطراز الثانى البومبيى فيظهر بوضوح فى مقبرة سيدى جابر فى حجرة الدفن الرئيسية الأويكوس وفى مقبرة الشاطبى وفى مقبرة الأنفوشى رقم (٥) بحجرة الدفن الأولى التى ضمت تصويرً لبعض أنواع الأشجار والأزهار أما عن الطراز الثالث والرابع فلم يعثر عليهما فى الاسكندرية وعن الطراز البومبية أنظر :

Peters ، white ، C، L ، Ragghiant ، thepainters of Pompeii ، Milan 1964

If Th ، Wigand ، H، Schrader ، Priene ، Ergebnisse der Ausgrabungen an Untersuchungen in den Jahren 1895 _ 98 ، Berlin 1904 ، 328 .

(٢١) أنظر نوفسنكا M. Nowicka الكتاب السابع ص ١٧٤

(٢٢) Delos ، VIII ، I ، 1922 ، VIII ، 2، 1924 ، cf ،E، Gardner ، the Greek house ، JHS ، 21 ، P ، 293f.

(٢٣) A ، Adriani ، AMGR ، 1935 _40 .

(٢٤) Maria Hadjisavva ، the tombs of the kings ، Nea Paphos 1980 ، If .

(٢٥) M. Rodziewicz ، Alexandrie 1974 , in Etudes et Travaux , x, 1975 , 381 _ 386 ، Plan 5 .

(٢٦) بريتشيا ، المرجع السابق

(٢٧) نوفيسنكا M.Nowicka المرجع السابق ، ص ١٥١

(٢٨) N. Lewis ‹ New Light on the Greek house from the zeno papyri ‹ AJA‹37 ‹ 1933 ‹ 397F .

(٢٩) أنظر :

Th ‹ Fyle ‹ Hellenistic Architecture ‹ Cambridge 1959

W‹ Stevenson _ Smith ‹The art and the Architecture of Ancent Egypt ‹ London ‹ 1958 .

(٣٠) أنظر د. ابراهيم نصحى ، المرجع السابق

(٣١) انظـر : ادريـس بـل ، ترجمـة د. زكـى علـى ، الفـن فـى الهلينيـة فـى مـصر ، دار المعـارف ، صــ٤٥ وبعده ، كذا أنظـر د. فـوزى الفخرانـى ، الفن فـى الاسـكندرية فـى العصرين اليونانى والرومانى ، تاريخ الاسكندرية منذ أقدم العصور اسكندرية ١٩٦٣ .

CF . Breccia ‹ op ‹ cit ‹ CF. Bell Cults and creeds in Groeco ,Roman Egypt‹ ‹ liverpool 1954‹p‹12

CF .Bieber ‹ The Art in Hellenistic age ‹ Princeton 1959 ‹ p ‹ 78‹ f .

* براكسيتيليس Praxiteles وهو مثال أثينـى يرجـع الى ٣٣٠ ق.م واعتبر مـن أروع مثـالى القرن الرابع قبل الميلاد ومن أشهر اعماله (١) تمثال هيرميس يحمل ديونيسوس الطفل وعثر عليه فى وسط معبد " هيرا " فى اوليمبيا (٢) تمثال أفروديت Aphrodite فقام هذا المثال بنحته تمثالين للآلهة افروديت احداهما لجزيرة كنيدوس Knidos ويعتبر هذا المثال أول من جرد الالهات والنساء من ثيابهن (٣) تمثال ساتير Satyr (٤) تمثال أبوللون Sauroktonos وكان مصنوعٌ من البرنز وهو تمثال من تماثيل العبادة وفيه مثل ابوللون عارى الجسم ولين الحركات .

** سكوباس Scopas وقد ولد فى جزيرة Paros وقد بلغ شهرته حوالى عام ٣٨٠ ق.م وكان منافسا لبراكسيتيليس ومن أشهر اعماله (١) تمثال Manade الموجود بمتحف درسلان بالمانيا الغربية (٢) تمثال للاله وقد مثل وهو جالس ورفع رجله اليسرى وشبك يديه أمام ركبته (٣) اعماله المعمارية فقد اشترك فى أ_ تصميم وتزيين الفريز والواجهة المثلثة بمعبد الالهة اثينا باجينا ب_ معبد الالهة ارتميس فى افسوس جـ _ ساهم فى بناء ضريح الملك ميزان فى عام ٣٥٠ ق.م .

*** ليسيوس Lysippus ولد بمدينة سيكيون عام ٣٧٥ ق.م وكانت فترة نشاطه فى عصر الاسكندر المقدونى واشهر اعماله (١) تمثال ابوكيمينوس (٢) تمثالى الاله هرقل Heracles Farnese و Heracles Epitrapezios (٣) تمثيل الاسكندر الاكبر النصفية .

(٣٢) انظر د. هنرى رياض ، الفن الهلينستى فى محيط الفنون ، جـ ١ صـ ٦٧ وبعده

CF ، K ، Michalowski ، Aleksandria ، Wavsaw 1970 ، If .

(٣٣) د. هنرى رياض ، المرجع السابق

(٣٤) J . P ، Beazley ، B، Ashmole ، Greek sculpture and paintings to the end of Hellenistic period ، Cambridge 1932 _ p _ 161 f .

(٣٥) Breccia E، op ، cit ، p ، 184 CF ، Beazley ، op ، cit .

(٣٦) انظر د. فوزى الفخرانى ، المرجع السابق ، والدكتور هنرى رياض ، المرجع السابق.

(٣٧) انظر الدكتور ابراهيم نصحى ، المرجع السابق.

(٣٨) انظر الدكتور ابراهيم نصحى ـ المرجع السابق.

أوانى الحضرة وعادة حرق الموتى

أوانى الحضرة وعادة حرق الموتى

فى مدينة الإسكندرية البطلمية

أوانى الحضرة وعادة حرق الموتى

اكتشف فى مقابر الإسكندرية البطلمية , وخارج أسوار المدينة القديمة , وبمنطقة الحضرة بالذات , طرازان من الأوانى التى صنعت من الطين المحلى , وقد سميت هذه الأوانى الفخارية بأسم المكان الذى اكتشفت فيه , وهذه الأوانى كانت مخصصة لحفظ رماد الجثث بعد حرقها , ثم وضعت فى المقابر .

وفى **النوع الأول**، كان سطح الاناء الأصفر أو الضارب إلى الحمره يزخرف باللون الأسود او البنى ورسم عليها اللولبيات أو الأزهار وسعف الخيل او الخيول المجنحة او رأس إنسان أو مناظر اخرى مختلفة :

أما **النوع الثانى** ، فيتميز بوجود سطح ابيض يستخدم كخلفية الزخارف متعددة الألوان ورعى فيها المنظور، وكذلك الظل فى أسلوب الرسم وقد رسم عليها أحد فروع الأشجار أو الأزهار او أحد الدروع او الأسلحة أو أحد الأوانى التى استخدمت فى احتفالات الباناثينايا .

وهذه الأوانى كانت مخصصة لحفظ رماد الجثث بعد حرقها ، وهى من النوع المعروف باسم Hydria وهو إناء له ثلاث حلقات وكانت بعد ملئها برماد الجثث المتخلفة عن عملية الحرق، توضع فى فجوات مستطيلة أو مستديرة فى حوائط المقبرة أما بالنسبة للأطفال فكانت أوانيهم توضع فى أرضيات وممرات المقبرة ثم تغطى بالحجر .

ومن دراسة أوانى الحضرة الفخارية نجد أنفسنا أمام حالات فردية تعكس عقيدة صاحبها فكل آنية من تلك الأوانى تحوى رماد جثة واحدة فرضتها فلسفة صاحبها للموت والعالم الآخر ، فبعض هذه الأوانى يحمل بعض النقوش التى تشير إلى اسم المتوفى , والبعض الأخر يحمل النقوش التى تشير بالاضافة إلى اسم المتوفى تاريخ الوفاة ، أما القلة القليلة من هذه الأوانى فيحمل النقوش التى تشير إلى وظيفة المتوفى .

وبالطبع فإن الأوانى التى تشير إلى تاريخ الوفاة تعطينا تسلسل تاريخى ، فهذه التواريخ تتراوح فى الفترة من ٢٦٠ ق.م إلى ٢٠٩ ق.م ومن المحتمل أن تاريخ انتهاء صناعة أوانى الحضرة كان حوالى ١٨٠ ق.م وربما كان السبب يرجع إلى توقف هجرة العنصر الإغريقى إلى الإسكندرية اعتبارا من بداية القرن الثانى قبل الميلاد ، وبعض الدارسين يرجع السبب إلى انتشار عادة دفن الموتى بدلا من حرقها .

وهكذا يمكننا أن نرى أن عادة حرق الموتى كانت متبعه فى مدينة الإسكندرية البطلمية ، وعليه يجب أن نتساءل من أين جاءت ؟ ومن الذى جاء بها ؟ وماهى عقائد ما بعد الموت المتصلة بها ؟

الإسكندرية كما أنشاها الإسكندر الأكبر وتعهدها البطالمة من بعده كانت مدينة يونانية أصلا ، ولهذا فمن الطبيعى أن جماعة المواطنين كانت من العصر اليونانى أساس ، الذى هاجر إلى المدينة واستوطن بها ، وعند الهجرة احضر هذا العنصر معه ديانته ومذاهبه الدينية وعقائده الجنائزية فنجد أن اليونانيين اهتموا بعملية دفن موتاهم حتى يتسنى للروح النزول إلى العالم الأخر ، إلى جانب أنهم قاموا أيضا بعملية حرق موتاهم ، حيث فرضت الظروف دواعى استعماله ;

أ- ما عند انتشار المجاعات والأوبئة مثل ماحدث فعلا عند انتشار الوباء فى أثينا عام ٤٣٠ ق .م فقد تم احراق جميع الجثث خوفا من التلوث .

ب- أوفى حالة الحروب , فقد استخدمت هذه العادة , خوفاً من التلوث أيضا الى جانب سهولة نقل رفات من ماتوا بعيدا عن وطنهم .

ج - وأحيانا تكون رغبة الإنسان المتوفى او أقاربه .

وتوجد فى المسرحيات اليونانية العديد من الإشارات لعملية حرق الموتى ،ففى " أورستيس " ليوربيديس ،نجد أن أورستيس كان واقفا بجانب المحرقة ليجمع رماد جثة والدته وحينما تمنت اليكترا فى مسرحية حاملات القرابين لايخولوس أن ترى من تولوا زمام الأمور بعد مقتل أبيها جثثا وسط النار , وحينما تعهدت افيجينيا فى مسرحية افيجينيا فى تاوريس ليوربيديس لاورستيس بأنها ستباشر بنفسها إحراق جثته ثم تجمع رمادها وحينما قدم الغريب فى مسرحيته اليكترا " لسوفوكليس " الأنية التى تحوى رماد أورستيس لأهله ليدفنوها بعد أن احضرها معه من المنفى .

اما العنصر الثانى الذى هاجر إلى مدينة الإسكندرية البطلمية , فهو العنصر المقدونى ،فقد كانوا أيضا يمثلون طبقة ممتازة من ناحية حقوقهم ووضعهم الاجتماعى فالبيت الحاكم كان ينتمى إلى العنصر المقدونى كما ان الرتب العسكرية العليا فى القوات البطلمية كانت تنتمى إلى هذه الطبقة .

وعادة حرق الموتى لم تكن منتشرة فى بلاد اليونان فقط ،وإنما كانت منتشرة أيضاً في قدونيا ،ففى فرجينيا كشفت الحفائر عن رماد جثة والد الإسكندر الأكبر فيليب الثانى بعد حرق جثمانه عند دفنه .قد ذكر ايانوس " أن الإسكندر المقدونى قد أمر ،ند وفاة هيفايستيون زميله فى حملة Ekbatana , باقامة محرقة ملكية ،لحرق جثة هيفايستيون ،فيكرم فى مماته بوصفه بطلاً وهذا ويوضح هيرودتوس الطقوس والشعائر التى تصاحب الموتى عند التراقيين فيقول " إن الاغنياء يبقون الميت ثلاث أيام يقوم فيها أهلها بذبح الذبائح من الحيوانات , وكان يصاحب هذه الشعائر النواح والبكاء والعويل للتعبير عن حزن أهل الميت . ثم يقومون بإحراق جثته , ثم يقومون بدفنها فى القبر .

اما فى مدينة الإسكندرية البطلمية , فنجد ان بوليبيوس ذكر أن رفات بطليموس الرابع وزوجته قد احرقتا ،كما أن رماد جثتهما قد وضع فى أوان مصنوعة من الفضة .

وكما لاحظنا أنفا ،فإن الرغبة للإنسان القديم سيان أكان ملكا أو قائد عسكريا أو أحد الافراد العاديين , بحرق جسده فى النار , فكان الاعتقاد بأن النار استطاعت أن تأتى على كل ما هو فان فى الانسان ،ليس الرماد المتبقى من الجسد سوى الإطار الخارجى الذى يهلك فى النار ،أما الروح فهى باقية فى عناصر الحياة ،فالنار إذن كان لها رمزية التطهير القوية . فكان الاعتقاد بإلقاء الجثث فيها يعطيها الخلود , وذلك دفع أفلاطون أن يقول ان النار التى سرقها بروميثيوس تقيم مسافة أقل بين الآلهة والبشر .

إذن ، فمعنى النار والحرق له معنى عميق متعلق بالروح البشرية روح الحياة المتطهرة أى الحياة الروحانية , كما يقول ياميلخيوس : ان النار تطهر كل مااقترب منها , بل تطلقه من قيود الفساد العفن ،فتجعلنا شبه الآلهة ،وتؤهلنا لصداقتهم ،وتحول طبيعتنا المادية إلى طبيعة غير مادية.

وقيل ان هرقل حرق نفسه فى محرقة هائلة , فارتفع إلى السماء فى سحابة مرفوقا بقصيف الرعود , والقصة التى ألفها سينيكيا جعلت مشهد المأساة النارية رمز التصاعد والألوهية على قمة جبل " اوتيا " .

وكان هرقل كبطل يتفوق على الجميع فى تقديم الخير , فكان منقذا للبشرية من كل مكروه كما كان يدفع عنهم كل سوء .

ومن هنا ، كان الاعتقاد فى إلقاء جثث الأبطال فى أيضا فى النار أسوة بالإله هرقل لأنه كسب الخلود والتالية يعد حياة مليئة بالكفاح والعمل النشط لأن النار تعطى الخلود لتضعه بعيداً عن الفناء الذى هو مصير كل البشر .

فإذا جمعنا كل ماسبق لتوصلنا إلى النتيجة بأن الاعتقاد فى حرق جسد المتوفى أعطى صاحبه الخلود حيث أن الافراد كانوا يطمعون إلى الإلوهية , بالتطهير فى النار ،أو على حد قول فرجيل " ان الأرواح طهرت بالنار "

وتتفق هذه المعتقدات مع آراء المدرسة الرواقية التى اعتبرت ان النار هى القوة الإلهية الخلاقة ،انها " اللوجوس " أو العقل أو النفس النارى الذى يدين له الكون بالنظام ،فمن النار التى هى " اللوجوس " نشأ كل شئ واليها يعود كل شئ لينشأ نشأة جديدة , وأن روح الإنسان لاتختلف فى جوهرها عن عقل الكون . وان الآلهة والناس ليسوا فى الحقيقة إلا أجزاء من هذا العقل الكونى .

Hypatia the Research and the Philosopher of Alexandria

Hypatia
The Researcher And The Philosopher of Alexandria



I would like to introduce Hypatia , the daughter of Theon . a well known scholar and a professor of Mathematies and the last " head " of the important learning institution , the Mouseion of Alexandria [1] , she was born in Alexandria in 370 A.D :but more historians now belive it was around 355 A.D the most think she died in 415 , but there in some evidence that it was 416 A.D Her father had supervised all her early education , but with her greater intelligence, she soon surpassed him becoming the world `s greatest Mathematician and Philosopher of her time [2] ..

According to the Byzantine encyclopedia ,the Suda [3] Hypatia traveled to Athens to do some" poste - graduate " work Upon her return to Alexandria ، around 400 A.D.some historians believed that Hypatia became the recognized head of the Mouseion of Alexandria ، which was an institute for higher education set up in Alexandria in 300 B . C again this is possible , but the Mouseion certainly did not exist much beyond the time of Hypatia if indeed it existed in this timeOn balance it seems reasonable to accept that she was one of its last members [4] . Because in 391 A.D the Christian Chruch inflicted a death blow to future scholarship at the Mouseion It ordered the destruction of all Greek temples including the one at Sarapeion , Fanatics ransacked the second biggest library in Egypt ، destroying all 200,000 papyrus rolls we know of no scholar associated with the " Mouseion " after Theon [5] .

But now suppose that around 400 A ، D Hypatia became the recognized head of the Neo- Platonist school in Alexandria There she lectured on Mathematics ، Astronomy and Philosophy in particular teaching the Philosophy of Neoplatonism she lectured in her school ، where letters addressed simple to "Muse - The Philosopher " were routinely delivered to her [6] There she

explained the doctrines of plato and Aristotle [7] etc...Hypatia based her teaching on those of plotinus the first person used the Phrase " Neo - Platonism " and so the Philosophy of Hypatia might be called " The New Neo - Platonism "(8)

Hypatia's studies included Astronomy Astrology ، and Mathematics , She came to symbolize learning and science which the early Christians identified with Paganism However ، among the pupils who she taught in Alexandria there were many prominent men ، One of the most famous is Synesius of Cyrene who was later to became the Bishop of ptolemais (Claudius Ptolemy) [9] Many of the letters that Synesius wrote to Hypatia and other prominent persons have been preserved ، one of them he remarks . " Athens has no longer anything sublime except the country 's famous names .... Today Egypt has received and Cherishes the Fruitful wisdom of Hypataia Athens was aforetime the dwelling place of the wise today the beekeeper alone bring it honor " and we see someone who was filled with admiration and reverence for Hypatia 's learning and abilities device used in studying astronomy [10] .

Hypatia was known more for the work she did in Mathematics for her work on the ideas of Conic section introduced by Apollonius Pergaeus She edited the work on the Conics of Apollonius ، which divided cones into different parts by a plane

This concept developed the ideas of Hyperbolas ، parabolas and eilipses ، Hypatia `s work made the concepts easier to understand (11) .

There is no evidence that Hypatia undertook original Mathematical research , However she assisted her father Theon on Alexandria in writing his Third Book commentary on Ptolemy `s Almagesti (12) . As to Theon`s commentary on Ptole ny `s Syntaxis Heath writes (2) (13) :- This commentary is not calculated to give us a very high opinion of Theon `s mathematical caliber but it is valuable for several historical notices that it gives and we are indebted to it for a useful account of the Greek method of operating with sexagesimal fractions which is illustrated with examples of multiplication division and the extraction of the square root of a non- number by way of approximation .

It is also thought that she assisted her father in producing a new version of Euclid `s Elements which has become the basis for all later editions of Euclid , Heath writes (14) of Theon and Hypatia `s edition of the Elements (2) : -

While making only inconsiderable additions to the content of the " Elements " he endeavoured to remove difficulties that might be felt by learners in studying the Book , as a modern editor might do in editing a classical text - book for use in schools : and there is no

doubt that his edition was approved by his pupils at Alexandria for whom it was written as well as well by later Greeks who used it almost exclusively ....

We are informed by Suda that Hypatia wrote on Diophantu `s Arithmetica , on Apollonius `s Conics and on Ptolemy `s astronomical works (15) The passage in the Suda is far from clear and most historians doubt that Hypatia wrote any commentaries on Ptolemy other than the works , which she composed jointly with her father .

In addition to her Mathematical works Hypatia also developed an apparatus for distilling water an instrument for measuring the level of water ، a plane a strolabe (for measuring the positions of the stars ، planets , and sun) and a graduated brass hydrometer for determining the specific gravity of a liquid (16) .

Hypatia was indeed a great power in Alexandria , She was the most popular personage in the city (17) She lived in very turbulent times as Christianity started to dominate over the other religions ، In 412 Cyril (Later St. Cyril) became Patriach of Alexandria ، he began a persecution of scholars in the city (18) Synesius of Cyrene died in 413 A ,D or thereabouts , However the Roman prefect (Praefectus) of Alexandria was Orestes and Hypatia `s friend tortured by Cyril until he died and so Hypatia was suddenly left without her powerful protectors ، Cyril was a leader

among the Christians ، It is believed that Cyril spread virulent rumors about her ، In 415 A. D ,on Hypatia 's way home , a mob attacked her stripped her and killed her with pieces of broken pottery Later the mob dragged her along till they brought her to the Caesarian And they carried her to a place named Cinaron, and they burned her body with fire [19] .

To historians such as Gibbon [20] the murder of Hypatia signifies the end of free thought and creativity in Classical World ، Soon after Hypatia 's death , the few remaining scholars fled the city , and Alexandria stopped being the center of learning and knowledge .

End Notes

1_ There is a reference in the Suda Lexicon (a work of a 10 th Century Greek Lexicographer) which states that Theon of Alexandria lived under the Emperor Theodosius I , The Suda also states that Theon was a member of the Mouscion , See A. Adler (ed) Suidae Lexicon Stuttgart : Teubner , 1971 reprint of 1935 original (5 volumes) Contains articles on Hypatia (v. 4 . pp 644 _ 646) and Theon (v, 2 , p . 702)

2_ Ethel H. Kersey , women Philosophers . Greenwood press New York _ 1989 p , 134 .

3_ Suda or Suidas Lexicon .

4_ Ammian Marcellinus Historia (dalej , Cyt : Amm, Marc ., H , 22 , 16, 17 .

5_ Mary Ellen Waithe A history of women Philosophers kluwer Academic Publisher , vol , I , 1992 , pp , 170 – 171 .

6_ Ethel M.Kersey , op , cit , p 134 .

7_ Encyclopedia Britannica , Vol 6 p 200 .

8_ Ethel M, Kersey , op , cit , p 134 .

9_ Synesius of Cyrene (c . AD. 370 – 413) a most versatile man country gentleman and learned author , Neo – Platonist , who has left a discourse entitled , Dion and a collection of letters and hymns .

10 _ Synesiusz , listy , 16 ,

11_ Mary E, Waithe , op , cit , p , 184 .

12_ Claudius Ptolemaeus who lived at Alexandria in the 2 nd c . A.D and who in his "Mathematike Syntaxis" translated later into Arabic and know as the " Almagesti Syntaxis " I . e means the Great book or the Great work , summed up the astronomical knowledge of the age . See Ethel M. Kersey ., op ., cit ., p . 135 .

13_ Sir Thomas Little Heath , AHistory of Greek Mathematics vol ,. I,. from Thales to Euclid vol , 2 from Aristarchus to Diophantus ., reprinted volumes ,Dover 1981 .

14_ Ibid .

15_ Suda Lexicon .

16_ Mary E. Waithe ., op ., cit ., pp ., 192 – 193 .

17_ Anthologia Palatina ., IX400 .

18 _ Sokr ., H., k., VII ., 15 .

وانظر : هـ ايدرس بل , مصر من الإسكندر حتى الفتح العربى , ترجمة عبد اللطيف أحمد على _ دار النهضة العربية _ بيروت ١٩٨٨ ص.ص ١٦٤ _ ١٦٥ .

19_ Ethel M, Kersey ., op ., cit ., p ., 135 .

20 _

ادوار جيبون ، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة عام ١٩٦٩ ، المجلد الثاني ص ٥٠٠ .

المكتبات الرومانية

المكتبات الرومانية

تمهيد :

أستوطن الإتروسكيون السهل الواقع شمال سهل لاتيوم في شمال غرب شبه الجزيرة الإيطالية ، في الفترة مابين القرن الثامن وإلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وأقاموا فيه واحدة من أبرز حضارات العصر القديم ، تمكن علماء الآثار الإيطاليون من الكشف عن بقايا المدن الإتروسكية ، وعثروا على منازل الإتروسكيين الرحبة ، بل كشفت الحفائر أيضاً عن معرفة الإتروسكيين بالقراءة والكتابة ، ويعتقد أن الكتابة الإتروسكيه لم تكن تختلف كثيراعن الأبجدية اليونانية ، فالإتروسكيين تبنوا الأبجدية اليونانية لكتابة اللغة الإتروسكية .

ومن المعروف أن الإغريق هم أول من أقاموا مستوطنات تجارية لهم في الجزء الجنوبي لشبه الجزيرة الإيطالية ، وكانت صقلية وسردينيا من أهم المستعمرات الإغريقية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد ، كانت الإغريق أول من قام باختراع الأبجدية ، ومن صقلية وسردينيا (جنوب الجزيرة الإيطالية) دخلت الأبجدية اليونانية إلى شبه الجزيرة الإيطالية [١] وأغلب الظن أن الإتروسكيين تبنوا الأبجدية اليونانية لكتابة اللغة الإتروسكية ، ثم تبنى الرومان الأبجدية الإتروسكية لكتابة اللغة اللاتينية ، وهكذا فالأبجدية اللاتينية عبارة عن أبجدية يونانية تبناها الوسيط الإتروسكي . [٢]

يتضح لنا من الحفائر الأثرية أن الكتابة الجديدة " الإتروسكية " والتي حفظتها لنا بعض النقوش المختصرة على الأواني وعلى جدران المقابر والتي ترجع إلى القرن

السادس قبل الميلاد كانت ذات طابع ديني سحرى ،فقد اهتمت بالشعائر الدينية والتنبؤ بالأمور الغيبية من خلال فحص كبد الحيوانات التى كانت تقدم للتضحية . (٣)

ومن المحتمل أن يكون ليفيوس أندرونيكوس الذى جاء إلى روما بعد عام ٢٧٢ ق.م ، وظهر له اول عمل فى عام ٢٤٠ ق.م ـ أول من ادخل تجارة الكتاب إلى روما كما انه اول أديب تصلنا من اعماله بعض الشذرات (٤) . لقد كان إغريقى الأصل أسر بعد سقوط تارنتوم وجلب إلى روما ، وأسس مدرسة بها وشرع فى ترجمة " الأوديسيا " لهوميروس إلى اللاتينية فى أبيات ساتورنية ، وكانت هذه البداية التى شجعت الرومان وزرعت فى نفوسهم الشغف بالمعرفة ، حتى أن هوراتيوس شاعر روما الغنائى ـ القرن الأول ق.م ـ حفظ بعض أعمال ليفيوس عن ظهر قلب (٥) .

عندما علا نجم الرومان أيقنوا انهم يواجهون المشكلة الكبرى فى تاريخ كل إمبراطورية ، ألا وهى لزوم الثقافة لتشييد الحضارة ، والرومان بطبعهم رجال حرب ومدنية وعمران ، ولكن حظهم من الصفات العقلية المبدعة محدود ، فلم يكن هناك بد من أن يتطفلوا على ثقافة شعب من الشعوب المجاورة كالإغريق ، وقد بعث أشراف اللاتينين بأنجالهم الشباب إلى أثينا حيث تلقوا العلم فى مدارسها ، لأن روما فى قمة مجدها لم تكن بها مدرسة واحدة تؤتمن على المعرفة .

برع الرومان فى الحرب والقانون ، لكن وجود الثقافة الأخرى أغرتهم ،فاتجهوا إلى الإغريق يلتمسون الفلسفة والبلاغة وعلم الأخلاق وعلم الطبيعة والأدب والفنون عامة حتى الدين .

كان الرومان يرون فى الإغريق خزائن غنية بالمعرفة وتطلعوا إليهم كما يتطلع تلميذ حائر إلى فقيه ضليع ، شجع ذلك الرومان وزرع فى نفوسهم الشغف بالمعرفة وهواية اقتناء الكتب فكثرت مجموعات الكتب الخاصة، وتوسلوا إلى ذلك بوسائل شتى بعضها مخزى وبعضها طبيعى (٦) .

فمنذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد ، خلال الحرب البونية الأولى ، أخذت المؤثرات الثقافية اليونانية تفرض نفسها على الرومان في حوض البحر الأبيض المتوسط ، فمع توسع حدود دولتهم أصبحت صلات الرومان مباشرة مع اليونانيين في إيطاليا الجنوبية ثم مع اليونانيين في بلادهم الأصلية وهكذا لم يعد القادة العسكريون يعودون إلى روما بالعبيد والذهب وغنائم الحرب الأخرى بل بمكتبات كاملة أستولوا عليها من المدن اليونانية المفتوحة ، فقد نقل القائد الروماني ايميلوس باوللوس (الملقب بالمقدوني لأنه أنهى الحرب المقدونية الثالثة في موقعة بيدنا عام ١٦٨ ق.م) مكتبة الملك برسيوس إلى روما (٧) .

وفي عام ٨٤ ق.م نقل سوللا sulla القنصل الروماني (١٣٨ ــ ٧٨ ق. م) مكتبة ابيليكون Apellikon وهي بقايا مكتبة آرسطو التي ضمت مخطوطاته وكتب تلميذه ثيوافرستوس ـ إلى روما وأودعها بمكان أمين على حد قول بلوتارخوس (٨) اما القائد لوكوللوس فقد استولى حوالي عام٧٠ ق.م على مكتبة الملك ميثريداتيس السادس Mithridates VI أيوباتور Eupator (٠ــ ٦٣ ق.م) التي كانت موجودة في عاصمة بلاده بنطوس (الساحل الجنوبي للبحر الأسود) ونقلها إلى روما . وقد كانت هذه المكتبة غنية بشكل خاص بكتب الطب (٩) .

ولقد نشر تيرانيون الأكبر (اوائل القرن الأول ق.م) ـ الذي درس في رودس على يد ديونسيوس الثراقي Dionysius The Thracian (حوالي ١٧٠ــ حوالي ٩٠ ق.م) تلميذ اريستارخوس رئيس مكتبة الإسكندرية ــ مخطوطات وأعمال أرسطو ، هذا بالإضافة إلى تأليفه كتاباً عن القواعد النحوية للغة الإغريقية . وكان تيرانيون في الأصل أسيراً إغريقياً أحضر إلى روما عام ٧٢ ق.م ثم حصل على حريته ومارس مهنة التدريس واستخدمه كل من سوللا وشيشرون لتنظيم مكتبتهما تصفه

موسوعة سويداس وتقول إنه فيما بعد أصبح رجلاً غنياً وجامعاً شغوفاً للكتب حتى ان مكتبته الخاصة ضمت حوالى ثلاثين ألف لفافة بردية (١٠) .

وفيما يتعلق بإنتاج الكتاب فى اللغة اللاتينية فى روما خلال القرن الأول قبل الميلاد نستنبط من رسائل شيشرون الذى كتب عن صديقه اتيكوس عن هواية اقتناء الكتب والذى كان يحتفظ بمجموعة كبيرة من النساخ Librari وكتبة الاختزال Motairii الذين كانوا ينسخون له الكتب بصفة دائمة (١١) .

ففى رسالة قصيرة إلى أتيكوس يحثه فيها لزيارة مكتبته فى فيلا فى انتيوم Antium (Anzio الحالية) يقول :

" سترى تنظيم تيرانيون Tyrannio العظيم لكتب مكتبتى .

فهل يمكنك إرسال إثنين من الكتب لمساعدة تيرانيون فى كتابة فهرس المكتبة واعمال مكتبة اخرى .

وأخبرهم بضرورة إحضار قطعة من الرق لكتابة عناوين الكتب "

وهكذا لانعرف عن الفترة السابقة لشيشرون بانه لم يوجد إنتاج منظم للكتاب ، وكان على المؤلفين ، ان يهتموا بأنفسهم بنسخ الكتاب وتوزيعه كهدية على المعارف والأصدقاء ، فلم توجد فى روما مكتبات عامة يمكن أن تحفظ فيها الكتب أو يلجأ إليها القراء للاطلاع عليها (١٢) .

المكتبات العامة فى مدينة روما :

يحكى ان القائد لوكوللوس (حوالى ١١٤ ـ ٥٧ ق.م) استولى حوالى عام ٧٠ ق.م على مكتبة ميثريداتيس السادس Mithridates VI أيوباتور Eupator (١٢٠ ـــ ٦٣ ق.م) التى كانت موجودة فى عاصمة بلاده بونطوس ونقلها إلى

روما ، ولكنه فتح ابواب مكتبته للمثقفين ورجال الفكر والادب فى روما ولا سيما إغريقى الأصل كما سمح لهم بالاستعارة الخارجية لما يشاءون من الكتب (١٣) .

أما يوليوس قيصر (١٠٤ ـ ٤٤ ق.م) فكانت لديه خطة الإقامة اول مكتبة إغريقية لاتينية عامة ضخمة فى روما على نمط مكتبة الإسكندرية ، تحت إشراف الكاتب الموسوعى " ماركوس ترينيتوس فارو " (١٦٦ ـ ٢٧ ق.م) لكن الموت لم يهمله لتنفيذ مشروعه ، فمات قبل ان ينفذ خطته .

وقد تمكن أخيرا اسينيوس بولليو (٧٦ ق. م ـ ٥ م) من تحقيق هذه الفكرة وأسس أول مكتبة عامة فى روما فى النصف الثانى للقرن الأول قبل الميلاد خلال سنوات (٣٩ ـ ٣٣ ق.م) وكان هو نفسه واحداً من أبرز الشخصيات الأدبية ، كما كان أول من ادخل عاده إلقاء اعماله الأدبية المتعددة على جمهوره فى روما وكانت هذه المكتبة تتألف من قسمين :

قسم للكتب اللاتينية ، وقسم للكتب اليونانية (١٤)

العصر الإمبراطورى :

مع بداية العصر الإمبراطورى تجمع فى روما عدد كبير من رجال الفكر والأدب والمثقفين القادمين من كل انحاء حوض البحر الأبيض المتوسط ، مما دفع الأباطرة إلى إنشاء مكتبات كبيرة غنية بالكتب ، فأنشأ الإمبراطور أوغسطس نفسه مكتبتين كبيرتين : بنى الأولى عام ٢٨ ق.م فى معبد الإله أبوللون على تل البلاتين بالقرب من منزل ليفيا ، ولذلك أصبحت تسمى " مكتبة بالاتينا " (١٥) وانشأ المكتبة الثانية على شرف أخته اوكتافيا وحملت اسم " رواق أوكتافيا " Porticus Octaviae وتقع في ساحة مارس (١٦) والحقت بكل من هاتين المكتبتين، كغيرهما من المكتبات

اللاحقة ، اقسام مستقلة للمؤلفات الإغريقية واللاتينية كل على حده وصالة للقراءة ويسمح فيها بتبادل الأفكار الثقافية .

واستمر الأباطرة الذين خلفوا أوغسطس في بناء المكتبات ويقال إنه يوماً ماتمتعت روما بست وعشرون مكتبة عامة ، فقد أقيمت مكتبة عامة ضخمة في المعبد الكبير الذى بنى تكريماً لأوغسطس وزوجته ليفيا [١٧] بينما أنشئت لاحقاً مكتبة الإمبراطور تيبريوس ٣٧ ــ ١٤ م [١٨] أما الإمبراطور فسباسيان فقد أسس مكتبته في " معبد السلام " الذى بناه بعد انتصاره على اليهود في عام ٧٠ م [١٩] .

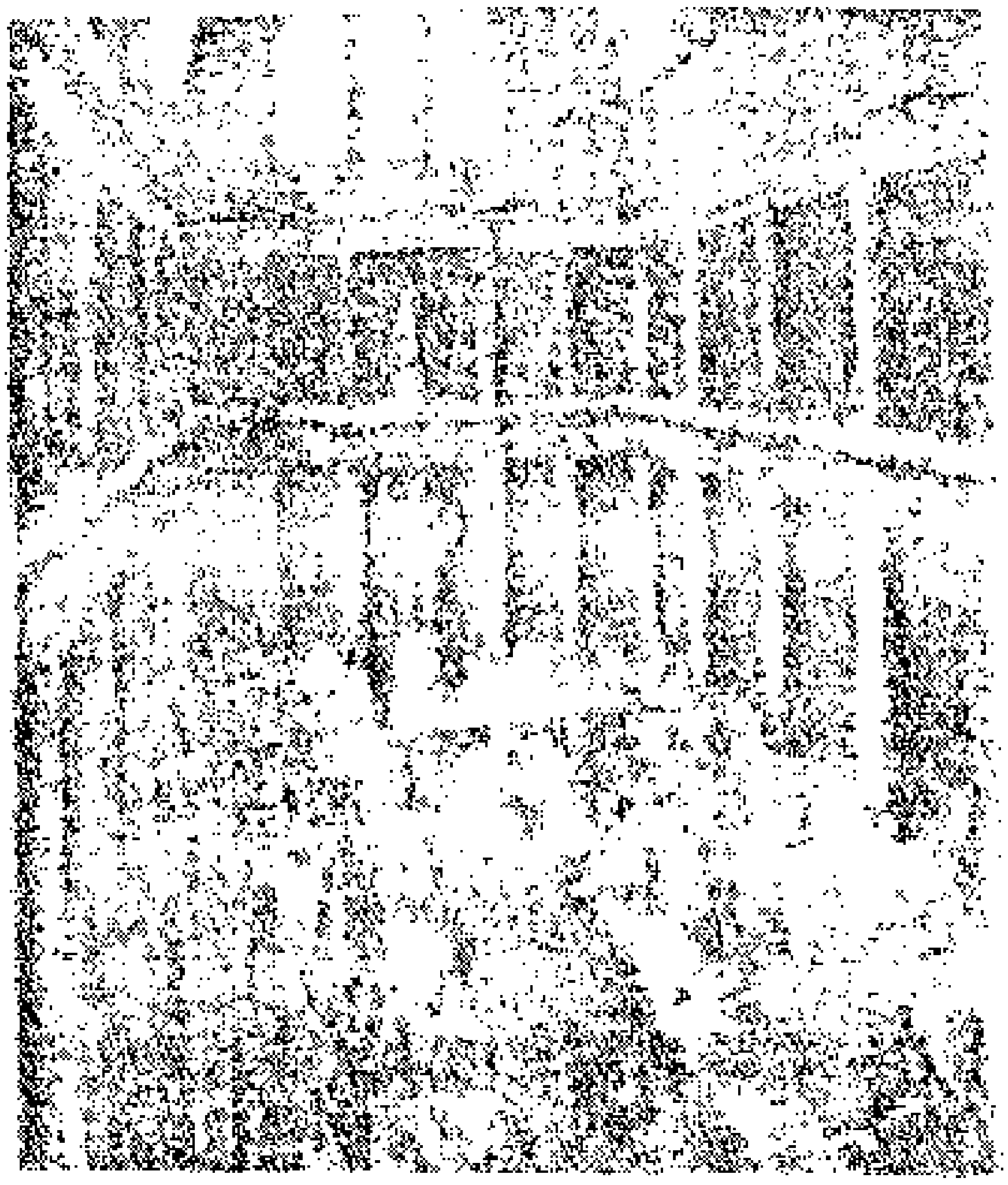
لكن اهم مكتبة عامة في روما هي تلك التي بناها الإمبراطور " تراجان " ١١٢ ــ ١١٣ م وحملت اسم " مكتبة أولبيا " (Basilica Ulpia) وتقع في مساحة تراجان (Forum) ولقد تم اكتشاف بقايا قاعاتها في الحفريات الأثرية التي جرت في الأونة الأخيرة وظهر منها أنها كانت تتكون من بناءين متقابلين يقوم بينهما عمود تراجان (**انظر الشكل رقم ١**) ومركز هذه المكتبة في ساحة



الشكل رقم (١) رسم تخطيطي لمكتبة تراجان في روما

تراجان وبالقرب من ساحة الفورم الروماني Form Romanum اكثر الأماكن إزدحاماً بالمارة يدل على مكانتها الهامة ، كما تؤكد على مكانة روما كمركز ثقافي قوى في حوض البحر الأبيض المتوسط ، فقد صممت في لأصل لتكون مجمعاً للعالم الثقافي المتنوع ، وكان فيها بالإضافة إلى المكتبة ، مدرج نصف دائرى الشكل لإلقاء الشعر والمحاضرات ولقراءة النصوص الأدبية والعلمية [٢٠]

(انظر الشكل رقم ٢) .



شكل رقم (٢) رسم يوضح البهو الجنوبى الغربى لمكتبة تراجان

وزودت معظم الحمامات الرومانية الكبرى Thermae بالمكتبات و المهندس الدمشقى المعروف " أبولودور " الذى صمم " حمام تراجان " هو أول من أخذ بعين الاعتبار الدور المتعدد للحمامات فى الحياة اليومية لسكان مدينة روما (٢١) لذلك فقد ادخل فى تصميم الحمام قاعة المكتبة (انظر الشكل ٣) وقاعات أخرى للنشاط الثقافى الذى كان يجرى تحت سقف مبنى الحمامات بالإضافة إلى النشاط الصحى والرياضى ، ففى حمام تراجان أقيمت مكتبة الهدف منها توفير الكتاب فى أكثر الأماكن التى يتواجد فيها الشعراء والفلاسفة والعلماء وباعة الكتب بالإضافة إلى جمهور القراء الذين كانوا يتابعون مايجرى فى هذه المكتبات ، وعلى نمط ماقام به تراجان قام الأباطرة الأواخر ببناء الحمامات التى ضمت مكتبات ، ولذلك نجد مثلا مكتبة فحمام كاراكالا (بداية القرن الثالث الميلادى) (٢٢) (انظر الشكل رقم ٤) مكتبة فى حمام ديوقلديانوس (بداية القرن الرابع الميلادى) وهى آخر مكتبة عامة تبنى فى روما خلال العصر الإمبراطورى (٢٣) .



شكل رقم (٣) صورة لبقايا مكتبة حمام تراجان

وفيما يتعلق بمجموعة العاملين بالمكتبات فكما نعرف من الشذرات أو ماذكر على شواهد القبور فلدينا انطيوخوس Antiochus عن تيبريوس كلاوديوس قيصر من اعضاء المكتبة اللاتينية لمعبد لإله ابوللو لاريكس Laryx من أعضاء المكتبة اليونانية لمكتبة رواق وأوكتافيا ومن شواهد القبور :

مونتانوس الياتوس Montanu Aulianus كان (وكيل) Vilcus لمكتبة رواق واوكتافيا وأوليستيموس Ostimus عن قيصر كان (وكيل) Vilicus لمكتبة اليونانية في الحمامات



شكل رقم (٤) صورة تبين بقايا حمام كاراكلا

فى الواقع إن إنشاء المكتبات فى الحمامات هو تفكير رومانى ، فالحمامات فى العصور الرومانية لم تكن فقط للاستحمام بل كانت مكاناً للاجتماعات وقد لعبت دوراً هاماً فى الحياة الثقافية بعد أن اصبحت مكاناً يجتمع فيه الشعراء لإلقاء قصائدهم والفلاسفة والعلماء الذين يستعرضون أفكارهم ويدافعون عنها .

المكتبات العامة الرومانية خارج إيطاليا :

بقيت مكتبة الإسكندرية ، وعلى الرغم من الكارثة التى لحقت بها عام ٤٨ ق .م أهم مكتبة فى العالم الهللينستي ــ الرومانى فقد استمرت المؤلفات الموجودة فى هذه المكتبة التى استمرت فى الازدياد والازدهار حتى فى العصر الرومانى ، وكانت اكثر دقة من المؤلفات الآخرى .

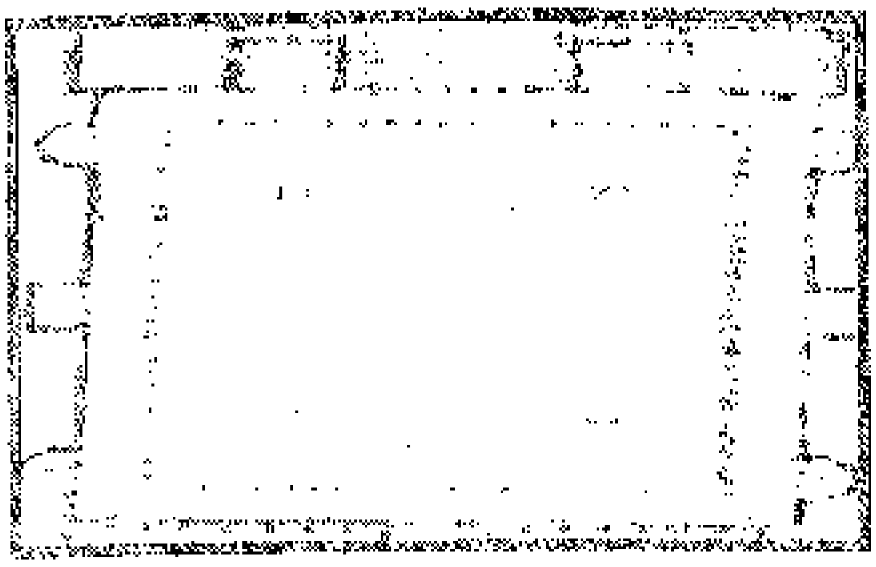
ويؤكد ذلك قرار دوميتيان بارسال فريق من النساخ إلى مكتبة الإسكندرية لكى يعيدوا نسخ المؤلفات التى فقدت فى الحريق الذى شب عام ٨٠ م فى المكتبة التى أسست على شرف أوكتافيا أخت الإمبراطور أوغسطس (٢٤) .

فقد حافظت المكتبات فى الإسكندرية وأثينا على أهميتها فى ذروة ازدهار الثقافة والفنون والآداب فى مدينة روما حيث ان هذه المكتبات تمكنت خلال العصر الرومانى كله من منافسة روما ثقافياً .

وقد بنيت مكتبات أخرى خلال ذلك العصر ، وأسس اكبر عدد من المكتبات خارج مدينة روما فى عهد كل من الإمبراطور تراجان والإمبراطور هادريان (نهاية القرن الأول والنصف الأول للقرن الثانى الميلادى) ففى عهد الإمبراطور تراجان أسس تيتوس فيلافيوس بانتاينوس Titus Flavius Pantainos حوالى سنة ١٠٠ مكتبة عامة

فى أثينا وفى السوق العامة Agora وتمكن رجال الآثار أخيراً من تحديد موقعها ودراستها (**انظر الشكل رقم ٥**) ومن المكتشفات الأثرية .

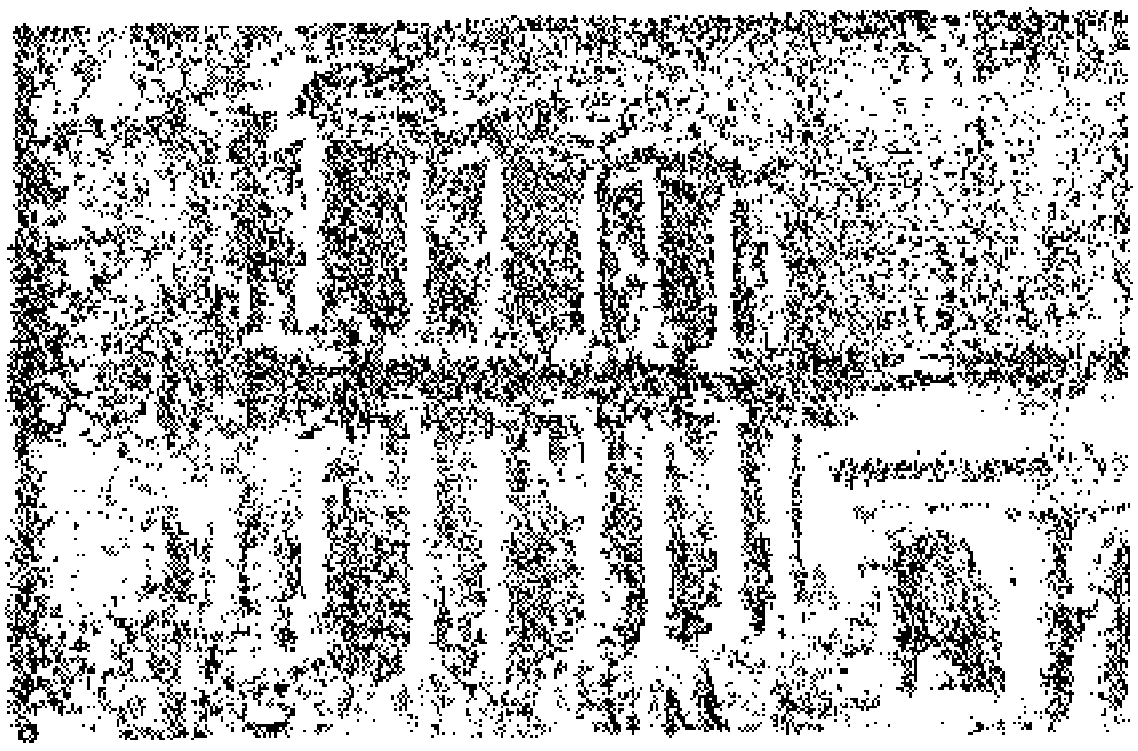




شكل رقم (٥) الرسم التخطيطى لمكتبة هادريان فى أثينا السوق العامة

الهامة التى عثر عليها لوحة منقوشة على جدران المكتبة تحتوى على قواعد الاستفادة من المكتبة وضمن هذه القواعد الأولى نقرأ مثلاً " غير مسموح بإخراج اى كتاب خارج المكتبة " وعن مواعيد العمل بالمكتبة نجد انها كانت تفتح " من الساعة الواحدة حتى الساعة السادسة "[٢٥] .

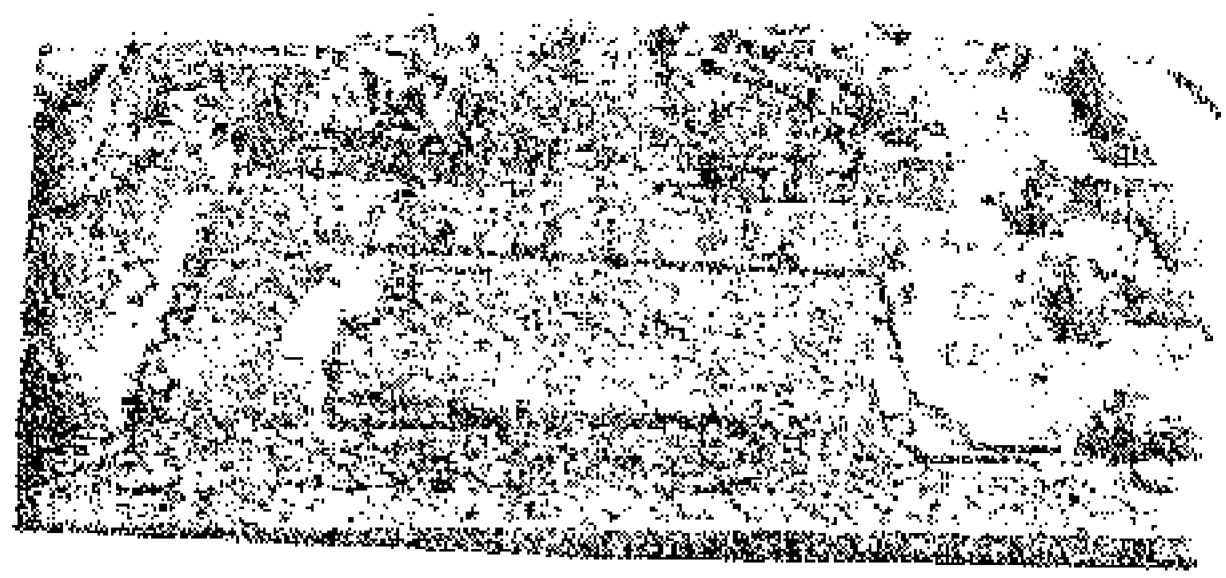
كما تم اكتشاف مكتبة عامة كبيرة أخرى أسست فى عهد الإمبراطور هادريان فى أثينا أيضاً [٢٦] وفى بداية القرن الثانى الميلادى فى عهد تراجان يرجع تاريخ إنشاء مكتبة أفيسوس (كيلسوس) Celsus على ساحل آسيا الصغرى تكريماً لتيبريوس بوليوس كيلسوس Tiberius Julius Celsus وقد تمكن علماء الآثار النمساويون من اكتشاف بقاياها فى بداية القرن العشرين (**انظر الشكل رقم ٦**) من احد النقوش التى كتبت حوالى ١٣٥ ميلادية لتيريوس كيلسوس بوليمانيوس ، قنصل بروقنصل أسيا ، تيبريوس يوليوس أكويلا بوليمانيوس قنص ، ابنه ، أنشأ مكتبة كيلسوس بماله الخاص ، شامله زينتها وزخرفتها وكتبها ، فقد أودع لصيانتها وشراء كتبها ٠٠٠ ، ٢٥ دينار ورثه أكويلا اكملوا المشروع ، وكان بناء المكتبة ضخماً واجهته مزينة بصفين من الأعمدة .



شكل رقم (٦) صورة تبين بقايا مكتبة كيلسوس بآسيا الصغرى

والتماثيل أما فى الداخل فقد كانت تتميز بوجود صالة مستطيلة يتوسطها تمثال الإلهة أثينا و أما الكتب فقد كانت تحفظ فى ثلاثين كوة مرتبة على الجدران فى ثلاثة طوابق ، هذا بالإضافة إلى حجرتين جانبيتين التى كانت تستخدم كمخازن للكتب (٢٧) .

اما مكتبة تيمجاد او ثاموجادى Timgad –Thamugadi بشمال أفريقيا الرومانى فقد احيط فناؤها الأمامي بصف من الأعمدة أعاد ترميمها علماء الآثار المحدثون (انظر الشكل رقم ٧) اما باب المكتبة الرئيسى فيقود إلى صالة واسعة نصف دائرية يزينها إثنا عشر عموداً من الرخام تحمل قبو المكتبة وخلال هذه الأعمدة كانت توجد كوات حفظ الكتب ، وكما هو الحال فى مكتبة افيسوس يتوسط الصالة المقببة تمثال للإلهة أثينة وقد بنيت هذه المكتبة فى عهد الإمبراطور تراجان حوالى عام ١٠٠ ميلادية (٢٧) .



شكل رقم (٧) صورة تبين بقايا مكتبة تيمجاد بشمال أفريقيا

المكتبات الخاصة فى روما :

نجد فى العصر الجمهورى قلة من الناس بوسعهم شراء الكتب لتوفير مكان فى البيت لمكتبة خاصة ، ولكن فى القرن الأول الميلادى إبان العصر الإمبراطورى اخذ عدد المكتبات الخاصة يزداد بسرعة نظراً لازدياد إنتاج الكتاب وبسبب حاجة الأفراد إليها فى نشاطهم العلمى والأدبى (٢٩) إلا ان بعض الأفراد قد بالغوا فى الاهتمام بذلك شغفاً بجمع الكتب النفيسة تمشياً مع هذا الاتجاه فى المجتمع الرومانى الراقى ، وهذا ماانتقده لوكيانوس وسينيكا (ولد فيما بين ٤ ق.م و ١م ومات عام ٦٥ م) . إذا يكتب سينيكا (٣٠) : " وفيما يتصل بالدراسات التى يعد إنفاق المال فيها أمراً حميداً فليس له مايبرره إن تخطى الحدود المعقولة ، فما فائدة امتلاك كتب ومكتبات لاحصر لها لايستطيع أصحابها طوال سنى عمرهم سوى أن يقرءوا بالكاد عناوينها ؟ " إن هذه السخرية تدل على العدد الكبير للمكتبات الخاصة فى العهد الإمبراطورى، كما تدل على أن أصحاب المكتبات كانوا من الأغنياء ،ولودققنا النظر وتمعناً فى هذه السخرية لتركت لدينا انطباعاً بأن سينيكا وغيره من الكتاب كتبوا ذلك تعبيراً عن ضيقهم كمثقفين فقراء لايستطيعون شراء الكتب مع حاجاتهم إليهم ، بينما جيرانهم الأغنياء يشترون مايريدون من الكتب دون حاجتهم إليهم ؟ (٣١)

كانت المكتبات الخاصة موجودة فى قصور واستراحات الأباطرة بضواحى روما ، وفى بيوت العلماء والكتاب الذين كانوا يحتاجون للكتب بشكل دائم ونحن نعرف أن بليناس الكبير Pliny the Elder كان له مكتبة خاصة كبيرة استفاد منها لعمل أول مؤلف موسوعى فى العالم اليونانى ــ الرومانى فى مجاله (التاريخ الطبيعى) (٣٢) ، كما أن المؤرخ الفيلسوف وكاتب السيرة بلوتارخوس كانت له مكتبته الخاصة (٣٣) .

لم يتبق من هذه المكتبات الخاصة الرومانية إلا مكتبة واحدة فقط ، كانت فى استراحة احد الأغنياء فى ضاحية المدينة هيركولانيوم Herculanium التى غطتها تماماً حمم بركان فيزوف سنة ٧٩ م ، مما حفظ المدينة كما هى ، حتى اكتشفت المكتبة سنة ١٧٥٢ م حين كان جنود ملك نابولى ، الملك كارلوس الرابع ينقبون فى آثار هذه المدينة ، واكتشف فى ثلا ث قاعات من هذه الاستراحة على ما يقرب من ألفى لفافة بردى فى حالة تفحم ، وقد نجح العلماء فى قراءة هذه اللفافات ، وقد وجدوا مؤلف أبيقور نفسه " حول الطبيعة " فى ٣٧ مجلد فى اللغة اليونانية ، كما وجدت مؤلفات الفيلسوف الأبيقورى " فيلوديموس " من غدارا (٧٥- ٣٥B.c) Philodemus [٣٤].

مكتبات القسطنطينية :

بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين غربى وشرقى ، أخذ القسم الغربى يعانى من أزمة اقتصادية أثرت بشكل مباشر على حياتها السياسية والثقافية ، بينما كان القسم الشرقى فى وضع اقتصادى أفضل مما ساعد عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، روما الجديدة أو القسطنطينية أن تتبوأ مكان الصدارة العلمية والأدبية فى حوض البحر الأبيض المتوسط .

فقد أسس الإمبراطور كونستانس الثانى Constantine II فى القسطنطينية المكتبة الإمبراطورية الكبيرة ، وذلك لخدمة المدرسة العليا ، ونمت هذه المكتبة بفضل اهتمام الأباطرة اللاحقين ، حيث زودت بقاعات من القصر الإمبراطورى ، واجتمع فى هذه المكتبة العلماء من كل المراكز الثقافية في الشرق الذين كانوا يتعلمون فى المدرسة العليا ، بالإضافة إلى العلماء الذين استفادوا من المكتبة فى نشاطهم العلمى أو الأدبى ، واحتوت هذه المكتبة على ورشة نسخ منظمة لكل من اعمال الكتاب الوثنيين الكبار من يونانيين ورومانيين إلى جانب اعمال الكتاب المسيحيين .

وقد تعرضت هذه المكتبة التى ضمت ١٢٠ ألف مجلد Codex للدمار سنة ٤٧٥ م بسبب الحريق الذى شب فى جزء من المدينة خلال الحرب الأهلية التى دارت حينئذ ورغم ان المكتبة جددت إلا أنها لم تستطع استرداد مكانتها وأهميتها مرة اخرى (٣٥) .

المكتبات المسيحية فى العصر الرومانى :

كان عدد المدارس المسيحية فى القرون الأولى للإمبراطورية الرومانية قليلاً ، حيث لم تتوافر المسيحيين فى ذلك الوقت المشاركة فى إنتاج الكتاب ، لذلك كانت المكتبات المسيحية متواضعة وتوجد فى الكنائس وفى المؤسسات الكنائسية فقط .

ولكن منذ نهاية القرن الثانى الميلادى أصبح لعلماء الإسكندرية مدرستهم الدينية ومكتبتهم ، ثم قام أوريجين احد علماء الإسكندرية بتأسيس مكتبة قيسارية بفلسطين على نمط مكتبة الإسكندرية التى احتوت على ٣٠ ألف لفافة .

وفى سنة ٢١٢ م أسس الأسقف الكسندر مكتبة مسيحية فى القدس ، على نمط مكتبة الإسكندرية أيضاً ، وفى روما أسس البابا داماس الأول فى القرن الرابع الميلادى فى كنيسة القديس لورانس مكتبة مسيحية ، لكن هذه المكتبة لم تلعب دوراً هاماً فى الحياة الثقافية فى روما كبقية المكتبات التى أسست فى ذلك الوقت فى روما (٣٦) .

Footnotes

(١).عن الأصل الفينيقى للغة الإغريقية أنظر :

مارتن برنال ، أثينة السوداء " الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية " الجزء الأول تلفيق بلاد الإغريق ١٧٨٥ ـ ١٩٨٥ ، نيوجرسى ١٩٨٧ م ، ترجمة نخبة من العلماء ـ ترجمة وتعليق د .أحمد عثمان ، المشروع القومى للترجمة ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٢٨ ومابعدها .

(٢) عند الأبجدية اللاتينية أنظر :

Oxford Classical Dictionary (OCD) وعن الكتابات اللاتينية المبكرة

S.V cf ،.W.Harris Ancient Literacy. ،Cambridge 1989 ، pp. 151_156

(٦) الكسندر ستيبتشفيتش ، تاريخ الكتاب ، ترجمة د. محمد الأرناؤوط ، القسم الأول ، سلسلة عالم المعرفة (١٦٩) الكويت ، ١٩٩٣، ص ٦٨ ومابعدها .

(٤) عن ليفيوس أندرونيكوس المترجم انظر:

أحمد عثمان ، الأدب اللاتينى ودوره الحضارى ، سلسلة عالم المعرفة (١٤١) الكويت ١٩٨٩ ، ص ١٦ ومابعدها .

(٥) ولد هوراتيوس لأب قروى فى بلدة فينوسا على الجانب الشرقى لسلسلة جبال الأبنين ، وهى مستعمرات رومانية _ عام ٢٩١ ق.م OCD s.v "Livius Andronicus"

(٦) W.Harris ،op .cit،،pp.157 ff

(٧) Michael H..Harris "The History of Libraries in the Western World" 4 th Edition ، Metuchen Scarecrew Press ، 1995 ، p. 50 .

(٨) Plutarch ، Sulla ..26 .

(٩) الحسين إبراهيم أبو العطا ، مكتبات العصر الهللينستى البداية والنهاية ٣٢٣ ـ ٣٠ ق.م ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والأجتماعية ـ القاهرة ٢٠٠٢ م ، ص ١١ ومابعدها .

(١٠) Strabo 13 ,609

(١١) Cicero ` s letters : D.S hackleton Bailey ‹‹ ed ‹‹ Cicero 's Letters to Atticus ‹ Cambridge 1965 -1970

(١٢) Cicero..ad Atticum .13.21q .2. cf Cicero ..ad Atticum 4..4a

(١٣) Plutarch ..lux .42.1 .

(١٤) M.C Howatson The Oxford Companion to Classical Literature ‹2 ed.Oxford University Press 1997 ‹ Varro pp ‹ 579 – 589

(١٥) Suetonius ‹ Augustus 29.3

(١٦) Plutarch ‹ Marcellus 30 .6 ef ‹‹ Dio Cassius 49 .43 .8

(١٧) Corpus Inscriptionum Latinarum 6 .4433 ‹ 4435

(١٨) pliny the Elder Historia Naturalis 34.43

(١٩) Ibid

(٢٠) L Palart ‹ the Forum of Trajan in Rome ‹Berkeley 1997 ‹ pp . 450 -454

(٢١) E Nash ‹Pictorial Dictionary of Ancient Rome ‹New York1968 ‹ Second Vol ‹‹pp‹472 _477

(٢٢) Ibid ‹‹pp .434 – 441

(٢٣) Ibid ‹‹pp‹ 448 -453

(٢٤) Domitian 20 " Collected Copies "

(٢٥) Wycherley ‹The Athenian Agora III‹Princeton 1957 ‹ P.150

(٢٦) V‹Strocka " Romische Bibliotheken ‹ Gymnasium 88 ‹ 1981 ‹pp‹ 318_320

(٢٧) Ibid ‹‹pp‹ 322 -329

(٢٨) H .Pfeiffer ‹ Memoris of the American Academy in Rome 9‹ 1931 ‹pp‹ 157 – 165 .

(٢٩) انظر إرشادات هوراتيوس فى Epistulae 1.20.2 وأيضا . Epistulae 2.3.345

Seneca .de Tranquilitate Animi LX4-7 CF.seneca ،de ، (٣٠)
BeneficiisVLI .6.1 .

R.Starr، Phoenix 44 ،1990 ،pp ،148 -157 (٣١)

M.C.Howatson ، op ،cit ،،"pliny the Elder" ،pp،445-6 (٣٢)

Ibid،، Plutarch "pp_447_9 (٣٣)

M.C Howatson ، op،cit .." Herculaneum" ،p.272 (٣٤)

A.Norman in (JHS) Journal of Hellenic Studies 80 (1960) 124 (٣٥)

C،Roberts and T،Skeat ، the Birth of the Codex ، London (٣٦)
1983 ،،pp ، 58-60

The Most Important Deities in Serabit El-Khadim

The Most Important Deities
In Serabit El – Khadim

Ancient Egyptians sent mineral missions to Serabit El–Khadim (that lies in the North of Al–Maghara Valley in Sinai) , where lies the richest semi precious stone Turquois mines , Egyptians used to call this area , since the oldest ages and till the beginnihg of the New Kingdom , " Mefakat " i ,e ., that means ` the land of the Turquoise , In fact , they called it so because they were excavatihg from it the stone that was used in the making of the ornaments and amulets that had religious significance . (1)

This mineral activity resulted in establishing a temple for worshiping goddess " Hathor " , that the Egyptians considered the protective goddess for Serabit EL–Khadim – the area in which Turquoise is concentrated , they also used to call her " Nabt Mefakat " i , e ., the lady of the Turquoise , and she was figured , most of the times , in the shape of a woman , and in other times , it took the shape of a cow (2) .

It is preponderant that the first place that the Egyptians used as a temple for goddess " Hathor " was likely one of the caves in the area , It seems that the Semitic inhabitants of this area were worshiping in this cave a goddess of their own : this was the Semitic goddess " Ashtarot " (3)

Because of the big similarity between the two goddesses , Egyptians started to worship " Ashtarot " in the shape of " Hathor " in the shape of "Ashtarot " This is clear in the face that the Egyptians called " Ashtarot " Annah " i ,e the wife of the husband "Ball" and her name is Baalla or Ba_alat , something that means the goddess or the lady I , e the lady of the Turquoise that won a wide popularity (4)

It is clear form what has been previously discussed that there were two worshipping practiced in the middle of Sinai in the area called serabit EL_Khadimone of which was pharaonic Egyptian and the other was Semitic .

There were found some pictures for the goddess " Hathor " in the area of Serabit El_Khadim in the shape of acow and beside it was the drawing of two ears (5)as a symbol for the goddess `s listening to the people `s inquiries , those people who went to her to uncover the unknown and to know the places where the Turquois stone was found in the area (6) Egyptians made for this cow some statues that were made of , or just covered with gold (7) This leads us to believe that these descriptions are the same of these found in the Holy Koran about the story of the Israeli `s cow , The story tells of events that supposedly happened in Sinai before the exit journey of the Israeli people form Egypt to Palestine , This

reveals some of the first secrets that surrounded the beginningOf religion formation for the Israeli people , for the importance of this story , the longest chapter in the Holy Koran was named " The cow " The events are mentioned in the following verses :

And (remember) when (Moses) said to his people : " Verily Allah commands you that you slaughter a cow" They said " Do you make fun of us ? " He said " I take Allah 's Refuge form being among Al_Jahilum (the ignorant or the foolish) They said " Call upon your Lord for us that He may make plain to us what it is ! "He said , He say , Verily , it is acow neither too old nor too young , but (it is) between the two conditions " so do what you are commanded . They said " call upon your Lord for us to make plain to us its colour ". He said " He says , It is ayellow cow , bright in its colour , pleasing the beholders They said " call upon your Lord for us to make plain to us what it is , verily , to us all cowe are alike .And surely , if Allah wills , we will be guided , He [Musa (Moses)] said , He says , it is a cow neither trained to till the soil nor water the fields , sound having no other colour except bright yellow " They said " Now you have brought the truth " so they slaughtered it though they

were near to not doing it , And (remember) when you killed a man and fell into dispute among yourselves as to the crime ,But Allah brought forth
That which you hiding , So said : " Strike him (the dead man with a piece of it (the cow) " Thus Allah brings the dead to life and shows you His Ayat (proofs , evidences , verses , lesons , signs , revelations , etc) so that you may understand " (the cow 67 - 73)

There is a semi agreement among interpreters concerning these verses on the occurrence of an unknown murder in the age of Moses , peace be upon him , At that time , the Israeli people asked Moses to ask his God to tell them who the murderer was , Here Moses told them that God had ordered them to slaughter a cow ,, something that surprised them because there did not apprar to them any relation between slaughtering a cow and knowing the murderer.They thought that Moses was mocking them , but Moses clarified saying that this was what God asked for in order to reveal the truth of the murder , They then started to ask him about the age , the color , and the job of the cow that should be slaughtered , when he explained all this as God inspired to him they searched till they found a cow in which are satisfied all the

qualities , and they slaughtered it God then reveals to Moses that they should hit the corpse of the murdered man with a piece of this cow , and they did God brought the dead to life till he mentioned the name of murderer and He took his life again , This was amiracle for Moses on one hand , and a material demonstration on God`s ability to bring the dead to life on the other , for this reason , God ends this Story saying " Thus Allah brings the dead to life and shows you His Ayat (proofs , evidences , verses , lesons , signs , revelations , etc) so that you may understand " .

Aly Abd - el - wahed emphasizes that the features of the cow God mentions in the miracle accord in general with those mentioned by the old Testament (Al - Tathniya Book) in the division procedures [8] It seems that this worshipping was common in Eygpt , The Greek storian " plutarchus " mentions that every province in Eygpt used to have its own sacred animal regardless of being worshipped in another province or not [9] These animals were symbols for gods that were distinguished by their names , shapes and feasts , The inhabitants of each province considered the animal that they worship greater than the other animals worshipped in the other provinces , it did not stop at this point , but they also prohibited and banned slaughtering some animals except in their sacred feasts , However , there was at least one worshipping that

comprised all the Egyptian people , that was the worshipping of goddess " Isis " and her diving family " Isis " was worshipped in all the provinces [10] she imposed herself on all different strata and succeeded in drawing them all The Egyptians depended on agriculture as a main source for food and " Isis " " Osiris " and their son " Horus " became their most preferable gods .

Greek historian " Herodotus " mentions that the Egyptians mads sacred for " Osiris " the husband of their goddess " Isis" some calfs that the Hellenes called (bull Apis) it was believed that " bull Apis " is the spirit of " Osiris " and the color of Egypt`s fertilized land Also , it was believed that there should be on the forehead of the calf a white mark that is closer to the shape of a triangle , on its back adrawihg similar to a small eagle or hawk , and under its tongue aknot that looks like a scarab : the calf should have adouble - haired tail , and sometimes it appeared on one of its sides a drawing similar to a crescent [11]

Priests and parsons determined these features to identify " bull Apis" because these are the features that emphasize the repetition of miraculous birth without breeding (by the spirit , as Isis returned Osiris to life by a breath) This miraculous birth had first happened in the Osiris who met the goddess Isis after his death got their son , god Horus , Horus was a new embodiment to the god father Osiris ,

as he became a father and a son in one hypostasis [12].This symbolizes eternity and resurrection , and it took shape of a human being just to be able to die , and therefore , Man can resurrected and be eternal like him .. and this a satisfactory reason for the " son " to occupy the place that we have mentioned The spirit of Osiris could take over the animal That symbolizes it , and it known as Apis ,People considered such an animal supernatural as if it was a spiritual not a material animal .

Plutarchus says : The bull Apis is born form a cow that is not bred by an earth calf , but is bred by amoon ray .. The bull Apis is born form a cow that a fertile ray of the moon rays breeds while it is ready for pregnancy " [13] .Aelianos narrates that a ray fell down form the sky on a cow was ready for pregnancy , and it gave birth to the bull Apis , that the Greek call Epaphos and for them , its mother is called IO[14] Speaking about the signs that decorate Apis , plinius says : The first thihg that distinguishes bull Apis is a crescent _ shaped white spot on its right side " . [15] Plutarchus here mentions that the Egyptians believed in the fertitity of the moon to the extent that they indicated the beginning of the spring by the appearance of the new moon of month Phamenouth (Bermhat = February _ March) , and they called its feast " the entrance of Osiris in the moon " This means that Osiris is fertilized as the

moon , and it is he who fertilizes the cow , that is going to be the mother of Apis , with the moon ray , Egyptians concentrated Osiris 's fertility power in the moon , and therefore , some parsons came to say that Isis is nothihg but the moon because her statues figure her with two horns crowning her head , those horns are hothihg but an imitation of the figure of the god of the moon "Eudoxos emphasized that Isis is the goddess whom people consult Regardihg their sexual life : people are always communing with the moon concerning their love affairs"[16] .

This is emphasized by the drawing for the moon orbits and phases that were found on the Iuxurious Sarcophagi for bull Apis [17] and it seems that the legend has mixed Osiris with the Moon god " Djebauti " and attributed each one 's traits to the other in exchange [18]. The surnames of the Moon god became that of Osiris the knower , the experienced in knowledge , the master of magic , the inventor of writihg , and the legislator , The most important surname that this study is deeply concerned with was " the master of foreign countries " it is an old name that used to refer to the moon as agod for deserts and Bedouins , and therefore , people considered him always a god for the semitic Bedouins who inhabited Sinai and the Syrian Valley [19] Osiris , as a moon , became a " master of foreign countries " and got closer to the

Semitic form an Egyptian point of view , for that reason , we find that the month referred to in Greek as " phamenouth " is the same that the Egyptians called "Djebauti " that was later contracted to " Thoth " it is the month of the moon that is related to land fertility and the beginning of the spring .

Plutarchus [20] sees that the Ėgyptians never allowed the slaughtering of female cows because they are sacred to the goddess Isis ,, something that goes with the economic need for the female cows and the necessity for keeping Them because they are the productive factory for newborns , Isis is what Greek called "IO" the daughter of " Inakhos " and the Greek used to figure her in the shape of a woman , decorating her head with the two horns of a cow [21] .

There are clear references in the translations of the Armenian papyrus of the Jewish military community that lived in Aswan in Egypt at Elephantine in the fifth century B.C that the Jews , who separated from their people and lived there where they did not know about the development that their religion had undergone after they moved from Egypt to Palestine , kept for us an old stage of the Jewish religion . It was found that in this community " Yahweh " the known Jewish god was worshipped , but beside him was worshipped his wife the goddess " the females of Yahweh " the

female Yahweh " or " the feminine of Yohoo " and she was called " the queen of the sky [22] This accords clearly with calling Isis "IO" which is " Yahweh " without any linguistic problems [23] .

Reading the Old Testament , we get to know that when Moses wanted to get out with enslaved Israelis form Egypt , he evidence before the Pharaoh implying that their religion obliges them to slaughter an immolation for God in a certain day , and that this immolation , in Egypt , is forbidden to be slaughtered , Therefore , the Israelis need to get out of the capital of the king to the desert to hold their feast , Here , Pharaoh answered saying ,

> Go and slaughter for your God in this land , Moses answers , We cannot do this because we are slaughtering the Egyptians ` squalor for our God
>
> If we slaughtered the Egyptians ` squalor in front of their eyes would not they throw us with stones ?
>
> We will travel for three days and slaughter for our God as Heorderedus [24] .

This was the premise or the moment of exit form the Capital : walking for three days to slaughter an immolation that is forbidden to be slaughtered for the Egyptians just to prevent riots and unrest , However , this was their way to escape form Egypt after they are far enough to be safe from the pursuit when it starts , But

after that , we do not find any details for any slaughtering except for the slaughtering of sheep at their doorsteps in Egypt at the night of the exit , and this was not the meant slaughtering . Also , we do not have any story for the slaughtering of any other animal in the course of the exit , except for the story of worshiping the golden calf , and we do not find any reference to about slaughtering in Sinai except for the legislation of division : something that does not have any relation to the worshiping principles for animal offerings (25) .

Here comes the story in the Holy Koran to fill in the missing gap , when God to whom be ascribed all perfection and majesty , orders Moses ....

Greek historian Plutarchus mentioned that the Egyptians allowed the slaughtering of yellow bulls because they are alluring and red i. e the color of the god of evil " Set " [26] Diodorus , the Sicilian , then tells us that the slaughtering of yellow or red bulls was allowed in the Osirius culi [27] Then , why was Moses afraid form the Egyptians when he decided to slaughter a yellow animal offering for gods ? Maybe , the secret beyond this was that the immolation was not an bull , but a female cow , and this was considered according to the ancient Egyptian Legend , aslaughtering of Isis , the divine enemy for god " set" [28] This

opinion is supported by a story told by a historian who was contemporary with it , The story tells that the people of Maria , and "Apis " two cities which lied at the borders of western Egypt , sent to the parsons of "Amon " saying that they are not Egyptians , but Libyans , and that they are asking to be allowed to eat the meat of cows , However , the answer came from the inspiration of " Amon " temple in Siwa that their request is strictly rejected , something that refers to the strict prohibition of slaughtering female cows (29) The Egyptians believed that the color of the Egyptian god of evil is red , so they allotted for the offerings those in their cattle that have a pure yellow color , They believed that Osiris was brown , so black color was sacred for them (30) .

For the Israelis , yellow was of special importance , so they made the bull , that thay apostate to , form gold , and not form any other unoriginal metal , This was a sign that they have deep faith concerning the tradition they used to follow in Egypt , worshiping their god " Set " that was represented by yellow cows that did not have any other color , and that they were strongly attached to its pure yellow symbol , and consent be to Mighty Allah when He says " And the people of Musa (Moses) made in his absence , out of their ornaments , the image of a bull (for worship) It had a sound (as if it was mooing) (31) .

In this case , " Stroweet " the province attributed to god " Set" which does not exist at all in the Egyptian tables for the provinces in Ancient Egypt , was the area of power for the god of deserts [32] This province must be Sinai , so it could be said that Sinai is what is known as the province of " Stroweet " in attribution to god " Set " in the works of classical historians Here , we have to note that " Stroweet " is the linguistic (?) for the Egyptian word " Dosreet " or "Doshreet " that signifies wide deserts [33] .

Special sources in Semitisms tell us that Sinai got its name in attribution to the god of the moon , which is pronounced " Sin " in Semitic . Horned bull were connected with the god of the moon especially when it is a crescent , after the ancient man had associated between the two horns of bull and the moon , as he considered the moon an bull , a goat or a heavenly sheep [34] God"Set " was associated to the god of the moon , the master of deserts and nomads This preponderates that the name of " Sin for the moon " had originally come form the singular , the "s" in " set" What concerns us here is that Sinai is a name attributed to the Egyptian god " set" and the bull here is a moon manifestation for the Bedouin god of Sinai , Thus , Sinai and " stroweet " though different in pronunciation , are attributed to the Egyptian god " set" [35] to whom Egyptians made advances to approach in fear of his

desert evilness , This comes clear in their practices of presenting him offerings of bull and red or alluring cows that were of pure color , If they had found just one hair of different color , they would have considered the offering unsuitable to sacrifice , Consequently , the offering for " set" was an bull or a bright yellow cow (36) .

The most prominent stories that reached us about the Egyptian god of evil , " Set" is the story that came within the Greek Plutarchus `s telling of the legend about " Osiris " the god of good , and his fight with " Set " the god of evil After the death of " Osiris " the fight continues under the leadership of "Horus " , Osiris `s` son in revenge for his father form his evil uncle The fight ends in the defeat of evil " set" by " Horus " plutarchus says ,

> After Horus had defeated him ... set ran away riding a donkey , His journey took seven days on the back of the donkey ... because set Used a donkey , and because of the stupidity of donkeys and red color , donkeys were attributed to Typhon , (Typhon is the Greek name for god set) This was a reason for the Egyptians ` hatred for donkeys in their creed . for this reason they called Ochus , the cruelest and evilest Persian king (Artaxerxes III) a donkey ? because of his cruelty and tyranny . He then answered the Egyptians back saying this donkey will celebrate eating your calf concerning those people

who say that set`s journey of escape had taken seven days on the back of a donkey , that he was saved and that he became the father of Hierosolymos and Judaeos , they aimed at getting the Israeli traditions into the Egyption legend [37] The fact , then , is that after the Egyptians had known the people of Israel , they linked them with the paternal brothers of the father set , the god of evil and devil , the enemy god in their creed .. The people of Israel in Egypt became the sons of set , whom the Greeks call Typhon , I ,e they descend form an evil origin The Egyptians made him .. a symbol for all harmful animals and plants , salt sea and horrible accidents .....

Hierosolymos and Judaeos are the Hebrew fathers of the Jews

.

Plutarchus repeats what supports what we have reached concerning one of the figure in which god set is manifested in the shape of a donkey , and Concerning the red color , The red color was a symbol of infertility as well as a sign for Sinai and its inhabitants [38] .

Thus .. it came the sacrifice that Moses took as Premise for getting out of the pharaoh 's city to the desert in order not to provoke the feelings of the Egyptians and the blond was a clear sign that refers to the Egyptian god " set" but it was a female cow ,

Here comes the question : was the slaughtering of the cow . that symbolizes Isis , who was called " IO" or the female "Yahweh " and who was the divine enemy of god set according to the legend mere provoking for the feelings of the Egyptians ? if it had been so . they would have slaughtered it inside the Egyptian city , so , why did they go out far from the Egyptians to slaughter it ?

We understand from Herodotus other classic historians that the Egyptians , in their turn , were used to slaughter the female bright yellow spoit cow , but just on a certain celebrating day , which is the day of celebrating the glorious Easter of martyr Osiris , However we do not have any testimony from the Egyptian sources that states the secret beyond this strong contradiction between prohibiting the slaughtering of female cows and the slaughtering a yellow cow at the celebration of that religious day [39] .

In the reference mentioned in the Holy Koran in verse 88 in chapter " Taha " concerning the worshiping of the calf the singular form in " This is Your illah (god) , and the illah of Musa (Moses) is used , while the Old Testament the plural form in "Israel , these are your gods who have got you from Egypt " [40] The verse shows that the meant god is the bull , and it mentions that this happened near the mountain that Moses had ascended to get instructions from

his God , the mountain that we call the Mountain of Moses [41] Researchers have interpreted the people's of Israel worshipping of the bull saying that it was an apostasy to the worshipping of the bull that the Egyptians worshipped with the name " Apis " However, what is mentioned in the Holy Koran , then in the Old Testament is completely the opposite showing that the bull was an old god that the ascendants of the Hebrews were worshipping before prophets reached the message of the unity of God (Allah) because it is not acceptable that the gods or the god that got them out of the slavery of the Egyptians IS Egyptians , but it is logical that it is Sinai , where the worshipping of the god " sin " the Semitic god[42] of the moon , pervaded , and when Moses was absent , they quickly fell back to worshipping this god that the Semitic groups , who used to inhabit Sinai long ago , worshipped The evidence on the oldness of worshipping the Semitic god of the moon in Sinai is one of the early pharaohs , (pharaoh snefrou) the old king of the fourth pharaoh Dynasty (2238 _ 2561 B. C) who figured himself wearing a crown

With a crescent shape , symbolizing the god of the moon " Sin " when he wanted to express his victory over the Semitic inhabitants of Sinai [43]

Nots

Valbelle . D., Le Sanctuaire d ' Hathor , Maitresse de la Turquoise (1)
paris 1996 , pp , 36 ff .

(٢) احمد فخرى ، تاريخ شبه جزيرة سيناء منذ أقدم العصور حتى ظهور الإسلام – شبه جزيرة سيناء على مر العصور – موسوعة سيناء الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢ ، ص ٨٥ .

This supposedly goes to the fact that some of mines workers in Serabit (٣) El_Khadim were of Asian Semitic origins , where it was proven that Egypt had relations with their countries since the twelfth family , ad that some of the inhabitants in the Syrian areas were working in Serabit El_ Khadim see

احمد فخر ى، مرجع سابق , ص ص ١٠٨ – ١١٠

Hans Goedicke , The Exodus and the Crossing of the Sea , Biblical , (٤)
Archaeology review , Sep - Oct , 1981 , vol , vii , no 5 , pp 42_54 cf;
Valbelle . D. op , cit ,, pp , 36 ff .

Petrie. F ., Memphis I , London 1980 , Pl . 28 In 1905 , British (٥) archeologist flenders Petrie found in Serabit El- Khadim near the mines in Sinai some writings inscribed in Turquoise on rock;these Writings are called now the "Proto- sinatic writings ". It came clear that the Proto-sinatic is the oldest writing that uses the alphabet till now .petrie found a discovery for this on some remains that had been built in the age of "Tohothoms III"during the

first half of the fifteenth century B.C After Petrie's discovery , more Proto- sinatic writings were found after a fenlandian mission had found in 1929 new writing, followed by the American Harvard University mission That discovered the same writing in other sites , till what has been foundreached 25 text . These text are concerned with the work of excavtingTurquise in sinia and sacrificing some offerings, that are called "obedience"To "Baallat hathor is an egyption goddess, something that refers to the egyption and semitic mixing and combination in that area that lies in the west of Katherine mountains, a sacred place, to which Moses directed with his followers when he got out Egypt see ، أحمد فخرى ،

دراسات في تاريخ الشرق القديم ، الانجلو

المصرية القاهرة ١٩٨٤،ص ١١٧

(١) In a temple in Serabit El _ Khadim , there were found neliafs that were similar in their job to the Semitic monuments Among them were twelve neliafs held along the passage leading to the temple , Flenders Petrie , who discovered them sees that these monument are a kind of memorial Reliefs established by their owners at the sacred places which they visit or go for pilgrimage to immortalize their visit to the place and to come closer to the gods of the place , This was a common habit for the Semitics , This kind of monuments was called "

Beet _ Eiel " in the Old Testament , as mentioned in 28 : 10 _19 in the creation book . Petrie observed that many of these neliafs in the temple of Serabit El _Khadim are surrounded by low fences From this he concluded that the Egyptians were intluenced in that area by the Semitic habit of resurrecting gods in dreams , that they were practicing this habit Serabit El_Khadim , and that this habit aimed at resurrecting goddess " Hat_ Hor " the goddess of Turquoise , to guide them in their dreams to the sited of Turquoise in the bottom of rocks See Petrie . F, Researches in Sinia , Mines and quarries department of Egypt , report on the mineral of Egypt , 1922 , pp , 79 _80 .

(٧) Gardiner _ peet _ Cerny ., The Inscriptions of Sinai , London 1955 , vol . I ., pl . 88 , No , 478

على عبد الواحد وافى ، اليهودية واليهود ، دار النهضة مصر ، القاهرة - بدون تاريخ ، ص ١١ - ١٣

(٨) Aly Abd _ El _ Wahed , mentions the story of the cow in the Old Testament In a kind of primitive anatomy , he says , " If the corpse of a dead person had been found in the open or in the middle of a field , and it had not been acknowledged the Jewish masters should have measured the distance the between the corpse and the near by villages When the nearest place was determined they were to ask the leaders at vallag to bring a cow

that had not been used in work yet, and to slaughter it in a water stream. The people
in the village had to wash their hands in the water swearing that they did not kill neither did they see the dead person In that way they would not bear the sin of killing him see. سفر التثنية ٢١/ ١_٩

(٩) Plutarchus, De Iside et Osiride Mortalia V., edited with an introduction Trans and commented by J. Gwyn Griffiths, Uni, of Wales Press 1970. No ,74

(١٠) Ibid, 52.

(١١) Herodotus, II, 38.

(١٢) "He bring out the living from the dead, and brings out he dad from the living"Chapter " Al _ Rum ", verse 19.

(١٣) Plutarchus ., op ., cit ., 43.

(١٤) Herodotus ,, II, 28 and 38.

(١٥) Plinius ., Naturalis Historia ., viii, 184 v

(١٦) Plutarchus ., 52 _ 372 D.

(١٧) سليم حسن، مصر القديمة، ١٦ جزءا، القاهرة ١٩٤٠ _ ١٩٦٠ م، جـ ٤ ص ١٩٦

(١٨) Strabo (Xvii), 40) observed that in the city of Kinopolis I, e The city of the dog, god " Anubis " the god of dead dogs, was worshipped, and that there was held then abanquet for the dogs He also abserved that the people of Babylon, in his time used to glorify and extol the Cyno Cephalus – the monkey with adag – shaped head Plutarchus ; op – cit, 62 mentions that the dog of the Bebon " Djebauti " the god of wisdom was associated with " set" the god of Bedouins as he went out of his head. He says " it is called Tophoon _Set _ Bebon and Smu Above all they call iron Typhon 's bones : thon as Manithon mentions ".

(١٩) ياروسلاف تشيرنى , الديانة المصرية القديمة , ترجمة أحمد قدرى , هيئة الآثار المصرية , القاهرة ١٩٨٧ ,ص ٧٩ - ٨٠

Say that set was worshipped as " Baal " by the Semitics , He was the god of war for the Egyptians and the Semities He was the god of good for the Semitics and the god of evil for the Egyptians He is Baal Safoon or Baal Saban Changing the letter "s" to "t" Safoon in Greek becomes "Typhon " the god of evil and epidemics This means that the Greek god is not Greek , but an eastern god coming from Sinai , See .

(٢٠) Plutarchus ., 22 – 359 B, and 31 – 362 .
(٢١) Herodotus ,, II , 28 .
(٢٢) Grelot , p ,trad ., Documents araméens d ` Egypt , literatures ancienne du proche – Orient , 5 paris , 1972 , no 87 .
وانظر ايضا : كمال الصليبى , التوراة جاءت من جزيرة العرب , ترجمة عفيف الرزاز , مؤسسة الأبحاث العلمية بيروت بدون تاريخ ص ٥٥

(٢٣) Lods A.. Israel form its beginnings to the middle of Eight Century , London 1963 ,, pp , 321 – 322 .

(٢٤) The Exodus Book , 8 \ 25 -27 .
(٢٥) على عبد الواحد وافى , مرجع سابق , ص ٦٠ ومابعدها .
(٢٦) Plutarchus ., 34 – 362 .
(٢٧) Diodorus ., I , 88 , 4 – 5 .
(٢٨) Ibide ., I , 88 , 4 – 5
(٢٩) Herodotus , II , 28 ,
(٣٠) Ibide , II , 28 .
(٣١) Chapter Al_ A' raf , verse (148) Abd _ AL _Sabour Shaheen says commenting on this verse ,The story started with Moses ascending the mountain leaving his brother Haroon " to be his successor in his people Then , one man who belongs to the people of Israel came and collected all the gold and ornaments people have gotten with them form Egypt , put it in a hole (pit) and lit fire , After that , he shaped it in the image of a calf who made a sound as if it was mooing . He then , tells the people of Israel : this is your God and the God of Moses as well , This was a calf that is similar to Abis , the calf that the Egyptians worshipped , It seems that this man , Al _ Sameri , knew about tricks , sculpture and sounds (voices) : something that made the people of Israel interested in him : made them admire his invention and hurry to worship this new god see .

الاستاذ إصلاح عبد السلام الرفاعى قصة الدين والنبوة فى مصر قبل الإسلام , الزهراء للإعلام العرب القاهرة ١٩٩٦ , ص ١٨٦

(٣٢) سليم حسن , مصر القديمة , مرجع سابق , جـ٤ , ص ص ٦٥ _ ٦٦

Says that Mr , Jankor proved that god set was the local god for the city strt I . e sethroite in the Geek era , This city lies in the Eastern North to the Delta as janker believes , set was the local worshipped god for this region in which the Heksos built the fortifications in their great capital that they considered a point of connection among the parts of their enormous country and that included Egypt , Palestine and Syria it seems that the Heksos were a mixture of different races .. We know that both gods , Baal and Tshoop were united in the god set .

Hayes , W, C , Egypt from the death of Ammenemes II , P , 17

محمد بيومي مهران , دراسة حول الديانة المصرية القديمة , الأسكندرية ١٩٧٨ , ص ٢٠ وهامش رقم (٤) وانظر أحمد عيد , جغرافية التوراة فى جزيرة الفراعنة , مركز المحروسة , القاهرة ١٩٩٦ , ص ٤٧ , ص ٢٧١ .

Gardiner ., op ., cit , vol , 1 , pl , 2 , No , 5

(٣٥) سليم حسن ، مصر القديمة ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ص ص ٦٥ _ ٦٦

(٣٦) **About " donkey " Plutarchus : op , cit , 31 , emphasizes the relationship between the word " Ahmar " " Hamar " the color red The people of Osiris and Lycopolis prohibited the use of horns and trumpets because the make sounds similar to e , they believed that the donkey is a dirty animal , Therefor this of he donkey goar , Its offerings were bulls , yellowish red , provided that they are pure , They have to be bright yellow that please the beholders .**

(٣٧) **Ibide , 31 .**

(٣٨) يقول ياروسلاف تشيرنى , الديانة المصرية القديمة , مرجع سابق , ص ١٦١

"The animal symbol for the worshipped god Setekh represented an animal that looks like a donkey "

وانظر ادولف إرمان , ديانة مصر القديمة , نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة , ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى , القاهرة _ مكتبة مصطفى البابى وأولاده , بدون تاريخ , ص ٤٧ , ص ٤٥٠

(٣٩) **Herodotus , II ,132 .**

(٤٠) سفر الخروج , ٣٢ : ٣ _ ٤

(٤١) **Hans Goedicke , op , cit , vol , vii , pp , 42 – 54**

(٤٢) سليم حسن , مصر القديمة , مرجع سابق , جـ ٣ , ص ٣٠٤
Say`s that the bull that the people of Israel worshipped was the bull or the bull that
Symbolizes the Semitic Moon , which was worshipped in Sinai with the name " sin" avery old god , God in the Arabic Island that was worshipped in the shape of a bull or an ox in almost all its regions It seems that this was the common god worshipped by the semitic tribes that inhabited the semitic countries There semitic people symbolize the god " Sin " in the shape of a bull or an ox because of the similarity between the crescent shape of the moon and the crescent shape of the horn of he bull or the ox ,

Petrie , F, Researchers in Sinai ,. Op ., cit ., p .. 43

سليم حسن , مصر القديمة , مرجع سابق , جـ ٣ , ص ٢١٣

الأسباب السياسية لإعادة تتويج بطليموس الخامس
٢٠٥ _ ١٨٠ ق.م

الاسباب السياسية لاعادة تتويج بطليموس

الخامس ٢٠٥ــ ١٨٠ ق.م

احتذى بطليموس الخامس ـ ابيفانس ـ الاله المتجلى ـ الاسكندر الاكبر فيما فعله [١] فبعد بلوغه من الرشد ـــ الثانية عشرة من عمره احتفل فى مدينة الاسكندرية ـــ عاصمة البلاد ـــ بتولية السلطة الملكية أمام اليونانيين ، بعتباره ملكا مقدونيا [٢] وفى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٧ ق.م احتفل برسامته فرعونا ، وبصفته ابنا للاله " رع " فخلع على نفسه تلك الصفة الالهية التى كان يستمد منها الفراعنة سلطتهم المطلقة ، ليؤكد سلطانه وقدسيته امام المصريين فى معبد الاله " بتاح " بمنف [٣] وذلك امام ممثلى المعابد المصرية المختلفة ، وبذلك اصبح بطليموس الخامس ـ ابيفانس ـ ملكا على مصر " وفرعونا والها فى نظر رعاياه واتبع البطالمة من بعده هذا النظام السياسى ، بصفتهم فراعنة مصر [٤] .

اذن لنتسائل ماهى الاسباب والدوافع السياسية التى تكمن وراء اعادة تتويجه بمدينة منف فرعونا ؟ بعد ان توج ملكا مقدونيا فى مدينة الاسكندرية ؟

أولا : الاسباب السياسية الداخلية : ــ

توفى بطليموس الرابع ـ فيلوباتور ـ فى أغلب الظن عام ٢٠٥ ق.م واعتلى عرش البلاد ابنه بطليموس الخامس ـــ ابيفانس ـــ وهو صغير السن فتولى عليه الوصاية " سوسيبيوس " و"اجاثوكليس " بعد ان قتلا الملكة " أرسينوى [٥] الثالثة ، ثم نصب " سوسيبيوس " نفسه وصيا على الملك ثم حل محله فى الوصاية من بعده " اجاثوكليس " الذى أرسل الى روما نبأ اعتلاء بطليموس الخامس عرش مصر وفى تلك الاثناء كانت كراهية المصريين ل" اجاثوكليس " تشتد يوما بعد يوم لفجوره وفسقه ، وامتلاء البلاط

الملكي بالفتن والدسائس (٧) وبخاصة أن " تليبوليموس " قائد بلوزيون كان يرغب في ان يكون وصيا على الملك بدلا من " اجاثوكليس " واحتدم الصراع بينهما ومن ثم فقد اشتعلت نيران الثورة في الاسكندرية وقتل فيها " اجاثوكليس " مع اسرته وكانت فرصة المصريين مواتيه لمواصلة كفاحهم من أجل التحرر من سيطرة البطالمة ، فامتدت تلك الثورة الشعبية الى باقي أنحاء الدلتا ومصر الوسطى (٨) ويبدو أن هذه الثورة الشعبية القومية كانت أشد ماتكون في صعيد مصر ، وفي أقليم طيبة بالذات ، والذى تشير الادلة على أنه كان مستقلاً عن السيادة البطلمية اعتبارا من العام السادس من حكم بطليموس الرابع عا م٢٠٦ ق. م وكان يحكمه زعيمان نوبييان هما حور ماخيس وعنخا خيس (٩) .

واذا بحثنا عن أسباب تلك الثورات الشعبية القومية وجدنا لها أسبابا متعددة بعضها سياسي ، اذ أن المصريين اعتبروا الملوك البطالمة مغتصبين لحقهم في الحكم وبعض هذه الاسباب كان عاما يثقل عبء الضرائب على الشعب المصرى ، ذلك أن الادارة البطلمية تجاوزت الحد في ابتزاز الاموال ، وفي فرض الضرائب على الشعب الذى انتفض تأثرا على هذه الاوضاع ، وبعضها ديني يتمثل في عداوة المصريين للاله "سيرابيس " (١٠) .

ويمكن القول أن الظروف السياسية الداخلية ساعدت الكهنة على القيام بدور الزعامة المادية والروحية ، وذلك بعد ان شعروا بضعف نفوذهم القديم فبذروا بذور الفتنة وأشعلوا نيران الثورة ، فكان الثوار يدمرون كل مايقابلهم (١١) أذ ينص حجر رشيد على قيام ثورا ــ لحين ضد الملك في اقليم " بوسيريس ــ أبوصير " حوالى عام ٢٠٠ |١٩٧ ق.م وكانت هذه الثورات أساسا موجهه ضد أصحاب عقود تمليك الأراضي الزراعية من اليونانيين (١٢) .

وفى وسط هذه الظروف ازدادت فجوة الصراع المصرى اليونانى ، خاصة بعد توقف هجرات اليونانيين الى مصر والذين كانوا عماد الجيوش البطلمية (١٣) لذا فقد بذل أوصياء بطليموس الخامس كل مافى وسعهم لاخماد تلك الثورات الشعبية القومية التى أدت الى قيام الاضطرابات الداخلية ، وكان من نتائجها شلل الاقتصاد المصرى ، وافلاس الخزانة البطلمية (١٤) وتشير الأدلة الى ان نيران الثورة الشعبية ظلت مشتعلة فى البلاد حتى عام ١٨٤\١٨٣ ق.م عندما وقعت سايس فى قبضة بطليموس الخامس (١٥) .

وكانت تلك الثورة الشعبية أعنف ماتكون فى صعيد مصر ، وفى اقليم طيبة بالذات فقد تزايد عدد الاثيوبين فى جنوب مصر ، وزاد تدفق الافريقيين الى مدينة طيبة التى كانوا يحجون اليها ، حيث أنهم كانوا يعبدون الاله الطيبى " آمون _ رع " (١٦) وذلك الاله المصرى الذى انتشرت عبادته فى ربوع السودان منذ منتصف القرن التاسع قبل الميلاد (١٧) وتشير الوثائق الى أن هؤلاء الاثيوبيين وبالذات الكوشيين هم الذين قاموا باشعال نيران الشعبية فى صعيد مصر مطالبيين تحرر مدينة معبودهم الاله " آمون _ رع " من سيطرة حكم البطالمة ، وعودتها الى فترة ازدهارها فى ظل الدولة الحديثة الفرعونية (١٨) وقاموا بانتاج تبوع صانع الفخار التى تكهنت بقصة سقوط الاسكندرية ، على يد فرد من ابناء جلدتهم يجئ ويخلص المصريين من حكم البطالمة ويعيد العاصمة الى منف كما كانت أيام الفراعنة (١٩).

ولعل بطليموس الخامس حاول برسامته فرعونا وبصفته ابنا للاله " رع " السيطرة على الاثيوبين الذين استقلوا بجنوب مصر ، واقليم طيبة بالذات منذ عام ٢٠٦ ق.م (٢٠) بهدف استرداد تلك المنطقة للنفوذ المصرى مرة أخرى وذلك لتامين حدود

مصر الجنوبية الى جانب السيطرة على طرق التجارة الى افريقيا (٢١) خاصة بعد ان فقدت مصر املاكها فى حوض البحر الابيض المتوسط (٢٢) .

وعندما تحرج مركز بطليموس الخامس جمع مستشاريه وشاورهم أزاء الظروف الداخلية التى احاطت به حين كان يرسى قواعد دولته فى مصر فكان يتعين عليه أن يعمل جاهدا لقمع تلك الثورات الشعبية والاضطرابات الداخلية بشتى الوسائل ولم يجد بطليموس مفرا ــ والامر كذلك من أن يفاوض الكهنة المصريين الذين قاموا بدور الزعامة فعرض عليهم الكف عن الثورات مقابل ضمان مكاسبهم فأكدها فى قرارته ، دون أن يهمل فى الوقت نفسه مشاعر المصريين والاثيوبيين فى جنوب مصر على حد سواء.(٢٣) فتاليهه فرعونا استخدمه كدعم لنفوذه ولفرض سيادته كحاكم أعلى ومالك لكافة الوسائل المتاحة تحت تصرفه فأخذ صفة السيد المسيطر على البلاد وبمعنى آخر فأنه جسد الدولة فى شخصه ، ورغبته فى تغيير الحكم الى القدسيه من أجل اصلاح الأمور فى الداخل ، واستماله المصريين والاثيوبيين كمتعبدين للاله المصرى " آمون ــ رع " اليد على حد سواء وطمأنه الاغريق الذين كانوا يعيشون وسط تلك الثورات القومية وهو لم يفعل ذلك من أجل رعيته أو لشعوره بالمسئولية تجاههم أو لأنه لمس سوء أحوالهم الاجتماعية وانما رغب فى ازالة أسباب الثورات الشعبية التى أدت الى شلل اقتصاد البلاد ولكسب السمعة الطيبة التى يستحقها ملك البلاد ، حيث وجد نفسه فى موضع محرج أمام محاولات استغلال الدول الخارجية من اجل نفوذه السياسى فى الداخل بعد أن تدهورت الزراعة وضعفت السلطة المركزية وفشلت فى السيطرة على البلاد (٢٤) .

ولعله لم يتخذ مدينة منف لتتويجه ارضاء للمصريين فحسب بل أيضا أو قبل كل شئ لتكون العاصمة المصرية التى يكون أكثر امنا فيها من الاعتداءات الخارجية أذ أنه فى ذلك الوقت لم يستشعر مقدرة جيشه على تأمين مركزه فى مدينة الاسكندرية (٢٥) .

وهناك دلائل كثيرة على أن بطليموس الخامس حاول برسامته فرعونا وبصفته ابنا للاله " رع " استماله المصريين اليه ، خاصة بعد توقف هجرات اليونانيين الى مصر ابتداء من أوائل القرن الثانى قبل الميلاد (٢٦) والذين كانوا عماد الجيوش البطلمية لذا فقد ابتدأ بهذا التتويج سياسة التمصير التى اتبعها الملوك من بعده وتلك لتكوين جيش من الفلاحين المصريين خاصة وان ذلك كان من احد الاسباب السياسية والقومية التى تكمن وراء قيامهم بالثورات الشعبية بعد أناحرزوا النصر للملك بطليموس الرابع فى معركة رفح عام ٢١٧ ق.م (٢٧) وبالفعل بدأ منذ تنصيبه فرعونا تغيير لم يكن متبعاً من قبل فنلاحظ كثرة ظهور العنصر فى الجيش والادارة بل وترقيتهم للمراكز العليا ويبدأ اختلاط الدماء المصرية باليونانية وذلك لأن بعض المصريين ارتقوا الى أعلى الدرجات بعد ان أخذ العنصر الاغريقى يخلى الطريق أمام العنصر المصرى (٢٨) ولعل الكهنة المصريين قد رحبوا بفترة اعادة تتويج بطليموس الخامس على الطريقة المصرية واقنعوا الشعب المصرى بصدى شرعية ذلك ، فان اللقب المصرى على حجر رشيد هو من" يطلع ويشرق " وهو تعبير دقيق على اسم المتجلى أو الظاهر ، وكان بطليموس الخامس الغلام يعد عندهم اله الشمس متجلياً على أرض مصر (٢٩) ومن ثم فقد أدرك مدى شرعية حكمه كفرعون فقام بتنصيب نفسه فرعونا وحمل الالقاب الفرعونية هادفا من وراء ذلك تأكيد سلطانه واكتسابه مظهر الشرعية فى نظر رعاياه المصريين كما بذل جهدا مستمرا لتأكيد سياسة التمصير وذلك لاستماله المصريين اليه فأصدر القرارات الملكية التى عفها فيها عن الثورات وعن الجنود المصريين كما عمل على تبسيط الامور الادارية عن ذى قبل (٣٠).

ثانيا : الأسباب السياسية الخارجية :

وفى وسط هذه الظروف الداخلية الصعبة ، وبينما حاول أوصياء بطليموس الخامس بكل جهودهم الحد والقضاء على الثورات القومية ، خاصة بعد ضعف العنصر الهللينى فى مصر ، انتهز الملك السليوقى ، " انتيوخوس الثالث " والملك المقدونى " فيليب الخامس " فرصة ضعف السلطة المركزية والفوضى التى سادت البلاد فى الداخل ، واتفقا على تقسيم ممتلكات مصر الخارجية فيما بينهم فى عام ٢٠٣\٢٠٢ ق.م بحيث يحصل كل منهما على أقربها الى مماكته فيأخذ " فيليب الخامس " من مصر جزر الكيكلاديس وممتلكاتها فى تراقيا والدردنيل على أن يأخذ " انتيوخوس الثالث " جوف سوريا ومابقى لمصر من ممتلكات فى آسيا الصغرى [٣١] وبالفعل قام الملك السليوقى فى سنة ٢٠٢\٢٠١ ق.م بالاستيلاء على سوريا الجنوبية بما فى ذلك فينيقيا وهى المنطقة الغنية بأخشاب لبنان وعلى منطقة جوف سوريا ـ الأردن وهى المنطقة التى بها طرق التجارة البرية الآتية من الهند عن طريق جنوب شبه الجزيرة العربية ، وهاتان المنطقتان كانتا خاضعتين لمصر فى قمة ازدهارها الاقتصادى ونفوذها السياسى والعسكرى [٣٢] .ولقد استردت مصر بعد فترة وجيزة تلك المناطق بعد أن تم تغيير الوصاية على الملك الصغير ، ولكنهما لبثت أن سقطت ثانية على يد " انتيوخوس الثالث " فى الحرب السورية الخامسة (فى عام ٢٠٠ ق.م) [٣٣] كما استولى فيها على ممتلكات مصر الخارجية فى آسيا الصغرى وتراقيا فى الوقت الذى كان يستولى فيه " فيليب الخامس " على ممتلكات مصر فى بحر ايجه بحيث لم يعد لمصر من ممتلكاتها الخارجية سوى اقليم برقه فى ليبيا وجزيرة قبرص [٣٤] . وكان لهذا النجاح العسكرى الذى أحرزه كل من " انتيوخوس الثالث " ملك سوريا و " فيليب الخامس " ملك مقدونيا أثره على الخزانة البطلمية التى أوشكت أن تفقد مدخراتها [٣٥] ولذا فقد حاول أريستومنس وزير بطليموس الخامس ، المقايضة مع انتيوخوس لانقاذ مصر عن طريق

المصاهرة السياسية فأخذ يسعى منذ عام ١٩٨ ق.م الى عقد الصلح بين مصر وسوريا على أساس زواج بطليموس الخامس من كليوباترا الأولى ابنه انتيوخوس الا أن الثانى لم يقبل هذا العرض ، حينئذ ، لتأمين مصر بدون مقابل [٣٦] .

وازاء تلك الظروف الخارجية فقد كان طبيعيا أن تضمحل تجارة مصر الشرقية خاصة بعد أن نجح السليوقيون فى طرد المصريين من سوريا وآسيا الصغرى ، وتحكموا فى طرق القوافل القادمة من شواطئ بلاد العرب الجنوبية الى سوريا بطريق البتراء ولم يكن فى وسع حكومة بطليموس وضع التجارة الشرقية فى قبضتها الا اذا تحكمت فى منافذ الطرق التجارية فى سوريا وآسيا الصغرى والسليوقيون بالطبع ، لن يسمحوا لحكومة بطليموس الخامس بالتوسع فى الشرق فتصبح خطرا يهدد مصالحهم هناك [٣٧] .

لذلك حاول بطليموس الخامس أن يستبدل هذا الطريق آخر فبات أمله معقودا بمصر وتجارة الجنوب ، للحصول على سلع الانتاج السودانى والافريقى وهى المناطق التى اشتهرت قديما بمحاصيل وهى الذهب والعاج والبخور والتوابل والأبنوس الى جانب عدد من الخامات الطبيعية والمعادن والاحجار الكريمة [٣٨] ولما كان البحر الاحمر فى أيدى العناصر النشطة من العرب فى جنوب الجزيرة العربية [٣٩] والذين كانوا يعتبرون هذا البحر بحيرة خاصة بهم ولايسمحون بدخول الاجانب فيه ، وتقلص دورها التجارى على الآتيه عن طريق المحيط الهندى والبحر الأحمر [٤٠] فاضطر بطليموس تحت الظروف من ناحية ، والحاجة الملحة من ناحية أخرى الى الاستيلاء وتأمين الطريق البرى الصاعد مع النيل عبر بلاد كوش فيما وراء الشلال الثالث فى الهضبة الحبشية الى مملكة " مروى " والتى تأثرت بحضارة عرب الجنوب [٤١] .

ولان الطريق الصاعد مع النيل لم يكن مفتوحا ومأمونا حينئذ ، حيث سيطرت عليه العناصر الاثيوبية والكوشية منذ أواخر زمن بطليموس الرابع ـ فيلوباتور ، وفى

بداية حكم بطليموس الخامس عبرت اعداد وفيرة من هذه العناصر الحدود المصرية الجنوبية وتوغلت فى بعض الاقاليم المصرية حتى انهم استقلوا بأقليم طيبة (٤٢) واستقروا جنوب البلاد ولم تتمكن جهود بطليموس الخامس العسكرية صدهم عن هذه المناطق كما انهم كانوا وراء الثورات الشعبية الوطنية فى معظم اقاليم مصر العليا وبالذات منطقة طيبة ضد السيادة البطلمية ومن اجل ذلك أقام بطليموس الخامس علاقات ودية مع المملكة الأثيوبية (٤٣) .

ولقد استغل بطليموس الخامس اعادة تتويجه فرعونا وبصفته ابنا للاله " رع " ليتدخل سلميا ويستعيد اقليم طيبة ومن المحتمل أنه نجح فى استعادة سيطرته على تلك الاقاليم وزارها حوالى عام ١٨٦ ق.م الى جانب استعادة المناطق التى تتحكم فى طرق التجارة الجنوبية من الاثيوبيين وربما شجعه على ذلك ادراكه أن الاثيوبيين والكوشيين كانوا من أشد المعجبين بعناصر الحضارة المصرية ولذلك بذل بطليموس كل مساعيه لتهدئه الثوار بأصداره قرارات العفو وأنهم كما يؤكد الدكتور سيد الناصرى كانوا يعبدون الاله المصرى " آمون _ رع " بشغف وهذا هو سبب محاولة استقلالهم باقليم طيبة ومدينة الاقليم ومقر عبادته (٤٤) لذلك اعاد تتويجه فرعونا مصريا لكسب ود تلك العناصر الافريقية والذين كانوا وراء ثورة طيبة الوطنية وربما لكراهيتهم للعرب الذين يختلفون معهم فى المذهب (٤٥) .

وتشير الادله الى نجاح محاولته ،فحرص على اقامة علاقات طيبة مع الافريقين وشجعه ذلك الى ارسال العديد من الرحلات الاستكشافية الى افريقيا للتعرف على مواردها [٤٦] كما شجعت العلاقات الطيبة التى اقامها معهم على قدوم عدد وفير من الافريقيين للعمل فى مدينة الاسكندرية ومنذ فترة حكم بطليموس الخامس أصبحوا يشكلون طبقة مميزة عريضة من سكان العاصمة البطلمية فكانوا يعملون فى ميناء العاصمة كحمالين وفى البيوت كخدم ومربيين وحملة مصابيح وأخذ العنصر الافريقى يتزايد فى مدينة الاسكندرية منذ زمن بطليموس الخامس فصاعدا وحتى أواخر العصر البطلمى [٤٧].

هوامش البحث

١ _ حيث أن الاسكندر الأكبر نفسه ابنا للاله المصرى " آمون - رع " انظر : دكتور ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصرفى عهد البطالمة ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٥٩ ص ٥٨ ـ ص٥٩ وكذلك و. و تارن (ترجمة زكى على) الاسكندر الاكبر ، القاهرة " سلسلة الالف كتاب " ١٩٦٣ ص١٧٨ـ ص١٧٩.

٢ _ عن الملكية المقدونية القديمة وتطورها انظر : و. و . تارن " ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد " الحضارة الهلينستيه ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٥٥ _ ص ٨٨ وكذلك :-

٣ _ عن سلطة الفراعنة المطلقة وعلاقتهم الوثيقة بالملكية :-

٤ _ عن فترة حكم بطليموس الرابع _ فيلوباتور ، انظر:-

وكذلك انظر :-

٥ _ انظر :-

وكذلك انظر : دكتور عبد الله حسن المسلمى ، كاليماخوس القورينى ، منشورات الجامعة الليبية " كلية الاداب ١٩٧٣ ، ص ٤٤٨ ـ ٤٥٢ وكذلك النص ص ٤٥٣ ـ ص ٤٥٦ .

٦ _ وانتهز فيليب وابنتوخوس تلك الفرصة فبدأ الهجوم على ممتلكات مصر الخارجية انظر : و.و . تارن ، المرجع السابق ص ٢٧ .

٧ _ لقد راجت منذ فترة حكم بطليموس الرابع _ نبوءة صانع الفخار التى تظهر عن كراهية المصريين لمدينة الاسكندرية _ وتحذنا بأن مصريا سوف يحرر البلاد من مغتصبيها الاجانب ويعيد العاصمة الى مدينة منف كما كانت أيام الفراعنة ولعل هذا هو سبب اعادة تتويجه فى مدينة " منف " ليقنع المصريين بأنه الفرعون المنتظر انظر : المرجع السابق ص٢٤٠_ص٢٤١ .

٨ _ عن الثورات الوطنية انظر: الدكتور محمد عواد حسين ، كفاحنا ضد الغزاة ، مع نخبة من العلماء ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ ، ص١٠٣ _ص١٠٦

وكذلك انظر :

٩ _ انظر : دكتور محمد عواد حسين ، المرجع السابق ، ص١٠١_ص١٠٣ .

١٠_ انظر : سيد قمنى ، ازوريس وعقيدة الخلود فى مصر القديمة ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٢١٧ ومابعدها .

١١_ وعن الثورات المصرية فقد لخصها د. محمد عواد حسين ، مرجع سابق ص٨٦ _ص١٠٣ ويذكر أن الفلاحون فى عهد فيلادلفوس اثاروا الاضطرابات للتعبير عما انطوت عليه صدورهم من ضيق ضد الحكم البطلمى ويعتبر بعض الدارسين ان بطليموس الثانى فيلادلفوس هو أول من نفذ وفرض نظام العقوبات القاسية ضد محركى القلاقل والاضطربات وقد قام المصريون بثوراتهم الاولى فى عهد بطليموس الثالث _ يورجيتيس الاول منتهزين فرصة خوضه حربا مع السليوقيين مما اضطره الرجوع لاخماد تلك الثورة المسلحة التى قامت فى وادى النيل هذا وقد عانى كل من الحكومة والجيش البطلمى فى اخماد تلك الثورة القومية كما انفق الملك من أمواله الخاصة لاستيراد الغلال من قبرص وسوريا وفينيقيا ووزعها على المصريين الذين هددتهم المجاعة وما ان عاد المصريون من ساحة القتال فى رفح منتصرين حتى بدءوا يبحثون عن الزعيم الذى يقود ثورتهم الثانية ضد السيادة البطلمية التى سلبت خيرات بلدهم وعاملوا أصحابها معاملة المغلوبين وسرعان ماعثروا عليه ، فأشعلوا الثورة على الفور فى الدلتا ومصر العليا عام ٢٠٧ _ ٢٠٦ ق.م .

١٢_ انظر : دكتور سيد أحمد على الناصرى ، حضارة وتاريخ وآثار مصر تحت حكم الاغريق والرومان من الفتح المقدونى حتى الفتح الاسلامى ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٩ ص ٨٦_ص٨٧ .

١٣_ انظر و.و تارن ، مرجع سابق ، ص١٩٠ _ ص١٩١ وص ٢١٨ _ ص٢١٩ .

١٤_ انظر : ابراهيم نصحى ، دراسات فى تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص١٨٢_١٨٧ .

١٥- انظر : د. مرجع سابق ص ٢٧٤_٢٧٥ .

١٦_ انظر : الدكتور سيد أحمد على الناصرى ، دور مصر التاريخى بين شبه الجزيرة العربية وافريقيا فى عصور ماقبل الاسلام ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٠ م ص ٢٠ _ ص ٢٢ وكذلك الدكتور صلاح الدين الشامى ، الموانى السودانية القاهرة مجموعة الألف كتاب ١٩٦١ ص٥ _ص٢٩ .

١٧_ انظر الدكتور محمد ابراهيم بكر ، تاريخ السودان القديم ، دار المعارف ٩٨٧ ص ٥٩_ص٩٤.

١٨_ انظر الدكتور :سيد أحمد على الناصرى ، مرجع سابق ص٢١ .

١٩ _ انظر د.   مرجع سابق ص ٢٤٠ _ ٢٤١ .

٢٠ _ انظر الدكتور محمد عواد حسين ، مرجع سابق ص١٠١ .

٢١ _ انظر الدكتور صلاح الدين الشامي ، مرجع سابق ص٣٨ _ص٤٢ .

٢٢ _ عن ممتلكات مصرفي البحر المتوسط انظر ، سيد أحمد على الناصرى ، التأثير الرومانسي للحضارة المصرية على تفكير شعوب البحر المتوسط من الغزو الفارسي حتى العصر القبطي ، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٨٦ ص ١١٠ _ ص١١٦ وكذلك ابراهيم نصحي ، مرجع سابق ص٧٣ _ص٨٧ .

٢٣ _ انظر دكتور سيد أحمد الناصرى ، حضارة وتاريخ وآثار مصر تحت حكم الاغريق والرومان من الفتح المقدوني حتى الفتح الاسلامي ، القاهرة ١٩٨٩ (دار النهضة العربية) ص٨٣ وص٨٥ وص٨٧ .

٢٤ _ عن ذلك انظر دكتور سيد أحمد الناصرى ، كتاب سابق ، ص٨٩ ـ ص٩٣.

٢٥ _ ربط بطليموس الخامس نفسه بالاصول الوطنية المتوارثة منذ القدم ، وقد لجأ الى ذلك لأنه كان يعتبر " جسر " مؤسس الزعامة المنفية وقد سجل ذلك على النصب الذى يرجع الى عام ١٨٧ ق.م والذى أمر بنقشه على صخور جزيرة سهيل بالقرب من الجندل الاول عن ذلك النص انظر : نيقولا جريمال ، ترجمة ماهر جويجاتي ، تاريخ مصر القديمة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩١ ، ص٨٠ _ص٨١ .

٢٦ _ انظر و. و . تارن ، المرجع السابق ، ص١٩١ .

٢٧ _ انظر دكتور محمد عواد حسين ، مرجع سابق ، ص٩٧ ومابعدها وكذلك دكتور ابراهيم نصحي ، مرجع سابق ، ص٨٧ ومابعدها وكذلك دكتور سيد الناصرى ،مرجع سابق ص٧٩ وكذلك ،مرجع سابق ص

٢٨ _ انظر و. و . تارن ، مرجع سابق ، ص١٩١ ومابعدها وكذلك دكتور سيد   الناصرى ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

٢٩ _ عن ذلك التفسير انظر : و. و تارن ، مرجع سابق ، ص٦٢ .

٣٠ _ انظر دكتور محمد عواد حسين ، مرجع سابق ، ص١٠٦   وكذلك و.و تارن ، مرجع سابق ، ص٢١٨ _ ص٢١٩ .

٣١ _ انظر دكتور سيد الناصرى ، مرجع سابق ، ص٨١ ومابعدها وكذلك انظر و.و تارن ، مرجع سابق ، ص٢٧ _ص٣٩ وكذلك

٣٢_ انظر د. ابراهيم نصحي ، مرجع سابق ، ص ٧٣ ومابعدها .

٣٣_ عن الحرب السورية الخامسة ، انظر ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ ومابعدها .

٣٤_ وقد افزعت روما اطماع " انتيوخوس " و" فيليب " فى ممتلكات مصر الخارجية ، على الرغم من أن روما وقتئذ كانت خارجة من حربها على قرطاجة منتصرة فى الحرب البونية الثانية فى عام ٢٠٢ ق.م لذلك اثار الرومان المدن الاغريقية على فيليب ، واشتعلت الحرب بين " فيليب " وروما بحجة الدفاع عن املاك مصر المسلوبة وخرجت روما من هذه المواجهة منتصرة فى عام ١٩٧ ق.م وأعلنت استقلال بلاد الاغريق فى العام التالي ثم انتصرت على انتيوخوس في عام ١٨٩ق.م .

انظر د. سيد الناصرى ، مرجع سابق ، ص٨٣_ص ٨٥ وكذلك ابراهيم نصحي ، مرجع سابق ، ص٨٧_ ص ٨٩ .

٣٥_ وازاء هذه المخاطر استنجدت مصر بروما انظر : د. ابراهيم نصحي ، مرجع سابق ص ١٣٨ .

٣٦_ انظر د. ابراهيم نصحي ، مرجع سابق ، ص١٣٨ .

٣٧_ انظر الدكتور صلاح الدين الشامى ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ وكذلك ليونيل كامسون " ترجمة جلال مظهر " رواد البحار ، دار نهضة مصر القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٤٩ ، وكذلك د . محمد ابراهيم بكر ، تاريخ السودان القديم ، دار المعارف ١٩٨٧ ص١٩٤ .

٣٨_ انظر د. صلاح الدين الشامى ، مرجع سابق ص٦_٢٩ .

٣٩_ عن العرب وتجارة الجنوب مع الهند وشرق افريقيا انظر د.لطفى عبد الوهاب يحيى ، العرب فى العصور القديمة مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، اسكندرية (دار المعرفة الجامعية) ١٩٩٠ م ص٣٢٤_ص٣٣٣ و ص٤٢٣_ص٤٢٤ وانظر كذلك د. حسين الحاج حسن ، حضارة العرب فى عصر الجاهلية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨٤ ص١٩٢_ص١٩٥ وكذلك دكتور صلاح الدين الشامى ، مرجع سابق ص١٨_٢١ وص٢٥_ص٢٩_ص٣٨_ص٤٢_ص٥٨ .

٤٠_ انظر دكتور لطفى عبد الوهاب يحيى ، مرجع سابق ، ص٧٨وص٤٢٣ ومابعدها وكذلك انظر جرجس زيدان ، العرب قبل الاسلام ، دار الهلال بدون تاريخ ص١٧٨ ص١٨١ .

٤١_ أما عن العلاقات بين مصر والجزيرة العربية فأنظر دكتور ابراهيم نصحى ، مرجع سابق ص١٤٦_ص١٥٢ وانظر كذلك و. و تارن ، مرجع سابق ص٢٥٧_ص٢٦٢ .

٤٢_ اما عن طيبة وثوراتها ضد الحكم البطلمى ، انظر دكتور سيد أحمد الناصرى نفس المرجع ص٨٩_ص٩٣ .

٤٣_ انظر سيد أحمد الناصرى نفس المرجع ص٩٣ .

٤٤_ انظرد . سيد أحمد الناصرى ، مرجع سابق ص٢٠_ص٢١ .

٤٥_ انظر و. و تارن ، مرجع سابق ص٢٤٢ .

٤٦_ انظر دكتور ابراهيم نصحى ، مرجع سابق ص١٤٦ _ص١٥٢ .

٤٧_ انظر دكتور سيد أحمد الناصرى ، مرجع سابق ، ص٩٣ ومابعدها .

